محمد عبدالقادر بامطرف

دار الهمداني
للطباعة والنشر - عدن

المعلّم عبدالحق

الطبعة الثانية

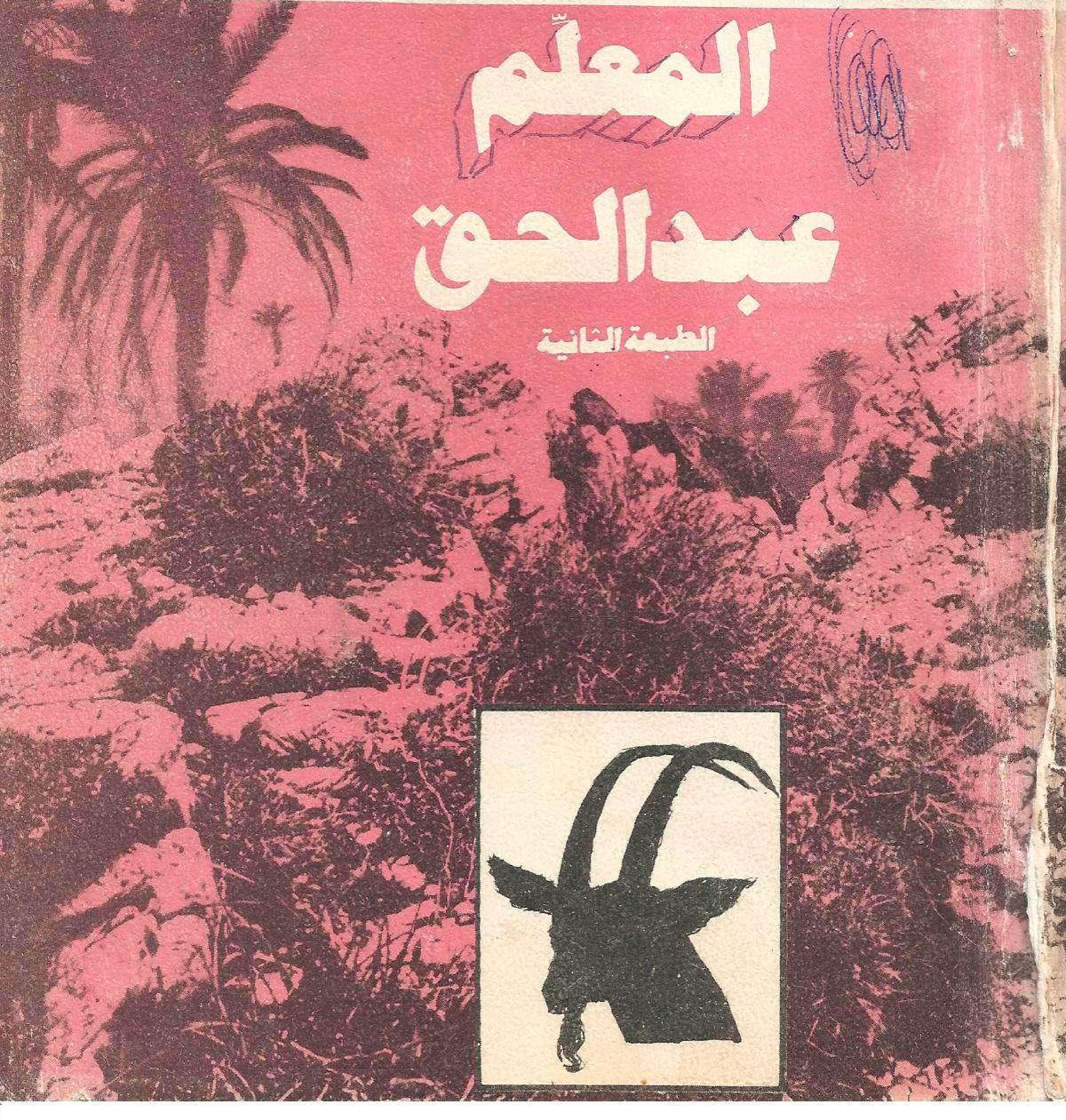

المعلم عبدالحق

الشاعر الشعبي الأول

محمد عبدالقادر بامطرف

الطبعة الثانية

١٩٨٣

دار الهمداني
للطباعة والنشر – عدن

الاهــــداء

الى المولعين بالفن الشـــعبي الحضرمي

أقــدم هــذا الكتــاب

المـؤلف

تصميم الغلاف : زكي عمر

أَنْصَحْ وَصَحِّحْ في كَلاَمِي وَاَوْعَظْ
حَدْ يِشْتِغِبْ مِنْ قَوْلِي الْمِتْوالِي

وَحَدْ يِخِفَّ الْحَمْلْ بُه لَكِنَّنَا
مَا اطْرَحْ على مَبْنَى وكِيْكِ أَقْبَالِي

« المعلم عبدالحق »

منهج البحث

ان المنهج الذي سلكناه في تأليف هذا الكتـاب هـو اسـلوب « الحـديث شجون » ... أي أننا كنا نروي شعراً قاله المعلم عبدالحق ثم نستطرد منـه الى قضايا أدبيه او تأريخية او سياسية او اجتماعية حسبما يقتضيه المقـام .

ولقد قلنا في صفحة ١٤٥ « نحن في هذا الكتاب لا ندون تاريخيـاً ولكننـا نعرض اعمالا أدبية ، ولا نتعرض للتأريخ الا حيث تلقي حوادثه أضواءاً عـلى مضامين الابيات الشعرية » .

ذلك هو المنهج الذي سرنا على هديه واضعين نصب أعيننا عـلى الـدوام علاقات الحوادث التاريخية والحركات السياسية والصور الاجتماعية واستعراض الشخصيات باشعار المعلم عبدالحق ..

ان عرض وتحليل ونقد اشعار المعلم ، كعمل فني مستقل ، لهـو هدفنـا الرئيسي من هذه الدراسة .

« **المؤلف** »

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعـــلى آلـــه وصحبـه اجمعين • وبعـــد :

انمعرفتى بالمعلم عبد الحق ترجع الى عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) عندما سمعت ، ذات ليلة ، قصيدة له يغنيها احد المغنين في حفلة زفاف بالشحر • وكنت حينها في الثانية عشرة من العمر • وقد اعجبتني القصيدة حتى انني ذهبت الـى المغني ورجوته أن يملي عليّ بعض ابياتها مقابل أجـــر زهيـد ، ففعل ، ورحت اكرر تلاوتها لنفسي مرات عديدة حتى حفظتها عن ظهر قلب • وكنت حينذاك افهم بعض كلمات ابياتها والبعض منها لا أفهمه ، وأنطق بعضها نطقا حضرميا سليما ، والبعض انطقه مكسورا او مغلوطا •

وتلك القصيدة هي التى مطلعها :ـ

بَنِيْ مِغْـــراه يامَبْرك[1] الجُمعـــه وَلْثنَيْن
لهن تشـــريفْ زايـــد ليـــاليهن يُسَرِّيْن
يجلِّين الكَدَر والغَلَسْ[2] من يـوم يُضْوَيْن
كـــلامي صـدق بَاحْلِفْ لِمَنْ ينكر يمينين

وكانت تستهويني فى القصيدة الابيات التالية :ـ

---

(١) ياما اكثر بركتهما
(٢) التجهم

وبعـد السّاع (٣) يافايق الغـُزلان يازَيْـن
أنا مُسَلّم لك اليَدّ لاتِظْهِر لِـي الشّيْن(٤)
وَخُذْ مني وبَعْطيك ماتَطْلُبُه ذا الْحِين
مَقام الرّجْل(٥) خُذ في الميَه ياخيل مِيَّتَيْن
اذا انتِه جيتَنا شِبِر نا جيْتَك ذِراعَـين
مَحَبَّة قلب يارب الّـف بيننَا البَيْن
ونمسي في وَسَط غُلْب(٦) لي قَدْفيه قَصْرَين
وقَلِّب جَعْدَكَ المُرتَسِل واحراز تِبِيّن(٧)

الى قوله :ـ

تَخَيَّرْت أُننَا في السنة آخُذَك طَوْفَـيْن
وحِبّ البحر يوم المراكب فيه يَصْـتَرْين

الخ الخ ••••••

وهذه القصيدة معروفة لدى الكثيرين من الحضارم المولعين بالشعر والغناء الشَعْبِيَّين •

وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) كنت في الحبشة ، وكان من حسن الصدف او سهولة التوفيق ان اهداني صديق والدي ، المغفور له الشيخ علي بن سالم رويَشد الشحري ، ديوان المعلم عبدالحق ، المطبوع طباعة هندية ، وكانت اوراقه ممزقة من كثرة التداول ، والعديد منها كان قد نزع من المجلد •

---

(٣) بعد الساعة أي أما بعد
(٤) القباحه
(٥) مقعد التخاطب
(٦) المنزل المعتلى
(٧) صفتَين

وقد اعجبت باشعار المعلم ، واعترف انني تأثرت بأساليب وفنون شعره ، وهي التي حببت الي الشعر الشعبي .

ومن ادمان مطالعة اشعاره ، كوّنت للمعلم صورة ذهنية ، ولست أدرى لم تخيلته رجلا طويل القامة مهاب الطلعة يعتم بقماش ابيض بعذبة مدلاة على كتفه الايسر ، وله وجه اسمر اللون وعينان غائرتان محمرتان يشعان بريق ذكاء ، وجبهة عريضة ولحية كثة شمطاء ، ويلبس قميصا ناصع البياض يصل الى نصف ساقيه ذا كمين طويلين ، وينتعل حذاءين من الجلد اللامع المتين على طريقة الشيوخ من أهالي الشحر ، ويتوكأ على مِنْسأة من العود السواحلي[٨] الرطيب .

وفى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) ساقتني الصدف الى دمون بلدة المعلم عبدالحق . وفيها اتصلت بالمقدم الشيخ سالم بن عوض بن سِلْمِهْ مقدم بيت آل سلمه ، من القبيلة التميمة التي حالفها المعلم وتحدث عنها كثيراً في اشعاره .. فحدثني المقدم سالم حديثا طويلا وممتعا عن المعلم واخبار عصره ومعاصريه ، وروى لى أبياتا متفرقة من قصائده ذاكرا اسباب كل بيت رواه .

ووصف لي المعلم ، نقلا عما سمعه من آبائه ، بانه كان ربع القامة نحيف الجسم يلبس لباس مساكين مدينة تريم والمكون من الحزامة البيضاء ذات الحاشية السوداء والمسدرة بكمين طويلين ، ويعتم بقطعة من القماش الكاره الاغبر ويتردّى برداء سعيدى[٩] . وكان وجهه دقيق الملامح ، وعيناه واسعتين ونظراته ثاقبة ومبتسمة ، وكان خفيف شعر العارضين وفي اسفل ذقنه عثنون بشعيرات قليلة ، وله صلعة اتت على معظم شعر رأسه الابيض ، وعلى احد جانبي فمه مشروع ابتسامة ساخرة كانت دائما تثير استفسار القبائل وغيضهم ، اذ كان بتلك الابتسامة يبدو للناظر اليه وكأنه يريد ان يقول شيئا أو أنه شامت من قول او فعل أتاه

---

(٨) نسبة الى ساحل شرق افريقيا
(٩) نسبة الى « مسقط » أرض سعيد بن تيمور

الناظر اليه .. وكانت له انحناءة خفيفة في مشيته من أثر كسر في فخذه الايسر أصابه من سقطة من على رأس هضبة وكان يلاحق وعلا في احد ايام القنيص. وقد الزمه هذا الكسر، في أواخـــر أيام حياته، البيت فلم يكن يغادره الا يوم الجمعة للصلاة. وكان قوي البنية ذكي الفوءاد ويتمتع بذاكرة مصورة وقدرة محبوبة على الحديث الطلي والوصف الأخاذ. وكان يتطوع بالصيام يومين من كل اسبوع وقد عرف بادمان العبادة وحفظ القرآن العظيم وكانت له ثقافة أدبية ودينية تعتبر ممتازة بمقياس عصره وبيئته. وكان يسمي نفسه « شيخ الفقراء » وينفق كل الصلات المرسلة اليه، ولا يستبقي منها الا حاجة يومه ويجود او يتصدق بالعفو رغم الفاقة التى كان يعانيها هو وافراد اسرته. ورغم الشجاعة التى عرف بها فقد كان جم التسامح لايحمل الحقد ويغفر الزلة وينسى الاساءة. وله فى صديقه سعيد بن عمر بامطرف[10] المتوفى عام ١٢٨١ هـ مرثاة تعبّر عما كان يتحلى به المعلم عبدالحق من متانة خلق وعلو مشاعر. قال في مرثيته :ــ

وبَعْدِ السَّاع قلبي كَمَّلْ يا اصحاب وَاْمْتَاسْ
خَبَر جَانَا شَغَبْنَا[11] وزيَّد ضارِب الرَّاسْ
خَبَر لَشْقَر سعيد النَّمِر بامَطْرَف الفَاسْ
حَلِيْفِ البُعْدْ[12] لي من فراقُه ضِيقِنْ لَنفَاسْ
سعيد الجِيْد لي فى حياتـــه ينفـــع الناس
ومن يدعيـــه في منفعَبَهْ تحسبه مِقْبَـــاس[13]
بغـــير أُجْرَهْ وذكر الطماعـــه فيـــه ماحـاس
رفيـــع النفس ماهـــو دَنِيْ الطبـــع قَسَّـــاس

---

(١٠) لاتربطه بالمؤلف اية وشيجة قرابة
(١١) ازعجنا
(١٢) اى الصديق القديم.
(١٣) سريع التلبية اشبه بشرارة القبس

ولكن صـــدق قول العـــرب ماهـــم سَوا النّاس
فَحَسْت الجِنْس حَصّلْت جنسُـــه خـــير لجناس
وخَصْله ثانيه مابـــدا خالـــف ولا هـــاس(١٤)
ولـــو كـمّلت لي فيـــه مـا ياخُـــذُهْ كُرّاس

ثم يذكر المعلم في أسى بَيّنٍ ما حدث ذات يوم بينه وبين بامطرف.فقـــال رضوان الله عليه :ــ

ونا بيـــني وبينـــه مـــروّه ليس تنقـــاس(١٥)
رجع ما بيننا مثل بـــن طـــالب وبَلْفَاس(١٦)
على شـــيْ ما يقـــع تحت داري نَصّـــر(١٧) النّاس
ولكـــن هو بيحِـل(١٨) في الـــذي سـوّاه لاباس

بيد ان انسانية المعلم الكريمة وشهامته أبتا الا ان تفلسفا الحادثة ، فرجع بهذه الجفوة الى وشاة السوء، واراد بذلك ان يوقع في ذهن القارىء أن بامطرف لم يكن مطبوعا على العدوان ولكنه دُفع الى ذلك دفعا • فقـــال منتحلا العذر للمرثوء :

ولا حـِلّ الذي به تـخـمّـج شـرْب لـقـلاس(١٩)

وكما تثير الخسارة الفادحة الخواطر الدامية فى انفس الفاقدين الموجَعـــيْن

(١٤) هَاس من الهياسة وهو فعل المنكر
(١٥) لايحدها قياس
(١٦) قبيلتان كثيرتان بينهما خصومة تقليدية
(١٧) شمت به الاعداء
(١٨) مسامح •
(١٩) لقلاس جمع قلاس والكلمة انجليزية ومعناها الكأس.

في كل زمان ومكان ، هاجت الأشجان لدى المعلم الشاعر الرقيق الاحساس فقال مؤكدا على من بعثه بالمرثية التي قالها وهو رهين داره :ــ

أصَلْ لادار فيه الخَضَر تَلْقَاه وَالْيَاس
وتَلقَاهُم على خُو مُبَارك في تِنِهَّاس
وكَم يا ساداتي كَم وكَم من تحت لِرْماس[20]

ورغم علمه وتسليمه بقضاء الله وقدره ، وادراكه ان حياض المنايا لا يرد كأسها رادٌ ، تواتي المعلم الاماني الكاذبة ، التي تفرزها النفس البشرية الضعيفة ــ تلك الأماني التي تداهم كل مفجوع في عزيزه ، فيود لو أن الموت قد نضب حوضه مرة واحدة فآب من ورده ظامئاً ومخبرا بان مورده الطافح قد أصبح غورا معينه ، كغيره من الكائنات التي يصبح موجودها عدما •• قال :ــ

وبَحْر الموتْ من طاحْ بُه مارَدَّهُ الْكاسْ
فَليتِ المُوتْ يِفْلِسْ كذا مِثلَ أهْلِ لِفْلاسْ

وكما هي عادته في النازلات التي يكون لها في نفسه وقع خاص ، أرّخ المعلم وفاة بامطرف ، واختتم المرثاة بقوالب الصناعة التقليدية في الشعر الشعبي الحضرمي •• قال :ــ

خَبَر يوم الثلوث انتهى دمعِي من النرّاس
وقَرّرْ يافتى سِتّ فِي الحَجَّهْ بِلقْيَاس
سَنَةْ مئتين والألف موت الشاجع الفاس
ومن بعدِ الثمانين وَحْدِه ضَبِطْ للنَّاس
وصلى اللهْ على من بنى الخَمسهِ على ساس
صلاةٌ عدّ ما قام راكِعْ جُنْحْ لغْلاس

---

(٢٠) جمع رمس وهو القبر •

كان المقدم سالم بن عوض بن سلمه ، حينما قابلته ، في مطلع الثمانين من عمره وقد كُفَّ بصره • وعندما اعربت له عن رغبتي في مشاهدة « الشُّحْرَة » التي قال المعلم عنها الكثير في اشعاره ، جال الدمع في عينيه الكفيفتين وتنهد حزناً عليه ، وترحم على المعلم في وفاء واكبار عميقين ، وبعث معي احد ابناء القبيلة ليطوف بي « المكان » على حد تعبيره • فذهبت استعجل الخطو وكان يرافقني المرحوم الشيخ علي بن سالم باعشن حاكم منطقة دمون • ودلني الدليل على اطلال دار قال إنها الدار التي سكن بها المعلم الى يوم وفاته •

وعلمت ان المعلم اوصى بان يدفن بمقبرة تريم • وقد حاولت التعرف على قبره من عدد من « دَلَّال » تريم فلم يستطع احد التعرف عليه ، فقد كنت شديد الحرص على التعرف عليه وكان لي عظيم الرجاء في زيارته •

واشعار المعلم عبدالحق على كل لسان فى هذه المنطقة ، ويحفظ ويردد آل تميم بعض قصائده التي خَلَّد مدحهم فيها ، وتكاد تكون قصيدته التى قالها فى موقعة « الكَودِة » التميمية مشهورة عند الجميع ويتغنون بها فى اعتزاز لما أحرزوه في حادثة تلك القرية الصغيرة من نصر باهر على قوى الغزو الكثيري • وسنأتي على هذه الحادثة والقصيدة فى الصفحات القادمة (٦٠–٦٤ من هذا الكتاب) •

وسألت عن الديوان الكامل الذى بقي لنا من المعلم عبدالحق فأخبرني المقدم سالم بن عوض بن سلمه انه علم ان مستشرقا هولنديا يدعى لندبرج اشتراه من احد الحضارم باندونيسيا أيام احتلال الهولنديين لها • وفي صفحة ٦٨ من كتابه « مختارات من الادب العامي الحضرمي » (الجزء الانجليزي) يلمح الدكتور سارجنت الى ان ديوان المعلم عبدالحق موجود بمكتبة ليدن بهولندا •

ولقد حالف التوفيق المغفور له السيد علي بن احمد بن محمد بن شهاب العلوي فجمع « ملتقطات » ، على حد قوله ، من قصائد المعلم عبدالحق وطبعها فى الهند منذ مايقرب من سبعين عاما وأسمى تلك « الملتقطات » (الوقائع فيما جرى

بين آل تميم ويافع) وهذا العنوان لاينطبق بدقة على محتويات الكتاب • وتوجد من هذا الكتاب نسخة في المكتبة السلطانية[٢١] بالمكلا ولقد راجعت هذه المجموعة عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) فوجدت بها عدة صفحات قد تمزقت اربا ، فابدلتها بصفحات خطية من مجموعة قصائد المعلم التي لديّ •

ولولا اعتناء السيد علي الشهابي ، أثابه الله ، لضاعت معظم آثار المعلم عبدالحق وماتت بموت الذين كانوا يحفظون قصائده عن ظهر قلب •

ورغم المجهود المشكور الذى بذله السيد الشهابي في جمع وطبع «الملتقطات» فان مجموعته تعرضت ، كما يبدو ، للاخطاء لدى نقلها ، كما ان ترتيب أبيات بعض القصائد يخالف ترتيبها فى روايات سمعتها ، ودونتها ، من مصادر مختلفة •

وقد تعود المعلم ان يذكر فى بعض قصائده ، وخاصة الملاحم البطولية ، عدد أبياتها وتواريخها • فمن ناحية عدد الابيات ، الفينا أبيات القصائد زائدة او ناقصة عما ذكره المعلم •

والظاهر ان أبياتاً حُذِفت أو دُسَّت في أشعار المعلم ببراعة لان اسلوبه الشاعرى له طابعه الخاص المُميَّز •

وفي قصيدته التي مطلعها :ـ

أبديْت بكْ وأدعوكْ ياجـزْلَ العطَـا

يـاعالِمَ الأسـرارْ ذى فـي حِجَابَهـا

يذكر المعلم :ـ

وأبياتهـا سبعين يسْتَاهلْهـما

لي عَسْوَدِ الحيَّة[٢٢] وتَمّ انيابَها[٢٣]

---

(٢١) تسمى الآن مكتبة الشعب •
(٢٢) عسود الحية اي جعلها كالعسودة •
(٢٣) تم اى اتلف انيابها •

ونعد ابيات هذه القصيدة الواردة في « الملتقطات » فنجد عددها واحـــدا وسبعين بيتا •

وفي قصيدته التي مطلعها :ـ

سـلامْ يامنْ لـُـهْ الأمـور تَسَهّلَتْ
من ذاتِهـا وَتَشَعلَبَتْ لاسَـادِي

يذكر المعلم :ـ

وابياتِهـا عَـدِّ الثمانـين أيْضـاً
بالحَزِر[24] لاتُنْقُصْ ولا تِـزْدَادِي[25]

ولدى عدّنا الأبيات نجدها ثمانية وسبعين بيتـا •

وفي المرثاة التى قالها فى صالح بن سالم بن يماني ، ومطلعها :ـ

ابدي بمن قَدّر بأمره للخَليقِ ارزاقَهـا

---

(٢٤) اى بالضبط •

(٢٥) اعتاد الشعراء الشعبيون الحضارمة ، لدى كتاباتهم احرف قافية المتواتـر الذى هو حركة بين ساكنين ، إظهار الساكن الثاني ، حتى مع انتفائه ، كما هو الحال في هذا البيت والبيت الذى قبله • فبدلا من كتابتهم كلمة (لَاْسَادْ) أى الآساد مجردة من الياء التي هي عبارة عن الساكن الثاني فانهم يكتبون الكلمة هكذا (لاسادي) و (تزدادي) و (نال كل مرادي) وهكذا باضافة الياء الزائدة في مكان الساكن الثاني المفهوم بداهة • ولسوف تصادفنـا هذه الطريقة فى قصائد عديدة قادمة في هذا الكتاب •

(المؤلف)

يذكر المعلم :ـ

تَمـَّت ، وَلَبْيَاتْ أَكْملَت تسعـين ذا حِقّاقـهَا

ونعدها فنجد الأبيات المدونة تسعة وثمانين بيتا ..

كما نجد أخطاء ظاهرة في تواريخ الحوادث المشمولة فى القصائد المدونة في « الملتقطات » .

منها قصيدة المعلم في نكبة الجراد الذى نزل بوادي حضرموت سنة ١٢٨٠ هـ وقد جاءت فى المجموعة المطبوعة ١٢٨٤ هـ ، مع ان المعلم في آخـــر هذه القصيدة يقول :ـ

هذا وفي شعبان بَاْوَرّخْ لعُرّاف السنـــــين
سنة ثمانــين أكملَتْ يــاصاح واليكَ اْلَـمئِين
الألف والمئتــين من هجـــرة ختام المرسلـــين

وورد فى المجموعة المطبوعة تاريخ لوفاة المقدم صالح بن سالم بن يماني وهو ١٢٨٩ هـ وصحيحه ١٢٨٣ هـ ، ذلك لان المعلم يقول في المرثاة :ـ

هذا ويوم السَّبت جاتْ آخبارْ طَارِشْ(٢٦) سَاقَها
ثمانْ مرّت من ربيع أول وِقِعْ حِقّاقَهَـــــا
سنة ثمانين اكملتْ ثم الثلاثِ اغلاقَهَـــــا(٢٧)
والألف والمئتــين ناختْ للرحيــل أنياقَهــا

أما الكلمات والاسماء المغلوطة الواردة فى المجموعة المطبوعة فكثيرة ، ولكنها لاتخفى على اللبيب كما يقول المصححون بدور الطباعة .

هذه الاخطاء القليلة ، التى نعتقد انها لم تكن مقصودة من قبل الكاتب ولا

(٢٦) القادم من مكان بعيد
(٢٧) كمالها

من قبل الطابع ، لاتقلل ، باى حال من الاحوال ، المجهود الضخم الجدير بكل ثناء عاطر ، الذى بذله السيد الشهابي فى رعاية وحفظ جانب هام من تراثنا القومي المتمثل في اشعار المعلم عبدالحق •

لقد كان المعلم عبد الحق (١٢١٣هـ - ١٢٨٩ هـ ١٧٩٨ - ١٨٧٢ م) عَلَماً نائفا بين شعراء وقته وفريدا فى التحامه الكامل بقضايا عصره ، لايدع حادثة ذات بال الا وعالجها بالوصف او النقد •

ومن بين الشعراء الشعبيين العديدين الذين عاصروه نجد ثلاثة ، هم الفقيه العلامة السيد محسن بن علوى السقاف ، والعلامة العارف بالله الشيخ عبدالله بن سعد بن سُمَيْر ، والشيخ ربيّع بن سليم باديبخ ، يستطاع وضعهم فى طبقة المعلم عبدالحق رغم ان أساليب قولهم وفنون اشعارهم ربما اختلفت عما عرف عن اسلوب وفن المعلم •

فالسيد محسن شاعر مكثر يميل الى المحسنات الكلامية كالترصيع والترادف ويمزج شعره بالكلمات الفصحى ، رغم المامه بالكلمات الشعبية البحتة المطواعة التى تعين على الافصاح والابانة عن كل خوالج النفس البشرية في اشراق ووضوح• وعلى العموم ، فهو الى جانب ميوله السياسية واعظ صوفي يكاد ينحصر جل همه في التعريف باحوال السلف الصالح والحث على محبتهم والسير على طريقتهم • وفى هذا المضمار قل عنه إنه كان موفقا كل التوفيق وهو أيضا ، من الناحية الفنية ، شاعر ناثر • وله قصائد لطيفة انتقد بها بعض عادات مجتمعه وتصرفات قبائل معينة •

والشيخ عبدالله بن سعد بن سُمَيْر شاعر من بين الشعراء العلماء • وهو منهجي بمعنى انه يقفو أثر « القَوَّالين » الذين يفهمون الشعر في رنينه وبهرجه ولا يجدون الشعر فى بساطته وصدقه • ويشترك مع صديقه السيد محسن السقاف في ناحية لايحبذها « الموالعة » بالشعر الشعبي ، وهي اعراب بعض الكلمات • ان

الاعراب فى الشعر الشعبي كالزحاف فى الشعر الفصيح ، لأن مجافاة عوامل الاعراب هى ابرز خصائص الشعر الشعبي ، وان الشاعر الذى يقول ويجعلك فى غير حاجة الى :رفع الفاعل ونصب المفعول ، ثم يبين فيحكم الابانة عن اغراضه لهو القائل الشعبي الحصيف الذى يخاطب السليقة « فى الشخص » العادي فيحقق التجاوب معه على احسن ما يكون التجاوب بين الفنان والمتذوق للفن .

واما الشيخ ربيع بن سليم فيميل الى الجزالة اللفظية عن قصد .. ولو أن هذا الاسلوب قد كان طابعه الشاعرى لهان الامر . ورغم ان الطبقة التي ينتمي اليها – طبقة الدلل – في مدينة تريم ، من اكثر الطبقات الحضرمية سلاسة تعبير وحسن مدخل وتأثير في النفوس ، الا أن ولوعه بمحاكات الشعر الفصيح ، وخاصة الشعراء الجاهليين وشعراء العصر العباسي الذين كثيرا ما يشير اليهم في اشعاره ، ترك فى اشعاره الشعبية لكنة تمسخ أحيانا مقصده مما يريد أن يسمعه الناس ، فيأتي شعره بين بين أى لا هو بالفصيح المعلول ولا هو بالشعبي المرذول . ومع الاسف نجد عددا ليس بالقليل من الشعراء الشعبيين مصابين بداء ربيع بن سليم .

واذا أردنا ان نتبين البون الشاسع بين الشعر الشعبي المقبول والشعر الذى يطلق عليه الحضارم اسم «المتفيصح» فلنقرأ باهتمام قصيدة ربيع بن سليم التي أرسلها من إندونسيا عام ١٢٦٤ هـ – ١٨٤٧م الى المعلم عبدالحق يستفسره فيها عما جرى بتريم بين يافع وآل كثير[٢٨] ، ومطلعها :

بـرُوْق الظَّفَرْ والنَّصْرْ في الأفق نمْنَمَتْ
وثَجَّت على الغُنَّا خواصِبْ مُزوْنَها

ثم ننظر رد المعلم عبدالحق عليه في قصيدته التي مطلعها :

أبديت باسم الواحِد المتعالي
رَبّ العبادِ المُنْفَرِد في ذَاتِهْ

(٢٨) أوردنا هذه القصيدة كاملة في الجزء الاول من كتابنا « الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة » .

وانا لواجدون ، حقاً ، شاعراً لاهث الانفاس بعد البهرج اللفظي الذى يمله الرجل العادى السليم الطبع فلا يهضمه ثم يَصُدُّ عنه ، وشاعرا يقبل عليه الرجل العادى السليم الطبع لانه يخاطبه بكلمات يفهمها لتوه فيتذوقها فتهزه وتنال منه كل منال فيستزيد الشاعر من ذلك الشعر المستطاب • ومن الانصاف القول ان قصيدة ربيع بن سليم هذه يعجب بها المثقفون أيما اعجاب ••• ومع ذلك تتجلى لنا ، مرة تلو المرة ، روح المجاملة التي عرف بها المعلم عبدالحق ، فيقول فى رده للشخص الذي بعث به الى ربيع بن سليم :ـ

واقْصُدْ لشاعر لي بَرَدْ به جَوشي[٢٩]

قلبي فِرِح من يَوْم جَتْ أَبياتِه

أبو لِحِم صِنْوي رُبَيّع بن سليم

عارِفْ فهيمْ الله يزِين أوقاتِه

قُل قَال عبدالحق جاتْ أبياتَكْ

فِي خَطْ شاقِ الحاضرينَ قِراتِه

ولقد قلنا في بداية حديثنا عن « ملاحم » المعلم عبدالحق ، وقد أتينا على معظمها في فصول هذا الكتاب ، ان المعلم يأخذ القول السّهل ولا يعنت نفسه خلف شعر القوالب والرنين الذى تذهب طراوته وطلاوته فور سماعه •

ومن طبقة المتأخرين نجد ثلاثة من الشعراء الشعبيين الحضارم يسيرون على نهج المعلم عبدالحق فى بساطة القول وعمق المعنى ، وهم السيد ابو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب[٣٠] ، والسيد حسين بن حامد المحضار[٣١] والامير حسين ابن عبدالله القعيطي[٣٢] •

---

(٢٩) ينطقه الحضارم جوش وجاش أي القلب •
(٣٠) توفي ليلة الجمعة ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤١ هـ
(٣١) توفي يوم الاثنين ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٥ هـ •
(٣٢) توفي يوم الجمعة ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ

والبساطة فى قول الشعر الشعبي لازمة لمخاطبة الجماهير الواسعة والسيطرة عليها والتحكم فى مشاعرها ثم توجيهها الى حيث يريد ان يسلك بها الشاعر في مجال الاحاسيس والانفعالات • وذلك ما سوف نراه واضحا فى اشعار المعلم عبدالحق •

فهيا بنا الى التعريف بالمعلم ، وبعصره وبأحواله السياسية والاجتماعية ، وبأشعاره ، لكي نفهم هذا الشاعر الفحل الذى كان يقيم أقيال زمانه ويقعدهم ، وكانوا يرون امجادهم ناقصة ومبتورة اذا لم تلق الاشادة بها من قِبَلِه •

هذا ونرجو ، بهذا العمل المتواضع ، ان نكون قد قمنا نحو شاعرنا الشعبي الاول ببعض الواجب براً بـه وبحقه علينا ، وشكرا على احسانه الينا ، وان نسهم فى تزويد المكتبة العربية بسجل ، هو الاول من نوعه عن المعلم عبدالحق ، لعلها في أمس الحاجة اليه •

والله ولي التوفيق •••

محمد عبدالقادر بامطرف

المكلا : حضرموت

٢٠ محرم ١٣٨٤ هـ ـ ٢ جون ١٩٦٤ م

الفصل الاول

التعريف بالشاعر

هو سعيد بن عبيد بن مبارك عبدالحق ، ويتصل نسبه بالمشائخ آل عبدالحق من حوطة الفقيه علي بالاقليم الواحدي من جنوب اليمن .

وقد هاجر جده مبارك الى تريم المدينة لطلب العلم فى نهاية النصف الاول من القرن الثاني عشر الهجرى على اوثق الاقوال واشهرها .

وكان مولد المعلم عبدالحق في اليوم السادس من شهر رمضان سنة ١٢١٣هـ . وفي تريم تلقى المعلم تعليمه اللغوى والديني ، غير انه غادر تريم فى شبابه ـ هو وأمه ـ الى بلدة دَمّون ، الواقعة الى الجانب الشرقى لتريم ، تحت اغراء قبيلة آل سلمه التميمية ، سكان دمون ، وذلك ليفتتح بها مدرسة قرآنية لابنائهم وابناء قبائل آل تميم الاخرى القاطنة فى القرى المجاورة لدمون ، وليكون إماماً وخطيبا لمسجد دمون .

وقد ذكر المعلم تاريخ ميلاده بصورة غير مباشرة في مرثية فى أمه حيث قال فى تلك المرثية :ـ

عشرين عاماً من شبابي مَضَتْ
وفَوْقَها العشرهْ فَهَمْ يافطين
ونا بِنِعمه في حِمَى عَطْفِها
بدعائها حالي عَبَرْ مُستقيم
ماشكَيْت مِنْ قَصْرَه ولا نائبه(٣٣)
ولا انكشف سِرْي ولا بان خيم(٣٤)

---

(٣٣) القصرة الحاجة والعوز والنائبة من نوائب الدهر
(٣٤) الحال مستور

هاذاك من بركـة دعاهـا وقـد
نلنـا بنيتهـا الهنـاء العميم
تـاقين عنـاهـا واعتناهـا وكـم
سهرت وصالت كل من هو سقيم
تفـرح لفرحتنـا وتحـزن اذا
شيء نـابنا وتبـات جنح العتيم
تهمر ولا تعبر لهـا القائتـه[٣٥]
الا اذا شـافـت فرحنـا مقيم

الى قوله

يـابـا الـكرم اسـقي ثراها وجد
بغيث رضـوانـك ألا يارحيـم
واجعل محلتهـا جنانـك وهبهـا
العفو والرحمـه وبـرد النعيم

ثم يقول :ـ

أرخ لهـاذى النازلـه الفاجعـه
لـي منهـا قلبـي قطـر دال ميم
فـي ليلة الجمعـة لخمس مضـت
من صـومنا رمضـان شهـراً كريـم
والألـف والمثتـين متابعـه
والأربعين الرقم عـدت صـريم[٣٦]
وثلاث تأتـي بعـدها عـا الأثـر
من هجـرة الهادى الرسـول العظيم

---

(٣٥) مايؤكل من الطعام

(٣٦) متتابعة

وأما انه كان ايضا إماماً وخطيبا لمسجد دمون ، فنجده ، يقـــول في احدى المناسبات مخاطبا زمرة قنيص أهالي دمون :ـ

والعفو في حكم القناصـة للمعلم والخطيب

وكان ، رحمه الله ، يفخر بان عددا كبيرا من شباب آل تميم تلقوا تعليمهم المدرسي عليه ، بيد أنه لايكتم شعورا بالمرارة من بعض تلامذته الذين لم يرعوا له حقوق استاذيته : قال :ـ

والعكس مِنّي ، قدر مئتـــين لي تَقْرأ
عَلَّمْتُهُمْ حَدْ عِرِفْ قَدْرِي وَحَدْ قَدّار
عَلَى انْطِلاقِ اللِسَانِ الجَوْه (٣٧) الحَمْــرَا
بيني وما بينهــــم آيـات في الاســـــطار
مَا نَا كما كُـــلّ من يأكُـــل ولا يَـــدْرَى
مَنْ لاتِقِنْ جُـــودْ مِنْ جَيِّدْ أبوه أحْمار

وطيلة اقامته بدمون ، كان محل التجلة والاكبار من آل سلمه .. والواقع انه عقد حلفا معهم منذ يوم قدومه الى قريتهم ، فكان له مالهم وعليه ما عليهــــم : قـــال :ـ

قـــال الذى له زمن في الشّعْبْ عامِد وحال
حالفت مَنْ فيـــه ، عاقِدْ حلف ما هـو محـــال
حلفي على نفسِي وأيضاً إن أتونـــا عيـــال
حلفي على الدّم والفَرْث (٣٨) أسمعـوا ذا المقـال
قولي على الصـدق ظاهــر مثل صـافي زلال

(٣٧) الجوة اى القذرة

(٣٨) القتل الذى تقبل فيه الدية وكذلك المتاع المنهوب .

بَذَوْ على الحلفْ غِلْمه[39] مُصْدِقين الفعال
شَلُّوا ونا مثلهم في الوجه ياصاح شالَ

وتزوج المعلم بدمون ، وعقب أربعة أبناء :ـ

دوام في قلب المعلم ذِكْرُه
وذكر أولاده بذِكْر أولادي

عاش منهم الى وقت لاحق اثنان هما سالم وعوض . اما احمد وعلي فقد توفيا فى الطفولة . وقد تعوّد المعلم ان يشير الى اسماء اولاده فى بعض قصائده . كقوله :ـ

ثم قال بوسالم اِنْ دَمْعِ الحَدَقْ
كُلْمَا سَكَتِّهْ ضَوَانا سَيْل مِن لَعْيَان

وقوله :

قم ياعوض لابيت عبدالله عليه أدخل وحائي[40]
سلّم على كَفُّه وقُلْ لُه ثمْ وَقُل لُه قال أبَايِيْ

ويخاطبه ربيّع بن سليم في قصيدة له بقوله :ـ

وبلغ بيوت النظم للفض بو علي
سعيد الذي يعرف غوامض لحونها[41]

ولقيامه بمهمة التعليم فى دمون اطلق الاهالي عليه لقب « المعلّم » وقد لصق به هذا اللقب وأصبح فى وقته دالا عليه وحده في دِمون بل وفي الاقليم الحضرمي باجمعه . فيذكره الشعراء المعاصرون بهذا اللقب ، كما انه يطلقه على نفسه احيانا . وقد يسمي نفسه عبدالحق او سعدا او سعيدا فى اشعاره حين تقتضيه الضرورة

---

(٣٩) جماعة .

(٤٠) حائي يصافح الايدي او قبلها

(٤١) معانيها ـ والفض يعني به الفذ

الشعرية هذه المغايرة فى التسمّي • واتبع الشعراء المعاصرون تسمياته هذه في اشعارهم • اما الاسم الذى اشتهر به عند الجميع فهو « المعلم عبدالحق » ولذلك جعلناه عنوان هذا الكتاب ، على ان هذه التسمية لم تذكر في أيٍ من اشعاره المعروفة لدينا ••

وهذه صور من اساليب تسمياته : قال :ــ

سعيد عبدالحق منكم عنده الحج الكبير

وقوله : قال الفتي سَعِيد عبدالحق
غَيْث الهنا حَطّت أَسْبَالَهْ

وقوله : قال المعلم سعيد ان هاجسي وقَف
انا الذى للرّتيه قُلت لُه ماقُوف

وقوله :

ذا قول عبدالحق لي هو مابدا جافِي العَتَبْ(٤٢)
وليس يكْذِبْ في تِحدِّاثُه كما بعضَ الكَذَبْ

أمّا ربيع بن سليم فربما استعمل له اسمين في قصيدة واحدة :

قال :

وبلّغ يوت النظم للفض بو علي
سَعِيْدَ الْذى يعرف غوامض لحونها

الى قوله :

وآهٍ على لَبعُوْس جرثومة البلا
فيا سَعِدْ قُل لي كيف غابت ذهونها

وبحكم تحالفه مع آل سلمه حمل المعلم السلاح في شبابه وكهولته ، وشارك

(٤٢) العيب

القبائل التميمية خيرها وشرها أيام خصومتها مع القبائل الآخرى • وبطبيعة الحال كان ولاؤه الاول لآل سلمه • قال :ـ

ثُم قــال مَنْ حَلّ في شُحْرَه بها يُغْرَى
مَدْحِي وحِلاتِهــا تُغْرِى لهُم لَشْعَار
جَلَسْتُ مَعْهُــم دَخَلْتُ الضَوّ واللغَــدْرَا
وَلا جِلْهُمْ عِنْدِى الحالي سَوَاْ وَلقَارْ
قَعَدْتْ فيخَلْطُهُم والكُوتْ فيالجَعْرَاء *
وَصَفَّ يافع من الوادي الى أقصى الحَــار **
صَبَرْتْ مَعْهُــم وغيرى لم يُطِــقْ صَبْــرَاْ
وَلا نَسِي جُــودهم والعِزّ والمِقْدَار

وفي اشعاره كثيرا ما يطلق المعلم اسم الشُحرة على بلدة دَمُّون لكونهــا قائمة بسفح جبــل قريبا من احد اخاديد الماء التي تعرف عند اهل حضرموت بالشُّحرة • واحيانا يطلق على دمون اسم « الشُّعْبْ » لكونها احد شعاب الجَبَل • ثم يصِف هذا الشعب بصفة «الوَرِبْ» (المُوحِش) واحيانا يصفه«النَّوِيْر» • وهكذا اعتاد معاصروه من الشعراء الشعبيين ان يسلكوا طريقته في تسمية دمون : قال المقدم عبدالله بن صالح بن النقيب السَّعدي من قصيدة أُرسلها الى المعلم :ـ

وَاقْصِدْ الى الشُّعْبْ لي هــو بالرصاص أفْلَحْ
نعْمْتُه لاخَيّم ألباروت فــوق القُــور
فيه آل سلْمِهْ دَرِيْكِ الحَــرْب لاصَيّح
وَارْمِ المعلّــم سعيد واشــرح له المسطور
قل له يقــول السَّعَيْدِى غيثنـــا طَرّح
فــوق المدينة تَهَنّا نَخْلَهَا وِذْبُــور

---

* الجعراء إسم غيضة ، وسميت هكذا لأنها كانت تضم أعداداً من نخيل التمر تعرف بالجعراء
* الحمار إسم غيضة نخيل جنوب بلدة دمون ، وهى عامرة إلى حين تأليف هذا الكتاب .

فيرد المعلم فى قصيدة مطوّلة بقـــوله :ــ

ياعازم اعــزم من الشّعب الـورِب° واسْرَحْ

في الحال من دار بَحْرِي مسجـــد المشهور

الى قوله :ــ

حَليَّت في وَسْــطْ غِلمْهللبَلا تِنْطَــحْ

وفي الضَّنَك° كُل مَتْرَسْ مِنّهم مَخْبُور(٤٣)

استنشق الظَّرْف° في مَثْناتهم وَارْوَحْ

والقامِــزِي شغُل ذِيْ حِلّانْ تحت الدَّور

أو قوله في قصيدة أخرى :

وَبَعْد ياعازم على مَهْــري من الشّعِـب النّويـــر

إلــى الذي لــو خَيَّرُونا في الجهـه مايَسْتَخـير

الا آحمـــد المرسوم بالجَوْدِه وهـــو عاده صغـير

سلِّم على كفّــه وقــل لــه : قــال من شوقه كبير

الخ الخ ...

وواضح ان المعلم يعني بكلمة « الوِرِب° » أن بلدته دمون ترهب الاعداء ، وبكلمة « النوير » انها تسر الاصدقاء .

وكان المعلمعبد الحق ملما إلماما حسنا باحوال عصره السياسية والاجتماعية ، وله معرفة تامة بالعرف القبلي وبنوعية العلاقات التى تهيمن على الاحوال القبلية ، كما كان على دراية واسعة بوضع حضرموت السياسى العام . وبما انه كان مطلعا على نواحي القوة والضعف فى قبائل وادى حضرموت وحكام جهاته ، فقد جعل مديحه وقفا على أهل المفاخر لاغير ... قال :ــ

---

(٤٣) المترس معناه الكمين ومخبور معناه الملم بفنون القتال .

من بعـــد ذا يا ســامعين أبياتـــــي

مِنْ هاجســـــاً لاقــد دعيته يـزْغـَـر

يقول في أهل المَــكْرُمَهْ والجَــــوْدِه

واهـــــل الثناء لـــي رَوْعُهـــم قد بَدَّر

وبفضل ما كانت له من خبرة ودراية باحوال حضرموت ، فقد كان السلاطين ورؤساء العشائر يتبادلون الرسائل معه سعيا وراء نصائحه القيمة . وتدلنا اشعاره على ان الذين كانوا يستشيرونه ربما ، لاسباب يجهلها هو ، خالفوا ما قدم لهم من مشورة فيصابون بالفشل ، وهنا يجد المعلم مجال القول ذا سعة فيقول في شماته لاتخفى :ـ

واللـــــــه لاشيءْ يــاعَـرْبْ يغبْانَــا

قدنا اعـــرِفْ الأدبــــار والاقبـــالي

أنصـــح وصحـــح في كلامي وَاوعَظْ

حد يِشْيْتِغِب من قَــوْلي المتـــــوالي

وَحَدْ يخِفِّ الجمَـــلْ بـهُ غير أنَّـنَا

مَـــا أطْرَحْ على مَبْنَى ركيك اقبـــالي

ويقول :ـ

ثمُ قال من هو في مقالاتــه يذكرْ من غِفِلْ

أسَمح نصيحة من قريحةْ صدِقْ لِصْلاحَكْ تِحِلْ

ويقول مؤنبا السلطان غالب بن محسن الكثيرى على مخالفته نصائحه .. تلك المخالفة التي اسفرت عن هزيمة آل كثير في معركة مدينة الشحر : قال :ـ

كثِرِ من البَنْدَر ونا قـد قُلتْ لُــه

فِي أبيات حرْفِ الصَّاد خاَلفْ صادْي

اما نصيحته الصادية التي وجهها للسلطان غالب بن محسن الكثيرى فقد مهد لها بابيات كلها تبكيت وتقريع .. منها قوله :ـ

ثم قال عبدالحق يا غالب على نفسك تَقَصْ

ذلك لان المعلم بات مطلعا على مجريات الأحوال في الشحر ، فقال :ـ

من يوم مَخْرَجْــكُم من البندر عَلَيْ رِجَّال قَصْ

ومما علمه المعلم أن الهزيمة التي منى بها آل كثير في الشحر كان السبب فيها افراد لم يروموا الا مصلحتهم الشخصية لامصلحة الدولة الكثيرية النامية . قال :ـ

تَقَصّ في مَقْصَكْ لانَّ الذَّيم بـــــه جُمْـــلَةْ نَقَصْ

جَمْ في ثُبَنْهُمْ يَطْرحُـــون اللحـــم فاسأل مَنْ قَنَصْ

ثم يذكّره بان فرار الامير علي بن ناجي بن بريك مـن الشـحر ، من وجـــه الحملة الكثيرية ، يعتبر وكأن البريكي أراد لآل كثير احتلال الشحر : وقال :ـ

قَبْضَـهْ قبضتوهـــا ومولاها لكم بالودّ خَصْ

سمح لكم بالفاطر اللي شـــحم : ذروتها و قَصْ

ولكن الحملة الكثيرية من الاصل لم تكن مبنية على استعداد ، وكأن الارتجال في ترتيبها ساعد على هزيمتهم .. قال المعلم :

جَرَاد في المَجْنَى عليكم فَـــرّ من تحت القَــــرْصْ

وَعُولْ في الخِطْمِه ورا ماوِعْل في وشَرِكْ رَطَصْ (٤٤)

وبعد هذا التمهيد المقذع يعود المعلم فيشير الى النصيحة التى كان قـــد قدمها الى السلطان غالب ، والتى تسبب اناس آخرون في تجاهلها ، وكانت تدور حول اخذ اسباب الحيطة الكاملة وتوفير الاستعداد التام للغزو ... قال

خذها نصيحة فـــوق لي منّي مضت عنهـــــا تَقَصْ

الدَّيولة تبغـــا قناطب مابغـــت للقُــــوت وَصْ

ايضـــا ومن بالله ياغالب لِشْدي العَيْـــب مَصْ ؟

---

(٤٤) رطص بمعنى وقع في الشرك .

اما بقوله :

ضيعتـــوا الفاطر ولاَحَدْ من جماعتـــك انْتَقَصْ
شاتّيتوا انفســـكُم من البندر الى ذيـــكِ الخيَصْ

فانه كان يعني الهجوم الذى قام به آل كثير على المكلا ولم يكن قد مضى على انتزاعهم الشحر من آل بريك خمسة واربعون يوما ٠

ثم يقول للسلطان غالب إن الإذعان للقضاء والقدر فيه كل التعزية ، وانـه لايسعه الآن غير ذلك :ـ

ما يسمـــع المقتـــول صَرْخَة بندق القُدْرَه خَلَصْ
أما قضاء مُبْرَمْ ولاْخَر قـرّرُوه أهـــل القصَصْ
ترُدُّه أحـــلام الرجال إن حَدْ لُكم بالصّدق خَصْ

ولقد شاءت الاقدار ان يكون اندحار آل كثير اندحارا نهائيا ، حيث انهم لم يتمكنوا من استعادة الشحر من القعيطي رغم كل ما بذلوه من استماتة وتضحية في حمـين لاحقتين احداهما ذكرها المعلم وسنأتي عليها في صفحات قادمة من هذا الكتاب ٠ أما الثانية وهي التي عرفت فى التاريخ بموقعة « المِشْراف » ، فقد كان حدوثها سنة **١٢٩١** هـ أي بعد وفاة المعلم عبدالحق بما يقرب من ثلاثة اعوام ، وفيها هَزَم القعيطي القوتين المتحالفتين المكونتين من الجيشين الكثيري والكسادي ٠

وتجاهل السلطان غالب بن محسن نصيحة المعلم « الصادية » فَهُزِم فقـــال المعلم من قصيدة طويلة :ـ

دَبَّرْ وهُوُ راضـــي لنفســه مُكْرِهَنْ
ما حِيلتُـــــه مِن نَفســـــه الْكَرْهانَهْ
طِلِعْ الى البندر(٤٥) وله طاب الذَرَنْ(٤٦)
أيضـــا وطاب الشُرب في غِدرانَـــهْ

(٤٥) الشحر
(٤٦) المذراة

خَـرَجْ سَمِعْ قَرشِه معا مَخْرَجُه خَنْ
لا واللـه اِنْ ذاْ مِنْ شويرْهْ خَانـهْ
وقَومْ غالب حَسَّبُوا ظَنَّوا بِظَـــنْ
خَرْجُوا وقالوا ما الفضيحة ضَانَـــهْ[٤٧]

ثم يعود المعلم ويذكر في هذه القصيدة كيف ان آل كثير غضبوا من قوله وتوعدوه بالانتقام ، فقال :ـ

ومَنْ تَوَحَّنْ مِنْ كلامي واشْتَحَنْ[٤٨]
قَدْلُــه زمن زايــدِ عَلَيْ اشــحانه
شَقَّت عَلَيه أبيات من يومِ انْدحَـــنْ
يوم أنْطَرَدْ غَصْبًا من الدَّحَانَه[٤٩]
أمسى عَلَىْ حَمْسَــان[٥٠] مِن ذَاك الزَّمن
وأين ذَاكَ الزَّامْ مِنْ ذى ازْمَانَـــهْ
مابــا يُذُبَّ الرأس من بــين المتَنْ
الاَّ الــذى ركَبْتُه بــين أمتانَـــهْ
خَلِّ الفَرَحْ يبقى بقلبَـــكْ والحزَنْ
أُنظُر لمن عَقَبَتْ فَرَحْه أحْزَانَه
ولرَّبما تمكُرُ بِكَ احْوالَ الزَّمَـــنْ
مـــا تكْمُلِ الفَرحات طُولِ ازْمانَهْ

(٤٧) لم يهتموا بالفضيحة ، وقوله (ما الفضيحة ضانة) مأخوذ من المثل الشعبي الحضرمي (الفضيحة ما هي ضانة) وهو قول يفترض ان يقوله لنفسه الشخص الذي لا يهاب العار ، لان العار لن يمشي خلفه ويدل عليه بين الناس كما تمشي الضانة (النعجة) خلف من يقودها فتدل على أنه صاحبها أو مشتريها ٠

(٤٨) امتلأ غيضا

(٤٩) الدحان : الشجاع الذى يكره خصمه على الفرار

(٥٠) زعلان

اْخْرج من اذنكْ انْ وقع فِي أذْنيكْ صَن (٥١)

مَن كان يِسمعَ قُولِيَ اللّهْ صانَــــهْ

وثم يشير المعلم الى ماكان عليه آل كثير من تلهف على الاستيلاء على المكلا وطرد النقيب صلاح بن محمد الكسادي منها ليغدو الساحل الحضرمي بأكملـه خاليا من السيطرة اليافعية ثم ليمسي جزءا من الاملاك الكثيرية :ــ قال المعلم •• ويشير هنا الى عبود بن سالم الكثيري الذى كان المحرض الاول على احتــلال المــكلا :ــ

عبُود قدْهُ الاّ يشُــوف أمُّ اللبَــــنْ

لِي ثَدْيَها دايِمْ تَزِيدِ اْلبَانَــــه

وَعَصّبَ الفَالِ المِسَرِّح (٥٢) ماحَزَنْ

مِمَّا جَــــرى، قُلنا تزيد أحَزانَــه

ثم يقول :ــ

حَمْلَوا وهَوْ قَدْ باع ياغَالِبْ ثَمَنْ

رُوحــه قدا البايِعْ بِقِيــــلَ اْثمانَهْ

ويشير الى معركة البقرين التي التقى فيها الجمعان بالسلاح الابيض وهَزَمَ فيها يافع الكثيريين ، فيقول :ــ

لأجلِ المُكَلاّ شُفتْ بُومكْسدْ (٥٣) رشَنْ

في كِيرْ مَن يقرُبْ سَقَطْ في ارْشَانَهْ

كُلّنْ خرج حَامل بأيديـهِ الكفـــنْ

واليافعي للمــوت جاب اكفـــانَـــهْ

---

(٥١) الصن : وسخ الاذن •

(٥٢) الفال : الشجاع ، المسرح : الذى يسرح الاقوام اى يعصبهم للقتال •

(٥٣) الكسادى وهو الامير صلاح بن محمد الكسادى امير المكلا •

وضـــاق عنده الوُسعْ في يوم الدّحَنْ
مــا قال فـي البندر عرب دَحَّانَـــــهْ

ويصف المعلم فرار الجيش الكثيرى من ميدان المعركة •• فقد كان العوامر اول من ولّى الادبار،وتلاهم آل باجَرَيْ،ولحـق الجـابري بالفرقتين المنهزمتين• أما همدان آل كثير فكان صفهم ثابتا في الميدان وقد تكبدوا العدد الاكبر من الجرحى والقتلى • قال المعلم متهكما بالطمع الكثيرى :ـ

وقال مابا يَكْفي البَنْـــدَر وَطَـــــنْ
يَبْغَا المُكَلاَّ فوق جَمْعْ أَوطانَـــهْ
راس البـــلا طَرّقْ بموسُه والمَسَنْ(٥٤)
مِن الفَرَحْ ريقُه مَطَرْ(٥٥) في لِسَانه
بينُه وبين السـدّة اِنْ باتِذْرَعَـــنْ
عشْره ، وفي الآخر طَلَقْ كِرْعـانَهْ
فَرْ باجَرَي والعامري قَبـلُه ظَعَنْ
والجابري لي مــا اخْتفى بِضُعانَـــــه
وَلْعَاد خافُوا واسألوا في عَنْ وَعَنْ
في صرفُهُـــم القَرِشْ مــا رَدْ عَانَهْ

أما الابيات التي كان قد غضب منها السلطان غالب بن محسن الكثيري وقرر ان ينتقم بسببها من المعلم ، فكانت قد وردت في قصيدة سابقة قالها فور هزيمتهم أمام الكسادي ، وذلك بعدما خالفوا نصيحته ، وكان قد نصحهم بالتريث وعدم المجازفة ، بعد أن أستولوا على الشحر من اميرها علي بن ناجي البريكي •

---

(٥٤) طرق : بادر
(٥٥) ريقه مطر : لعابه يصب من فمه كالمطر .

ففي قصيدته المشهورة التي مطلعها :ـ

ابدَيْتْ بَكْ وادعوك ياجَزْل العَطـــا

يـــاعـــالم الأسرار ذى فِي حجَابهَـــا

قال مخاطبا السلطان غالب بن محسن الكثيري :ـ

يـــاذا البـرِكْ الشُور مَنْ ذا شَـــارَك

من ذا الذى لَكْ ذى المحازي جابهَـــا

انا الذي قد قلت لَكْ لاتعْجَـــــل

الشَحْر قد جاتَكْ وَأنْتْ أبدَى بهـا

الصَيْرَفي[٥٦] في السوق يُخْرُج مالَكْ

يطْرَح قبُوضَك[٥٧] كلَ شـي في بابهـا

والفُرضة:البَصْرَة،[٥٨] اذا جَانَازِل[٥٩]

يحمل دُواته[٦٠] والقــلم كُتابهـــا

يُرقُم ويُرسم كل ما هـــو باسمَــك

ظاهــر ولا يَخْفَي عليـك احسْابهَـا

غرَّكْ شَويرَك[٦١] قال ما بـا تَسكُن

الاَّ بحكمْةْ خـير تتْعنَّـــا بهَـــا

ما بـــاتطيب الشحر لَــكْ يـاغَـــالب

الاَّ المُكلاَّ لاضوَتْك[٦٢] اربابهـــــا

---

(٥٦) مسؤول الجمارك .
(٥٧) ايرادتك .
(٥٨) اى ان الميناء كميناء البصرة .
(٥٩) وارد
(٦٠) محبرته
(٦١) مستشارك
(٦٢) اذعنت لك

قلت ان ذا الشّور المبارك شــــورك
وقلت هذا اليوم حـــلّ اطـــلابهـــا
قَبَضْتْ حرشيّاتهـــا ، (٦٣) ماذ'مَّـــك'
وطِبْت بالبَقْرَيْنْ ، (٦٤) ياطَلاّبَها !!
قلنـــا المكـــلاّ بايَصَبّح جَيشَـــك
بالحَصـــر ولاّ الفُوسْ طِبّ أَبْوابهـا
ولا تَذكّــرتِ الأفـــاعي يافَـــع
إن الأفاعي سَمّهـــا في نَيَابَهـــا
مِن بَعد ضَرَب الدُور يابـــو مُحسن
خَرْجَت لَكَ أَسْبَاعِ البَلا وِذْيابَهـــا
ويذكر السلطان غالب بفرار جيشه من الميدان فيقول :ـ
شرَدِت لاَ البَنْدَر وتَبقَنُوا فعِلَـــك
شِفْت القَعَيْطي قَوم حَرْشَا(٦٥) جابَها
آلاف من مـــالُه عليهـــا يصـــرف
فَـــلا الرَعيّة حاملين أَشْغَابَهـــا(٦٦)
شَلّ الغَديرْ السّيْلْ يابُـــو مُحْسِن
قومك نَذايـــا هايِمَه فـــي شِعَابَهـــا
هـــاذي فضيحهْ ما يَسَعْهـــا دَفْتَـــر
عَيْفِهْ كفى الله شَـــرّهـــا وَأَسْبَابَها

(٦٣) قرية الحرشيات
(٦٤) البقرين : احدى ضواحي المكلا
(٦٥) حرشا : كثيرة كاملة الأهبة
(٦٦) اشغابها مسؤوليات الصرف عليها وتجهيزاتها .

ثم يقول المعلم مخاطباً رسولَه الذى بعثه بهذه القصيدة :ـ

وبعــد ، يالله ابتكر يالعــاني
بأبيــات مَن راســي وناكتّابهـا

الى قولــه :

واعبُر الــى سـيؤن واقصُد غــالب
إن كان قد صبّــح مِن اعلا شعابها
إن قد توصّل بالسّلامـه هَنّ لُـه
ولْعناد تبذكُر له حجج يخزى بها
ماحد بمـا يكره يقابل مؤمـن
لأن تكفي ورْقتي وعتــابهـا

اما قول المعلم من الابيات السابقة :

انا الذى قــد قلت لـك لاتعجــل
الشحر قــد جانك وانت ابــدى بهـا

فقد ورد فحوى هذا البيت في قصيدة كان المعلم قد أرسلها الى الســلطان غالب بن محسن الكثيرى لدى طرده آل بريك من الشحر • والقصيدة كانت تهنئة من المعلم لآل كثير على احتلالهم الشحر عام ١٢٨٣ هـ ، ومطلعها :ـ

أسالك يــامَعْبود يا ملْجا ومَنْجى مَن سأل
يامَن لكَ التّصريف في لَولا وفي قَولة لَعَل

وفيها قال :

وأسرح الى سيؤن لي في حضرموت أحسن محل
ما مثله الا الشّحر والغنّاء(٦٧) وياغافــل سأل

---

(٦٧) الغنّاء والعوام ينطقونها الغُنَّاء وهو اسم من اسماء مدينة تريم •

وَاقْصُد لَبُو منصور غالب لي لَهُ الأَمر اجْتَمَلْ
سِلِّمْ على كَفِّه وقل لُه طابْ لَكْ وادِ ي العَجَلْ(٦٨)
لَكْ باتطيــع أهلُه : ولاتِعْجَل وَنَاشِفتْ العَجَلْ
ماجابْ حِجِّه غير كُلْ خُسران لأَهلُــه والفَشَلْ

وفي هذه القصيدة بالذات نبَّه المعلمُ الامير عبدالله بن محسن الكثيرى ، شقيق السلطان غالب ، الذى كان قائدا للحملة الكثيرية التى احتلت الشحـــر ، بقـــوله :ـ

مَنْ مِثِل عبدالله ومَنْ لُه في الجِهِه ضِدَّ أو مَثَلْ
طابَتْ لَهُ الفُرضة ويَهْنَاه الـذى فيهــا نَــزَلْ
حرْمِت(٦٩) على غَيْرهُ وهو له بارق الجَوده زَجَل
بَنْدَر عاي بالأمس وأمَّا اليُوم مَنْ يــذكُرُه زَلْ
بَنْدَر ولَدْ محُسن فهل حَدْ يِشبِهَ السلطانْ هَلْ ؟
خُصِّه سلامي قُلْ لُه أصبِر في مكانكَ لاتَصَلْ
في الشِّحر(٧٠) وَطِدَّ مَركَز الدولة: وذا شَانِ الدوُّلْ
العِلَّه تِسْكَر من زبِيْبَه : الحَذَرْ يامَنْ عَقَــلْ
مَولىْ العَجَلْ مايِتِمِّ مقصودُه ولا يِنَالِ الأَمَــلْ

وكثيرا ماقدم المعلم نصائحه وارشاداته لاخوته وحلفائه آل تميم ، غير ان دوافع الهوى والمنافسات الفردية جعلتهم ، احيانا ، يتجاهلون نصائحه فيلحقهـم

---

(٦٨) وادى العجل : وادى حضرموت وسمى كذلك لكثرة الآبار التي يبرحون الماء منها بواسطة عجلات السناوة

(٦٩) حِرمِتْ : حَرُمَتْ

(٧٠) مدينة الشِّحر ويلفظها اهلها بضم الشين والحاء .

الضر فيضيق المعلم بهم ذرعا ويهم بمغادرة منطقتهم الى «بلـد منظومة» على حـد تعبيره •

وفي النزاع الذى دب بين ديار قبيلة آل سلمه تدخل المعلم عبد الحق محاولا اصلاح ذات بينهم لجمع كلمتهم والوقوف صفا واحدا امام التحديات اليافعية • ورغم مابذله من جهد وصبر ظل آل سلمه متنافرين مختلفين،وكانت يافع تحاصر دمون واستمر ذلك الحصار تسعة أشهر • وعن هذا الحصار ، قـال المعلم محرّضا آل سلمه على المقاومة ووحدة الكلمة والتجلّد : ـ

وبعد يا عازِم من الشُّحْرَ هْ(٧١) بِقِرطَاسِ اْسْتَطَرْ
شُحْرَه بِها حَلّيْتْ ما ذلَّيْت في وَقتِ عَبَـــرْ
حَلّيتْ والحَبّ المُصَبَّبْ(٧٢) فوقنا مِثلَ المَطَرْ
صَبَرتْ فيها تِسْعَةَ أشْهُر لَيْسْ حَدْ مثلي صَبَرْ
مانا كما لي جِذْبُوا أنْفُسْهُم(٧٣) وخْرجوا بِالبَصَرْ

ثم يخاطبهم بقوله :ـ

للزّاد والمِزْناد(٧٤) زِمُّوا شُورْكُم يَهْلِ(٧٥) الفِكَرْ
هاذي لُكُمْ عِلْمَهْ(٧٦) وشُو مَن لاتعلّم في الصِّغَرْ
في مَدْرَسَةْ لَعَادْ يِتعَلّم اذا حانَ الكِبَـــرْ

وكان الخُلف الضارب أطنابه بين آل سلمه قد دفع بالمعلم الى حافة اليأس ،

---

(٧١) اسم من اسماء دمون
(٧٢) المصبوب ويعني به الرصاص •
(٧٣) يقصد آل بن نبهان حلفاء آل سلمه الذين غادروا دمون ابان حصار يافع لهـــا •
(٧٤) الزاد والمزناد : الحرب ومتطلباته •
(٧٥) يا أهل ولكن الوزن ارغمه على ادغام الألفين •
(٧٦) مدرسة كما أوضح ذلك في البيت الذى تلاه •

فقال من قصيدة أخرى، يعنف آل سلمه ويشدد النكير على تفرّقهم وكثرة آرائهم المتضاربة ويهدد بانه سوف يتركهم غير آسف عليهم قال :

ثُمْ قــال عبدالحق طَــرفي ســاهِر
وبــات ليلي ماتَهَنّــا نُومَــــه
حَيْران غَيَّبْتِ الرّقيب الزّاهـــر
والسّبع والميزان غِبْنَ انْجُومَـــه
لا هَمّ مِنْ دنيــا ولا من فِتنــة[77]
أيضــا ولا هي شوكتي مكْدُومَــه[78]
إلاّ مــن التمحيص[79] ذِهنـي حايــر
والقَبْولَه أوثانهــا مَهدُومبــه
تِبكي وتشــكي وَيْنْ مَن يَنْقُذْهـا
مِسْكِينة الحُــرّه مَسَتْ مظلومَــه
مَن لا يعــز القَبْولَــه يتْمَسكَنْ
يعْمِدْ وَطِيْ وَلاّ يعَيّل[80] نُومَه
وان كان مثلي، للمعــزه يعمـــل
ويشِيدْ في أقوالــه بوِحْدَةْ قَوْمَــه

الى قوله :ـ

والعَطْبْ فَرق الشّور بَينْ الجُمْلــة
من ضَاع شُوره قُلْ يِبِسَنْ أعْتُومَه[81]

(٧٧) فتنة : حرب .
(٧٨) مكدومة : مكسورة .
(٧٩) قل السواء .
(٨٠) يعيّل : يذهب
(٨١) عتوم : سواقي

لاكثروا العقال ضعن أشوارهم
عيني بناس أشوارهم مزمومه (٨٢)
في راس واحد شورهم ولذلك
ترى ديرهم عا العدو محرومه
قايستهم بعد الزرا(٨٣) لي فيهم
تمسي جميع احوالهم مضمونه
احوال فيهم هيته مايجب
شيء منها ظاهر وشي مدغومه
نشبت(٨٤) فيهم يالله اصلح حالهم
ما حيلتي نفسي بهم مهمومه

ثم قال الثلاثة الابيات التالية التي اصبحت مضرب مثل في حضرموت وفي المهاجر الحضرمية الى يومنا هذا ، وستظل كذلك الى ماشاء الله : قال :

لغزت محد من كلامي استغنا
ذا ثور ما بوشي(٨٥) على تلقومه
كنودي اذا ماشي صلح لي منهم
باشل نفسي لا بلد منظومه
ماطارفتي(٨٦) الا القلم والمغرا(٨٧)
ماقول شي جحلة معي مرزومه(٨٨)

---

(٨٢) مجموعة .
(٨٣) الفضائح التي ذاعت بين الناس عنهم .
(٨٤) وقعت فيما لا مخلص منه .
(٨٥) ما بوشي ، لن استطيع تلقومه تعني عمل اللقم له اى افهامه ما اقصد .
(٨٦) الطارفة : الممتلكات .
(٨٧) المغرا : المغراة وهي ايضا المحبرة .
(٨٨) جحلة : الاناء الكبير ومرزوم اى مليء بالتمر أو الحب .

صحيح ، لم يكن « شيخ الفقراء » يملك في دمون حتى القليل من التمر حتى يندم على ضياعه او فواته لو أنه جد في العزم وترك آل سلمه في اختلافاتهم المزمنة • وذاعت اشعار المعلم في الاوساط الحضرمية ، كما كانت عادتها ، واصبح آل سلمه بين القبائل احدوثة هزء وسخرية ، وبعد حين قلبوا صفحة جديدة من حياتهم وساد الاتفاق والوئام بينهم • وفي هذا يقول المعلم من قصيدة طويلة :ـ

وبَعَدْ ياعاني(٨٩) تُوكلْ بالله
مِن شِعِبْ يَعتاد البلا(٩٠) وزَمانِه(٩١)
شِعِبْ آل سلمه لي حَيِي مِنْ موته
واللَّهْ عَزَّه بعدَ ما قَدْ هانِه

والواقع ان المعلم كان معروفا بشدّة ولائه ومحبته لحلفائه آل تميم،وكان يخص آل سلمه والمقدم الاكبر بن يماني مولى قَسَمْ بالقسط الاوفر من ولائه ومحبته • وكما سنرى من قصائده ، فانه كان يوزع ولاءه ومحبته على ثلاث جهات : بني ظنّه عامة ويخص منهم آل تميم ، والسادة العلويين وخاصة المناصب آل الشيخ ابي بكر بن سالم مولى عينات ، ويافع (الذين يطلق عليهم اسم « العسكر » في اشعاره) وخاصة الجمعدار عوض بن عمر القعيطي والنقيب صلاح ابن محمد الكسادي •

ولم يسلَمْ المعلم عبدالحق من أذى بعض الأنفس البشرية المريضة الممتلئة حقدا عليه لما كان يتمتع به من مقام اجتماعي مرموق في بيئته • فحاولت تلك الانفس الخبيثة الشريرة افساد العلاقات الطيبة القائمة بينه وبين المقدم بن يماني بالوشايات وتلفيق القصائد الكاذبة ونسبتها اليه ••• وكان المعلم يشير الى ابن يماني في اشعاره ب (اللاّبُو) أو الاب الاكبر ، ويذيّل رسائله اليه بكلمة

(٨٩) العاني : المرسول •

(٩٠) البلا والهمزة ترخم عادة من مثل هذه الاسماء المنتهية بالهمز •

(٩١) الزمانّ : التعب ، ويعني أيضا القحط او الجفاف •

« المملوك » • واعتاد المقدم بن يماني (كان عبدالله بن احمد بن يماني ثم خلفه ابنه احمد بن عبدالله بن يماني) ان يخاطب المعلم بكلمة « الوَلَدْ » ، وهكذا كان الرؤساء يخاطبون الشخصيات البارزة في قبائلهم ، ويذيل رسائله اليه بجملة « طالب الدعاء » • فالمجاملة ، كما نرى ، كانت متبادلة بين الشخصين الكبيرين على الطف ما يكون الود والصفاء بين محورين يشعر كل منهما بمكانته ومكانة صديقه في مجتمعهما • وبما ان اشعار المعلم كان لها ثقلها عند القبائل ، لانه ، على حد قوله « مثل الاسد اذا زأر اهتزت لزئيره الجبال الشوامخ » ، فقد أرسل المقدم ابن يماني ، ذات يوم علي بن احمد الغادي الى المعلم يخبره بانه بلغه ان المعلم قال فيه قصيدة هجاء.ومن قبيل الاحتراز أرسل المقدم بن يماني عتابه الى المعلم شفهيا ولم يرسله مكتوبا حتى لايؤخذ عليه حجة في اتهامه المعلم في ولائه للرابطة الظنيّة وهو اتهام لن يقبله آل تميم ان يصدر من مقدمهم الاكبر ضد شاعرهم وحليفهم واستاذهم المعلم عبدالحق •• ولكن صِغَر سِنّ المقدم احمد بن عبدالله بن يماني هو الذى جعله يقدم على هذا العمل ـ رغم ما في اقدامه من حيطة وتردد ، دون استشارة عقلاء آل تميم • وكادت ان تعم الفتنة بين المقدم بن يماني وجانب كبير من عقلاء آل تميم لولا أن تدخل المعلم نفسه فأطفأ النار المشتعلة ومزق القصيدة التى قالها بهذه المناسبة ، غير انها كانت قد سارت بها الركبان ، وانه لمن حسن حظنا جميعا أن حُفِظَت القصيدة ومنها نذكر مايلي :ـ

قَال الفتَى الشاعرْ بَلغَنَا أليَومْ مِنْ حَدْرَا(٩٢) عِتَابْ
مِنْ قَوْلَةِ القائَلْ ، وَلاَ شيء في رِسَالَةْ تُستْجَابْ
يَقُول صَرْنَ(٩٣) أبياتْ مِنيّ في النَّمِر عالي الجنَابْ

(٩٢) حدراء أسفل وادى حضرموت ، ويقصد مدينة قسم مقر مقدم آل تميم بن يماني •
(٩٣) صرن : صدرت •

أحمَدْ ولَدْ عبدالله الهَيْج المُطوِّع[٩٤] في آلرِّكَـــابْ

الى قوله :

وبَعْد ياعازمْ عِزمْ بَابْيَـــاتْ مِنيّ فـــي كِتَـــابْ
قَصْدَكْ الى القوزْ[٩٥] المَعْدَّرْ بالرَّجاجيْل النِسَـــابْ
أبلغْ سَـــلامْ آلافْ للشَيِّبه وأبْلغْ كُلّ شَـــابْ
علي حَمَد بَلْغَادِي أَبَغْشَنَا[٩٦] ومَنْهُ القَلْـــب ذابْ
هو ليَ نكَشْ هَاجِسِي لِي في الجَوده[٩٧] أدعابهُ وَجابْ
بهْ ذمْ مَنْ يَفْسَلْ ومَنْ هُوْ جيْد حاسِب لُه حِساب
مِثل الأسَدْ لِيْ مِنْ زَئيرهُ تَرتَعِدْ رؤس الشعَابْ

الى قوله :

إنيّ سَمِعتْ أبْيَاتْ مِنْ رَبّي عَلَيْ مِنهِنْ حِجَابْ

ويقول عن بن يماني

إنْ بَايَصدّقْ كُلّ من بالقُبْح صَبّح لـــه وَجَابْ
مار بِيحْ لُه في السَّمِيع ، لانّي ما أسْتَحقْ هذا العِتَابْ
يُجيبْ لي نبَّاح يابو سَعَدْ[٩٨] مِنْ جِنْز الكِلابْ ؟ !
من قال عبدالحق يَتكَلّم بشَيْ مـــاهُـــو صَـــوابْ
أوْحَدْ يقُول انّي عَتبْتْه يِغلْهَرْ ابيـــاتِ العِتاب[٩٩]
ويَدّعِي من تَحت مَن يَحْكُم ولـــه منِّـــي جَـــوابْ

---

(٩٤) الجمل الذى يقود القافلة .
(٩٥) القوز : اسم قرية من قرى آل تميم مقر آل مرساف .
(٩٦) ابعثنا آثارني .
(٩٧) الافعال الجيدة وكذا الصفات الحميدة .
(٩٨) مقدم آل مرساف الذى ارسل المقدم اليه هذه القصيدة .
(٩٩) العتاب : الهجاء .

ان قد فُلِجْتْ[١٠٠] : احلف يمين الشّرع وآيات الكتابْ
إنّ النّقا[١٠١] راسي رضا لحمْد زميمْ أهلْ السّلاب[١٠٢]

الى قوله :

ينشدْ على من قالهنْ : في الخلق لُـه شاني وحاب
وان كان ماعندُه خبر شنو الجوفْ منّي في التهابْ
انا الذى لاجْل التميمي دُوبُ وقتي في الحِنابْ
أنا الذي دافعْ ونافِحْ ، دُقّهَا الرّوس الغلابْ
انا الذي لِلْمَوت قاحِم ماتُوطّيني الشّطّاب[١٠٣]
وَقفْتْ في الكوْده[١٠٤] وفي باعطيرْ[١٠٥] في عكْر الطّياب[١٠٦]
بالحِجْنْ[١٠٧] ياكمْ سَلّخت يدّيْ بهن كمّنْ شباب
مِن أجل عِزّ الظّنّي حَاشَا ماتوارى بالحجابْ
انا الذي قد شفتْ كُلّا قد جِبسي دمّه وراب[١٠٨]

ثم يقول عن المقدم بن يماني :ـ

ما بـا اعتبُه حاشا وكلا ، لا ومَنْ ينشي السّحابْ
مابُـه مذمّه لاجْلْ ذمّه مثلْ مَن خالفْ وعابْ
هلْ حدْ يعتّبْ مَن ظهر بالصّائطة[١٠٩] قبل الشّبّاب؟

---

(١٠٠) اي ان ثبتت التهمة الموجهة ضدي .
(١٠١) العوض .
(١٠٢) السلاب : الاسلحة .
(١٠٣) السيوف والخناجر الجادة .
(١٠٤) الكودة : قرية آل بلفهد آل تميم .
(١٠٥) باعطير قرية آل عبد الشيخ آل تميم .
(١٠٦) القتـال .
(١٠٧) الجنابي .
(١٠٨) جبسي وراب بمعنى واحد وهو جمود الدم الذى يشل حركة المقاتل .
(١٠٩) الصائطة : الصيت الواسع .

الجيد ما يستاهــل الاّ غــير لَبْيَــات العِجَــــاب

الخ .. الخ

ثم يتذكر المعلم ما كان بينه وبين المغفور له المقدم عبدالله ، والد المقــدم احمد ، من صداقة ومحبة فيقول مشيرا الى ما كان له من مجهود كبير في جمع كلمة آل تميــم :ـ

تاقِنْ فَعَالِ الجيدْ لـي سكْنَتْ عظامه في التــراب
هو سِدةَ الوادى فــلا هُوْ مِثِلْ مَرْدَمْ تَحتْ باب
هولي تَشَالاهُمْ [110] وقَوسْ في الشَّنَبْ يوم الضِّراب [111]

ثم يقرّع المقدم بصورة غير مباشرة فيقول عن والده :ـ

مايكْهل الكلمه الجَخيره [112] في عُوانِــه والصحــاب
ولا يبُادرْ بالهَوينه [113] في قَبَل صاحِبْ وَحَــــاب
رُوَيْد ثُمْ اروَيدْ يمْشي لايزَقّــل بالغشــاب [114]
لانّه فَطِن يعْلَمْ بانَّ الذَيْم في الباطــل هَبَــاب [115]
والختــم صلى اللّه على مَنْ لُـه يحِنّين الرّكـــاب
سَيّد قُريش الهاشــمي لي كُل مَنْ حَبُّه يُشَــاب

لكن ولاءه هذا لايميل به الى التجني على الآخرين . فرغم الود المفقود بينه

---

(١١٠) عالجهم .
(١١١) الشنف : الصف من الرجال . والصراب : حصاد الحب ويعني صف القوم حين الحــرب .
(١١٢) الجخيره : الكلمة النابية .
(١١٣) السب والشتم .
(١١٤) الجمل عندما يرفع رأسه وينفي بالرّغوة من فمه بدون شعور اي لايلقي بالكلام على عواهنه .
(١١٥) مثل حضرمي (الذيم في الباطل هباب) اى التهمة المبنيــة على كذب تنقلب هواء لا قيمة له .

وبين آل كثير (الذين يشير اليهم احيانا ، في اشعاره باسم همدان او الدولة) فانه لايتوانى عن الاشادة بهم والثناء عليهم ، وله فيهم مدائح ، سوف نأتي عليها في هذا الكتاب • تعتبر من جيد اشعاره ، وذلك عندما يصدر منهم مايستحق الاشادة به •••

لقد عرف عن المعلم الصدق ودقة الوصف في اشعاره • وهو يعرف هذه المزية عن نفسه وكان يتيه بها على معاصريه من الشعراء الشعبيين •• بل إنها في نظره صفة يجب ان يتحلى بها كل شاعر أصيل • فقد كان يرى ان جيد الشعر الصادق هو المبني على بساطة التعبير ، لا الشعر المبني على ذلاقة اللسان ، وايضا فان الشعر الجيد هو الذي يقال سليقه لا الذي يقال بحكم تملّك الثروة اللغوية والالمام بصناعة القريض •• ذلك هو معنى « الذّلَقْ » باللهجة الحضرمية •

قال :ــ

كُــــلاً كلامُــــه مــن لِســـانُه وافي

بالصّدِ ق ، ماهــوبالذَّلَقْ في لْسَانـــــــهْ

ولا يخشى المعلم أن يتلو ، في حضور آل تميم وغيرهم من اصدقائه وحلفائه قصيدة قالها في خصمهم ، اذا استحق خصمهم ، في نظره ، أن تقــال فيه قصيــدة تشيد بجلائل اعماله : قال :

واهلِ الطَمْع شِفتُهُم كُلّن كلامُه زَيْــن

مازالَتِ العِين في الصّاحب تْشُــوفِ العَينْ

واذا ابعَدوا ما يُجُــونْ الا الكلام الشّيْنْ

وَيِشْهَدِ الخــاصْ فيما قُلتْ بُه وَالعــامْ

★ ★ ★

كذلـــك ان قُلْتْ ، قَولي لِلْعَرَبْ ظَــاهِرْ

مَابَيَنْ دَوْلِه وعسكَرْ لَيْس أنا حَــاذِرْ

وَلَيس أنَا مِثْل مَنْ يَخْفِي وَهُو شَاعِرْ
أنَا أمْدح الخَصمْ لاقَدْ طَيْر سعْدهْ حَامْ

★ ★ ★

مَنْ جَاءْ الى الحَدَرْ(١١٦) من عَلْوَهْ وهَوْ يشْعَر
يمْدَحْ بهْ الظَنّي المَجْرُوبْ(١١٧) في المَحْضَرْ
ولاَ يسوقه عَلَى هَمْدانْ والعَسْكَرْ
وأحْلِفْ يَمِيْن انّ قَوْلي صِيْط لهُ وأعلاَمْ

وان ما قاله المعلم عن نفسه هو الصدق .. فانه لم يكن من أهل الطمع .. وقد عاش فقيرا معدما على عزة نفس وشموخ راس . ولم يكن يوارى فقره وحاجته بل كان يلقب نفسه في اشعاره بـ « شيخ الفقراء » و « رئيس الفقراء » .. ويعلم انه كان يصارع الزمن ، رغم الهبات الجزيلة التي كانت تزف اليه ويوزعها على الذين كانوا اكثر فقرا منه ، فتارة غالبا وتارة مغلوبا ، وان البلدة « دمون » التي حل بها لاتوجد بها غير رائحة البارود .. فهو لم يسكنها سعيا وراء الكسب المادى وانما لنشر العلم ذلك لان التعليم عمل مبرور ويفضي الى القربى من الله عز وجل ... قال :

وَعَبْد الحَقّ هُوْ والزَّمَن هَبّه بهبّه(١١٨)
عَمَدْ فِي شعْبْ بهْ رِيْحَةَ البَارُوتْ شعْبه(١١٩)
وَلا لخَلْفَ الطَّمَعْ في قفَا نَخْلِهْ وجربَهْ(١٢٠)
سَكَنْت الشّعْب لكِن لِتَعْلِيْم الأحِبّه

---

(١١٦) الحدر وحدراء بمعنى واحد وهو اسفل الوادى ويقصد بها مثاوي آل تميم .
(١١٧) المجروب : المُجَرَّب في الحرب .
(١١٨) هبه بهبه : في صعود وهبوط اى في فقر وحاجة تارة وفي كفاف تارة اخرى .
(١١٩) أي أن شعبه هو الذي تفوح منه رائحة البارود على الدوام ، ويقصد به مدينة دمون .
(١٢٠) الجربة : حوض النحل .

وفي التَّعْـلِـْم بَرَكهْ وَخَيراً نَسْتَعِدْ بِـــه
بِحق « اقرأ » عَسَى الحقّ يكْرِمنَا بِقُرْبَه

وإننا لنقرأ عن مشاهير الفنانين من شعراء ورسامين وأدباء فنجد بينهم من يستغرقه فنه فلا يهتم بأبنائه ويتركهم جياعا حفاة عراة .. وكان المعلم من ذلك الطراز الفريد من الفنانين . فهو القائل :ـ

لاهَـمّ مِنْ دِنْيَـا وَلاَ قَلْبِي مكَلّفْ بالعِيَـالْ
الاّ مَخلِيّهَا عَلَى وَجْه المُهَيمنْ ذِى الجَـلاَلْ

ويقول المعلم من قصيدة مدح بها المقدم عبدالقوى بن يماني على موقفه المشرف في حوادث نهب الشحر على يد الجنود الكثيريين لدى اندحارهم امام القوة اليافعية ، وكان آل كثير مغادري المدينة . وقد وصل عبدالقوى بن يماني مـن اندونيسيا ، ونزل في بيت آل منصور بحافة المحضار بالشحر . فداهم هذا البيت جماعة من آل كثير الفارين من البلد ولم يكن لديهم علم بوجود بن يماني فيه . فدافع عبدالقوى عن البيت وصد المعتدين دون ان يصاب البيت او اهله بأى أذى .. قال :ـ

شَهَرتْـهُ يَومْ جـاَت أخْبَارْ مِنْ نَـاسْ
فِرِحْ قَلبِّي وأخْـــزَى لـــي بليســـهُ
مَدَحْتُه لَيْس أنَـــا يـنبَانَايِس قِسَّــاسْ
وَلاَ للِـــكُسْوَةْ أبياتي لِمَيْسَـــه[١٢١]
وبـــافَضِّـــل عليهـــا شَامِـــخ الرَّاسْ
وَنفْسِي للطَّمَّــع ماهـــي فَرِيْسَــــة

ويقول عن درجة فقره :

(١٢١) لميسه : ملتمسه .

رُدّوا عليــــه المعــــلم رَيّس الفُقْـــــرا

رُدّوا عليــــه لي قُوَالُه فِكِرْ وتُفْـــــكّار(١٢٢)

ومع ذلك فقد كان المعلم عبدالحق شاعرا متكسّبا بشعره شأنه في ذلك شأن بعض فحول شعراء العربية السابقين واللاحقين • وكان يرى ان له حقا معلوما في الهبات السخية ، ولذا كان ، من حين لآخر ، يشترط نوعيتها في قصائده •• ولم يكن يأخذ هبات على مدائحه من غير السلاطين، لانه كان يعتقد أنّه يَسْدي اليهم معروفا بالاشادة بأمجادهم العسكرية • والواقع ان المعلم عبدالحق استطاع ان يدوّن لمن عاصرهم من السلاطين مفاخر لم يستطع خلفاؤهم من بعدهم ولا الذين كانـــوا يحيطون بهم ان يسلكوها في سجلات التاريخ • وما كانت مفاخرهم ، مهما كانت ومهما كان تقويمها في نظرنا اليوم، لتسرى على ألسن الشعب لولا اشعار المعلم عبدالحق • فاذا كان قد اشترط عليهم شروطاً في الهبات التي تساق اليه فهو لم يخرج عـــن جادة المساومة المنطقية •• على انه كان يرى انه يخرج دائما من مثل تلـــك المساومات بصفقة المغبون شأن جميع الفنانين الأصلاء •• قال :ـ

« وعَادَنا المَبخُوصْ كَيفْ أُجْهَلْ وَغيري ما جْهِـل »

بيد اننا عندما نفحص اشتراطات المعلم نقتنع بانه كان صادقا حينما ينسب الى نفسه القناعة ولم يشتط في الطلب ولا في الأمل • قال :ـ

لكننّـــا شُـــوف يامَنْ قدْ حْضَـــرْ يَسمَعْ

يتبارك التّمر في منـــزلِي يـــوْمْ أقْنَـــعْ ـ

وكُـــلَ مَنْ لَاقْنِـــعْ ذي كَلْبـــه ما ينفْـــعْ

ومَنْ عَطاه القليلْ ألقـــا حَنَقْ وزَرّام(١٢٣)

(١٢٢) التفكار : الدفع الى التفكير •

(١٢٣) السكوت عن الكلام •

لذلك فان المعلم كانت تكفيه « خُبْزَة الخُرِيف » و « العمامه القُطنيّة » او الكسوة المكونة من ازار أو رداء . قال :

ما قَصْدِى الاّ من فَرَحْكُم شُـقَّة(١٢٤)
بَاطْلَعْ الى الغَنَّـا وباتْردّى بِهَـا

وقال :

ذ كْرُوا لنا آعَطَيْتِ المُفَلّح(١٢٥) كَسْوه
واما الْمُعَلم له عليك الرّادى

وكان يقنع بالهدية اذا سدّت حاجة اليوم المنزلية .. قال :

وقَدّمُوا لُه ليومُه لَيْسْ للذُخْرى
قليل من لِي يسد حاجات أهل الدّارْ

فشاعرنا يومه عيده ، ويغلبه طبع المجاملة الكامن فيه فتراه يصف بعض الهبات بانها عطايا دُوَلْ مبالغة منه في المجاملة وعرفان الجميل قال :

وادْرِكْنه بالعَطْوَةْ وبادْرِ حِلّها عَطْوةْ دُوَلْ

ولم نقف في أشعاره على أن أميرا يافعيا او شنفريا ذبح له بِدَر النّضار او أو دَسّ له الاحجار الكريمة في فمه او أقطعه ضيعة أو أنعل خيله عسجدا او اجرى له راتبا . لذلك لم يستطع « إحسان » الامراء أن يقيد لسانه ، فظل المعلم عبدالحق طيلة حياته مالكا زمام نفسه التي لم يبعها « للعطايا » ...

وبأفَضّلْ عليها شامخ الراس ونفسي للطمع ماهي فريسه

---

(١٢٤) الشقه : رداء طول سبعة اذرع يتردى بها المقادمة والمشائخ .
(١٢٥) المفلح : الشخص الذى ينادى بالخبر بأعلى صوته .

واذا كان المعلم لم يطمع فى المزيد الكبير من العطاء والأحسان مقابل اشعاره فذلك لانه يعتذر للسلاطين من آل كثير بالفقر ، ويعتذر للسلاطين من آل القعيطي بالسَّفه وسوء التدبير .. أليس هو القائل عن فقر آل كثير ..

الوَالــي الفَقْري يُضيــمْ الرَّعْــوي
ما يِفْلَــح الرَّعــوي بِفَقْــرِ الـوالي

ويقول عنهم :

للحاشيةْ(١٢٦) لاجْـلِ المَحَلّه(١٢٧) ياخُذ السّـابر(١٢٨) دُيونْ
وَيَرْهَــنِ أسْــلابُه ، ولا هِي هَيِّنَةْ طَـرْح الرُّهُـون

واذا مدحهم رغم فقرهم ، فأنه تتقمصه روح رياضية كما يقولون ، فـــلا يطالبهم الاّ بالميسور ... قال :

بالعــين بانظُرهُــمْ وباهَنّي لهُــم
والهِمّة (١٢٩) اللّي مِنّهُم مَقبُــولَه

ويقول عن عبث القعيطي :ـ
شِفت القَعَيطِي لَيْس خَزْنُوا مثله اللّي بَخْزِنُونْ
كُلاّ بغا القُلْمَه(١٣٠) من العسكر ، وقُلْمه لِي يُجُــونْ

---

(١٢٦) الحاشية : عبيد السلطان .

(١٢٧) المحلة البقاء فى المراكز .

(١٢٨) السابر : الحاجيات اليومية

(١٢٩) العطاء

(١٣٠) الانخراط في سلك الجندية .

من الجبَل[١٣١] والهند[١٣٢] والقبيلـه[١٣٣] ويحلُبْ من لبُونْ
كُلُوه مانفعُوه لايعرفْ ولا هُمْ يعرفُون
عَنْ مُنْكَرٍ لي ماتناهوا كيفْ هُمْ باينتهُونْ ؟
يكْفيه ما قد صار لوْ يُسْمَعْ كما لي يسمعُون
وما معه من مال يبقى لُه ولأهْلُه والبنون
لايعتمي ، والله عطَاهْ السمعْ وعْطاه العيُون

وبالنظر الى قناعته المشبعة بالمفاهيم الدينية والصوفية ، فقد كان المعلم يأبى قبول الهبات الحريرية ويفضل عليها الهبات القطنية • وكان ينفر من القماش الاسود « والدساميل المُذَبَّلَة » تجنبا للخيلاء والتفاخر • يقول : ـ

انْ كانهَا كَسْوَه غَنِي عن لِبْسْ لي فيها الذَّبَلْ

ويقول : قبُول انْ جَاتْ كَسْوَةْ بَزّ لا بأس
أرِيدْ أسْرَحْ بِها وَأنشُرْ لَبِيْسَهْ

ويقول : وأحذر مِنِ الأسْوَدْ غَني عن لبس لَسْود والحريْر •••

ومع كثرة انشغاله واهتمامه بالتعليم والشؤون القبلية وأحوال عصره عامة ، كان المعلم عبدالحق مرح الفؤاد يحب رياضة قنص الاوعال حبا جما •• وهي رياضة محببة الى النفوس في فصل الشتاء عند اهالي حضرموت ، ولها قوانين ونظم خاصة بها نلمحها في أشعار المعلم وغيره من الشعراء وتتطلب ممارسة هذه الرياضة لياقة بدنية وخفة حركة وسرعة بديهة ومهارة في اطلاق نار البندقية العربية التي كانت تستعمل آنذاك • وكان المعلم عبدالحق يشترك في القنص اشتراكا فعليا ايام

(١٣١) جبل يافع •
(١٣٢) الرويله وقد ذكرناهم بالتفصيل فى شرح صفحة ـ١٦٥ـ من هذا الكتاب ـ
(١٣٣) قبائل القبلة كالصيعر وبلعبيد والشحابلة ونهد •

شبابه وجزء من كهولته • اما في شيخوخته فكان يتابع أبناء القنص بشغف ملحوظ ويشيد بالقَنّاصة وبمواكبهم وبالاوعال التي يصيدونها • وهو مع ماعـرف عنـه في إجمال الوصف ، يميل الى الحديث بتوسع عن هذه الرياضة ويسلس الشـعر عنها لكي يكون قصيده قريبا من مدارك وقلوب غالبية رجال القنص •

ولشدة ولوعه بهذه الرياضة نراه يبالغ في تبسيط ولعه بهذه الهواية فيقول :

لو خيّروُنـا ثلاثين ْ ألف ْ مرّه ْ صَـر ْ
وما حوَت ْ بُه جِهْة جاوه وهند ُسْتان ْ
لااختر ْت ْ شَوف ْ الخنَب ْ(١٣٤) لاقدْ ُه ْ يتعزّز(١٣٥)
والقامزي(١٣٦) من على راسُه كما البنيـان ْ
مالي وللمال ْ لْو قالوا بَحـرِف ْ أحمَـر ْ
شِي بايِقَع ْ زاد ْ مْن مالي سوى الاكفان؟
الزّاد ْ زادِ التقى في الآخِـر َه ْ يُذ ْكَـر ْ
يـاَرَب ْ مِتنا على الاِسـلام ْ والاِيمان ْ

ذلك لانه يختصر الصراع على الحياة الى اصغر حديه •• وماذا في هذه الدنيا جدير بالاهتمام غير الترويح عن النفس بالخروج الى الهواء الطلق فـي أحضان الطبيعة للسلو ونسيان عبث الحياة؟ فالعكوف على جمع المال حتى ولو كان جمع الدنانير الذهبية ، تهالك وتهافت على شيء لاطائل من ورائه غير ما يكفي لسد ثمن الكفن ، وان خير الزاد التقوى لمن أراد التزوّد من هذه الحياة •

ان المعلم عبدالحق ذا الثقافة الدينية ، يصدر بهذه الفلسفة السلبية عما ذاع

(١٣٤) فرق الصيد •
(١٣٥) يعدو على الجبل •
(١٣٦) الباروت •

وشاع في منطقته المجاورة لمدينة تريم ، مركز الصوفية العازفة عن الحياة الإيجابية على عهده ، وهو الصدود عن الدنيا والاقبال على الآخرة ولو نظريا ، رغم أن « رئيس الفقراء » صاد عن مفاتن الدنيا بحكم الطبع والمحيط .

ويقول منبهاً رجال القنيص الى حلول فصل الشتاء :

هَلْ الشّتا طرّفوا كَمّنْ كَحِبْ(١٣٧) أخْضَرْ
وباتَقَعْ في الخَنَبْ رميه اذا قد حانْ
هُمّوا معا اهل الثّنا لي رَوْعُهم بَدَّرْ
بَيت الرّياسه رَجَاجيل الخلاَ شُجْعَانْ

والرئاسة رئاسة القنيص ، وهي لها اناس معروفون من ذوي الحركة والنشاط الملمين بقوانين الصيد . ثم يذكر شلل القنيص وهي الجماعات المعروفة في اصطلاح القنيص بالذُكْرَة .

يقول العلم :

ذُكْرَةْ يماني ضَواري مَنْ ضَرَبْ نَصّرْ
أيضاً وذُكرة سَعِيد الغَلْبَمة الصّغْران
أيضاً ولا أنساهْ مَنْ هُوَ داري المصدر(١٣٨)
راس المُرَّوْه زميم الشّور بِنْ عُثمانْ
باروتهم تَحْتْ عين الشَّمْسْ يتْنَزّرْ(١٣٩)
تَنْظُره في كل جانِبْ يَشْبَهِ الغُفْرانْ(١٤٠)
يهْدِوْنْ لاهْلْ المناصِبْ كُلّ ما بَشّرْ(١٤١)

---

(١٣٧) الكحب : شبك القناصة المغزول من صوف الغنم .
(١٣٨) داري المصدر العمود الذى يقوم عليه محراث الارض .
(١٣٩) اى يتصاعد في الهواء كغدائر الغزل الكثيف .
(١٤٠) جمع غُفْر وهي صغار الاوعال .
(١٤١) يهدون : يسوقون الى الذين نصبوا الشباك وما (بشر) اى ما يبرز لعين الصياد من الوعل .

مِنْ ذِيكْ لَغْفَارْ(١٤٢) لي تنقاد بالشيّـان(١٤٣)
مثل المَراكبْ وشَيْ مثـل البَرْش(١٤٤) واكْبَـرْ
والريَـحْ قدامهن كَمّـنّ ولـدْ سكْرانْ
لاَبـدْ ماشُوفْ كمَنْ فلُكْ يتكَسّـرْ
واد قَالهـنْ بِيْـد كمّن جيّد في الغيـرانْ

وقولـه :

انـا لَـوْ خَـيّرونا ثلاثـين الف حمـراء
تخـيَّرت الجَبَـل شـوف حصيانه ولَمْـرا
انـا قلـبِي غَنِي لَومْعـي في الدّار مُصْرَى
يُفُـوتِ المـال والتّاليـه نمشـي لِشِـبْرَا

لو ان الاقدار خيرته بين ثلاثين ألف نخلة من جنس الحمراء الشديدة الحلاوة ، لمـا أختار غير الجبل بحصية واحجار مروه • وطالما ان كل شيء الى زوال وان الحوزة الاخيرة مساحة صغيرة في بطن الارض ، فانه لن يعدل برياضة القنيص بديلا حتى ولو لم يكن في بيته من الطعام الا رطلا وجزء الرطل •

* * *

والمعلم عبدالحق شاعر ذو نفس متفتحة على الافق الطبيعي المحيط به بما يكتنفه ذلك الافق من مظاهر الجمال والقوة والرهبة والايناس والالفة والنفرة •

فالاشجار بازهارها وأوراقها ، والجبال بقممها وسفوحها ، والاودية بخلجانها واخاديدها ، والانواء ببرقها ورعدها ومطرها وسيلها ، والحيوانات الاليفة والمتوحشة

---

(١٤٢) جمع غفر وهي صغار الاوعال •

(١٤٣) جمع شائب وهي الاوعال ذات اللحي التي تقود فرق الصيد في تحركاتها •

(١٤٤) جمع بَرْشَه وهي السفينة الحربية ومنها حرف اسم بارجة والكلمة فارسية الاصل • وقد شبه رجال القنيص بالاعاصير امام السفن (الاوعال) وان هذه الزوابع لابد ان تغرق هذه السفن وانه سوف يشاهد سوارى السفن أي قرون الاوعال بايدي القناصة حينما يجتمعون في الغيران في المساء • ويقال لراس الوعل وقرنيه « القَشْعَة » وتكون من نصيب الصياد الذى يصيب الوعل أول اصابة برصاصة من بندقيته •

وما لهذه الحيوانات النافعة او الضارة من دالة او أثر على الحياة الانسانية •• كل اشتات هذه الاسرة الطبيعية لها مكانتها في نفس المعلم وبالتالي أشعاره بما فيها من استعارات وتشبيهات • انها استعارات وتشبيهات صادرة عن قلب مفعم بالاحاسيس وجياش باثر المحيط الزاخر في نفس الشاعر •

اننا نجد قصائده عامرة بأطياف شتى تنبض بالحياة • بيد أن تفاعله مع الافق الطبيعي وتعبيره عن ذلك التفاعل له مذاقه الخاص في اشعاره • وتكفينا عن ذكر الامثلة المتعددة صورة واحدة من صوره الشاعرية ، وهذه سوف تدلنا على ولع المعلم بالتمثل بالحيوان والجماد تمثل من يشعر ان الحيوان والجماد مظهران من مظاهر الحياة التي نستطيع ، بحكم ما ركب فينا من طاقة محدودة ، ان نجتليها ونبادلها الشعور • وتقتضي المعلم هذه المبادلة ان يمنحها الحركة والارادة في ألوان لطيفة متداخلة تداخلا محكما لانشاز فيه ولانبوة ، وكأنها ألوان ممتزجة في لوحة رسام بارع توحى للناظر اليها بمختلف الرؤى والمعاني •

اننا نقرأ عن حادثة ما من قلم مؤرخ فنصغي الى قصاص يروي لانه كان عليه ان يروى ليشبع نفسه بمتعة الرواية • وهنا لانشعر الا اننا امام حادث عادي من آلاف الاحداث التي تطويها سجلات التاريخ كل يوم •• تلك الاحداث المتشابهة وغير المتشابهة •

ثم نستمع الى شاعر أصيل يصف نفس الحادث فيهزنا الوصف وتسرى فينا رعشة الاعجاب او التقزز او الخوف او الغضب او الرجاء او اليأس وكأننا أمام حركة تأريخية كبرى ، ذلك لاننا هنا لاننظر الى الحادث بأعيننا ولانحسه باحساسنا ولا نزنه بميزان المؤرخ الحاكي ولكننا ننظر اليه بعين الشاعر المصور المبدع ونحسه بأحاسيسه الملهمة الخلاقة فنقيّمه تقييما فنيا بمعيار لانملك الاحاطة بابعاده واعماقه • وهنا لن نكون من الموازنين بين المؤرخ والشاعر في النقل ، ولو اننا فعلنا ذلك لما قامت الموازنة على ارقام او حقائق علمية ضيقة ، ولكنها مع ذلك سوف تتخذ طابعا أدبيا قوامه النفس البشرية التي تستوعب الكون كله باطنيا ، وتحيط به احاطة قائمة على ادراك الهي خفي لا نجد له ، نحن العوام ،

تفسيرا مختبريا او معمليا على الاطلاق • وهنا سوف تشيل كفة المـؤرخ ويبوء بالخسران • واليك المثل •• يقول المؤرخ الحضرمي المعروف الشيخ سالم بن محمد بن حميد عن حوادث ١٢٦٩هـ ما يلي :ـ

« في ليلة الاثنين عاشرة رجب ١٢٦٩ اجمع بعض القبائل وبعض العبيـد على الهجوم على كودة آل عوض بن عبدالله فساروا من غير زانة ولا عدة ولا حديد ليلا ووصلوا بعد الفجر وكان معهم محمد بن عزان بن عبدات وربيّع بن جخير والسلطان عبدالله بن صالح وعلي بن جعفر وغيرهم • فقال مقادمة العبيد الآن طلع الفجر والاولى ان نغير ونعود فعيّرهم ربيع بن جخير وجبّنهم فحملهم ذلك على الهجوم وضرب العبيد طبل العبيد وما وصلوا الا وقد استعد لهم العدو وحصر الذين تقدموا واستعلاهم العدو وكان دخولهم في ذلك المحل فعلا مجردا عن الرويّة فقتل منهم ثمانية عبيد وخمسة احرار وفشت فيهم الجراح وعادوا باسوأ حالة •

« ثم كمن جماعة من العوامر فوق عقبة الكودة التى تأتي من بيت جُبَيْر فجاء ثلاثة من آل تميم آل شيبان فقتلوا رجلين وهرب الثالث ووجدوا معهما مائـة وخسين قرشا •

وارسل الدولة الاسرى من آل تميم والشحابلة الى سيؤن فحبسهم فـي الخصن الدويل وهم ستة عشر » •

ونبادر فنذكر رواية المقدم سالم بن عوض بن سلمه حين عرضت عليـه رواية الشيخ بن حميد • قال المقدم سالم معلقا : « الشحابلة كانوا يقاتلون في جانب آل كثير • وان الاسرى لم يؤخذوا في المعركة ولكنهم كانوا من آل تميم ويافـع الذين لم يعلموا بالحادث وكانوا حينها في منطقة تاربة وعلى السبل العامة وقـد اعتقلهم آل كثير وزجّ بهم في حصن الفَلَسْ القائم بنيانه الى اليوم فى سيئون • والذين قتلوا من الشحابلة وآل كثير وعبيدهم عشرون تركهم اصحابهم وأُخِذوا الي الكوده ودُفِنوا بها مع من قتل في المعركة من آل تميم ويافع • والحادثة كانت في مستهل شهر رجب » •

والآن نتجه الى المعلم عبدالحق ليصف لنا نفس الحادث وكان من الذين اشتركوا فيه الى جانب حلفائه واخوته آل تميم (وآل سلمه بالذات) وقـد ابلى المعلم في هذه الواقعة بلاء حسنا رغم انه كان في السادسة والخمسين من عمره • قال المعلم يصف الهجوم الكثيري :

ثُمْ قال عبدالحقّ برق النَصْـر ضـلاّ يلتمـِـع
بعد الضّحَى في نَوّ مْغدِق من سمع رَعدُه صِـقعْ
سيله فَتَكْ غَدْوِيْ سقى الواطي وَجَابْ المرتَفـعْ
سيل الكثيري مِنُّه أبكارِ المَضَالِعْ تْهتَـزعْ
عَفَّاشْ بُكْرَه فَاشْ منُّه كُلّ طَارِفْ يرتفِـعْ

ثم يصف المعلم المقاومة بقولـه :

حَصَّلْ ضُمُرْ قَبْلَه يخلّـين الغوارب تَرتَـدعْ
حصَّل قبائِل كمّنْ اجْعَشْ حِلبّهَا مـا ينْقـرِعْ
أجواد في الكُبُـوْده أرى كُلا من الدنيا قنِـعْ
وعوّجوا كمّنْ حجينه(١٤٥) حدّها الفـاتر طـلعْ
سفيْـنه مَغرومْ الكثيري لـي على الظنّي شبـعْ
سَّلْقه بنْ شَحْبل وقايسْها شحـابل تَبتـرعْ
لاجاءْ لِصَوبَه(١٤٦) ظَنْ انْ النَّخل كلّه ينطلِـعْ

وقبل الهجوم على الكوده قام آل كثير واعوانهم بحركة التفاف حولـها ، فاحتلوا كوت النّقر وكوت الحيّد والغار الذي يجتمع به آل تميم للمشاروة في شؤونهم القبلية وذلك ليقطعوا طريق العون ، المحتمل وصوله من المقدم ابن يماني من قسم ، او أية نجدة اخرى للكوده • يقول المعلم :ـ

(١٤٥) الجنبية : وطلع معناها ازداد حدة •

(١٤٦) النخلة القصيرة الهزيلة الطلع •

سَبَّر بكُوت النَّقْــر قصـده بن يماني ينقطــع
وَضَمَّ كوت الحيـد والغار الذي بُــه نجتَمــع
حَمَلْ عـلى الكوده وفي الكـوده صَبْرْ ما يَنْجَرِع
حملْ على الكوده وفي الكوده عوادِي[147] ترتبــع
يبغا طَمَعْ طَرّقْ له المصقور[148] خـذ مال الطّمعْ

ويصف المعلم ما آل اليه حال آل كثير وخسائرهم في الارواح :ـ

وأما الذى قُتْلوا من أوجاه العَـربْ كِمّن فِضِـعْ
منهم وَلَدْ عايض مقَـدّم لـه صَحابـه تتبـع
حتى رَجع قيدُوم للـزّف الـذي شـفتُه طِلِـعْ
مِنْ دّمها الأوعال كَمّ الحار منه قد رَضِـعْ
عشـرينْ لِي قُتْلواْ وغول الزّفْ لي تَرعـى قِمِعْ
شُعقاً على قُوّة وقــع فيهم عسِر ما يـرتقـع
خَنعْه على الدّولهْ وكل باغـي بغيتـه يختنـعْ

ولعلنا في غير حاجة الى التذكير هنا بالاسرة الطبيعية التي يجعلها المعلم مصدرا لتشبيهاته اللطيفة ، والى التذكير بتشبعه برياضة القنيص التي تنعكس معالمها على استعاراته البديعية . تلك ناحية تصور لنا اسلوبا يغلب على شعر المعلم الوصفي . ولعل من ابرز التشبيهات التي مرت بنا قوله عن المقدم سالمين بن عايض بن طالب الكثيري احد قادة الحملة الكثيرية وكان من القتلى :ـ

حتى رِجِعْ قَيدُوم لِلزّفِ الّذي شِـفته طِلِعْ

---

(١٤٧) جمع عود هو الجمل الكبير القرى ويطلق على الوعل الكبير والكلمة من الفصيح .

(١٤٨) المثل الشعبي الحضرمي يقول (مصقور صادف طَمِعْ) والمصقور هو المتلهف على بيع او شراء حاجته . فعندما يدرك التاجر الطمع (الطماع) تلهفه يستغله استغلالا فاحشا . وفي هذا البيت يعكس المعلم عبدالحق المعنى بصورة تهكمية فيقول ان آل كثير الطامعين في السيطرة على مناطق آل تميم صادفوا آل تميم متلهفين على القتال فالحقوا بآل كثير خسائر فادحة .

وكان قد جيء بهذا المقدم القتيل مع آخرين الى الكوده لدفنهم ، فشبهه بالقيدوم اى الوعل الكبير الذى يقود فريق الاوعال في الجبال • ومن عوائد القناصة انهم عندما يصطادون القيدوم يجعلونه في مقدمة الاوعال المصطادة • ووصف الموكب الجنائزي بالزف اى المهرجان الذى يدخل به القناصة بلدتهم تتقدمهم مجاميع صيدهم • وكلمة « فَضِع » التي مرت بنا أتت مرخمة من كلمة فضيع وهو الوعل الشاب القوي • والحار حيوان جبلي يشبه الورل يلعق الدماء المراقة على الارض من الاوعال المصابة بالطلقات النارية • وكلمة قِمع اسم رأس وادي الخون وهو مشهور باوعاله الكبيرة لجودة مراعيه ، ويقصد الشاعر بهذه الكلمة ، طبعا ، مثاوي آل كثير الشهيرة برجالها الأبطال الاشداء ••

ويمضي المعلم واصفا لنا خسائر آل تميم وحلفائهم يافع فيقول :ـ

كُلّن ظَهَرْ راسه ولا حَد ساعة الحملة خدع
أبو عوض شفته شقع[١٤٩] فيالسيل لي مايشتقعْ
والشيخ ناصر ما اهتزع منه وغيره يهتزع
وبن محمد ناصر المجروب لي صوبه شنع
ان مات غَفَر الله لروحه وان سلم بانتفع
منه ومن لغبر ولرضي والمساوى لي طمع
في قتل خصمه تاقن الحصن الدويل المرتفع

الذين ذكرهم المعلم هم أبو عوض وهو سالم بن عوض بن مرساف التميمي مقدم آل مرساف أصحاب الكوده وقد قتل أبنه عوض في الحملة ••• والشيخ ناصر بن سالم البعسي اليافعي الملقب بالضباعي وقد قتل ابنه صلاح واخوه شايف في الحملة ••• والشيخ ناصر بن محمد السماحي الظني الملقب حمتوش وقد جرح وتوفي بعد شهر من الحادثة متأثرا بجراحه ••• والاغبر هو لقب محمد بن منصر الشرفي اليافعي وقد جرح في الحملة •••• والأرضي هو لقب ناجي بن

(١٤٩) شقع : اجتاز السيل بالعرض •

عبدالله الحميقاني وقد جرح في الحملة ... والمساوي هو لقب بوبـك بن عبدالله الكلدي وقد جرح في الحملة وهو الذي قتل المقدم سالمين بن عايض بن طالب . أما اشارة المعلم الى (الحصن الدويل المرتفع) فيعني بها ان سالمين بن عائض المذكور كان المسوءول الاول عن التنكيل بيافع عندما استعاد آل كثير سيئون منهم عام ١٢٦٥ هـ وقد اشار المعلم لمدينة سيئون بحصنها القديم القائم على قمة هضبة وهو مقر السلطنة الكثيرية حاليا واحدى معالم المدينة الجاذبة للسياح .

ويوجه المعلم خطابه الى المقدم سالم بن عوض بلفهد مقدم آل مرساف ويعزيه، في ابنه وفي القتلى الآخرين ويهون عليهم خسائرهم فيقول :ـ

طَابَتْ مَحَلَّتْكُمْ خرجتو للعـدو ماحـد فـزع
ياسائما في السـوق لاجا المشترى نَفِّق وبـع
واقتـل على جوده ، ومن يبغسـاك غَصْبَ أَغْلَبْ وِطعْ
سـالم صليب الراس لاثار البـلاء مـا ينـدقـع
وَلَدْ عوض قـل له خصومـك بعـد ذه باتمتنـع
من لاطعن في الخصم عِدّه من مكانـه ينقلـع

ثم يصف المعلم مشاركة حلفائه واخوته آل سلمه التميميين في المعركة وكان هو أحدهم ، فقال باختصار لاينقصه التباهي :ـ

مِن شَقَّك أصحابك ومن شَقِّي عَـوَلْ(١٥٠) ماتهتـكع
وصـلوك من عندى رجال الدّحن حضـروا ما وقـع
وان حـد يقول بلقي كماهـم قـل بغيتـه يبتشـع
اعني بذا ربعـك وربعي والدِّرِيْك المستمـع(١٥١)

وكما هي طريقته في ملحمياته يؤرخ المعلم للحادثة فيقول :ـ

---

(١٥٠) من يتكل عليه من الرجال ومن عليهم المعول .
(١٥١) يافع حلفاء آل تميم .

بأول رجب شهر الأصب تاريخ خطي يجتمع
في عام ستين اكملت والتسع والالف انقطع
كما لـه الميئتين يا أهل الحَزْر كُلّن يستمع
من هجرة المختار لي نحنا بجاهه نشتفع
صلى عليه الله ما البارق من أعلى يندلع

* * *

أن اشتراك يافع في واقعة الكوده التي وصفها لنا المعلم عبدالحق يعود الى استراتيجية هامة يعمل على دربها آل تميم ويافع منذ زمن بعيد . فمنذ البداية ظلت علاقة آل تميم بيافع أمتن من علاقة آل تميم بآل كثير . والسبب هو أن آل تميم يعتقدون أن آل كثير اغتصبوا الملك ، حوالي عام ٧٨١ هـ ، من آل يماني بالراصع عمود السلطنة التميمية بحضرموت . ثم ان آل تميم كانوا يرون في التحالف المصلحي بينهم وبين يافع إضعافا تدريجيا للدولة الكثيرية وبالتالي تقليص رقعتها الى مساحة ضيقة جدا اذا لم تتيسر لهم ابادتها . ولقد تمكن آل تميم ويافع من حصر النفوذ الكثيري ، عبر السنين ، في منطقة منحصرة بين نُخْر مِحْوَلَهْ غربا الى الحَزْم شرقا . وعلى ضوء هذه السياسة العامة تبادل يافع وآل تميم المعونات العسكرية في الرجال والعتاد سنين عديدة . ولقد امتد هذا التعاون بين الطرفين المتحالفين الى يومنا هذا .

وتوكيدا لهذا التعاون المتبادل ، يقول المعلم عبدالحق من احدى قصائده ، مخاطبا آل تميم بشأن علاقاتهم مع يافع ومهيبا بهم أن تكون يدهم واحدة على الخصم (الكثيري) وان يتناسوا الخلافات التي بينهم وبين يافع او ، على الاقل ، يؤجلوا النظر فيها الى الوقت المناسب :ـ

انتُم ويافع كُـل بادي نَقْبِـلِه   شَلِّه بشلِّهْ في مجارى سَوده
بُدْنِه ولُحمه في معاضد فصيله   من هو الذى ياكل لحوم اعضوده؟
لاتحسبوا ماقد تقدم قبلـه   لي بينكم قووا عليه إربوده

ماقدْ سبق عيمان ذيك الوهلــه   من لــه طلايب خِلّفوا موعــوده
العار يا اهل العار شو ذا حِلّــه   لاحد يبقّي في الشنف مجهــوده

* * *

كان المعلم عبدالحق ابن عصره من حيث المسحة الدينية التي عمت ثقافة الخواص والعوام وتحكمت في مفاهيمهم واقوالهم وبعض أفعالهــم ، وخاصــة في مدينة تريم والمناطق المحيطة بها ، حيث كثر رجال الدين والوعظ والارشــاد وحيث سيطرت على الناس موجة من محاولة تقليد طرائق السلف الصالح من علويين ومشائخ وغيرهم •

ففي أشعاره تبرز لنا ، بين حين وآخر ، ثقافة المعلم عبدالحق الروحيـــة الممزوجة بالطبقية الاجتماعية • وفي هذا الاشعار يلجأ ، دون ماداع لذلك فيما يبدو في أغلب المناسبات ، وكأنه يقول بأحساسه الباطن ، الى استهلال قصائده ، بالتأريخ او الوعظ الديني ••• والطريف الممتع ، وهو ما يهمنا هنا ، هو الاسلوب الشعبي العادي البسيط الذى يتحدث به المعلم عن جانب من معالم تاريخ العقيدة الاسلامية، فتسلس له المفردات العامية قيادها • ولئن استحسنا نحن ما يقوله واعجبنا بلينـــه وسلاسته فان الاتيان بمثله ليس بالامر السهل • ولقد تحدثت ذات يوم عن هــذه الظاهرة في أشعار المعلم عبدالحق مع استاذنا السيد محمد بن هاشم وحاولت ان أجره الى التبسط فى الحديث عنها فلم يزد على قوله « شي وهبي شي وهبي !! » والواقع ان ابن هاشم قال كل شيء بهاتين الكلمتين اللتين كررهما • أما أن الرجل موهوب ملهم فذلك ما أريد ان اقيم الدليل عليه بتأليفي هذا الكتاب ، واما ان نحاول الشطط في تحديد هذه الموهبة وذلك الالهام فذلك ما لن استطيعه،وأُقِر هنــا بعجزي ، لان نفحات الله عز وجل قل ان يحدها الحد ولانّها من الامور التي تدل على نفسها بنفسها •

قال المعلم مستهلا قصيدته التي مدح بها آل كثير على النصر الذى حققوه على يافع في المعركة التى دارت عام ١٢٨١ هـ حول كُوت المَلْجَنة بقرب مدينــة شبام :ــ

أبــدى برب الكُون لـــي كونــه بأمره كوّنِهْ

وســـخّر الاقــدار بالقدرة والانســـان امحنـه

ســـبحانه المعبــود لي بالقـــدرة آدم حسّنِــهْ

من طين حسّن صُورته بأمُره وفي الارض اسكنه

وجابٍ حُوّهْ جل واعلا يوم خرّجْت ذَهّـنه(١٥٢)

وقال يا آدم نطق بالحمـــد والشـــكر اعلنــــه

ذه زوجتـــك خذ للهـــدى منها وخـذ للشيطنه

شيث احســـن اولاده هـــداه الله وقابيل العنه

بقتــل هابيــل اللــه أدخلــه الجحيم المتتنــه

ايضا ومن شيث اظهـــر الله من أتى بالبينـــه

نوح الذى قومــه عصـوه الكائدين الخوّنِـــه

من هو على الاســـلام ادخله السفينـه وامّنه

وكل من خالف ، وابنـــه منّهم ، ما دوّنِـــه

اخذهم الطوفـــان فاتوا والسفينة مشحنـــة

من ذي الذي ربّي عليهم قــد نظر من أيمنه(١٥٣)

ماشفت ما قد صار من ســابق بذيك الازمنــه

فرعون فى زامـــه على موســـى ظهر بالفرعنـه

وقد غلب موسى وصوّعه المُصَـوّع وافتنـــه

اغرقه في الغبّة وقومـــه من تندم يلعنـــه

ايضا وقارون اخسف الله بـــه وخذْمـا اخزنــه

والمصطفى من بعدهم مالـــه شبيه ما احسنـــه

اخرجـــه للكفرة ارتفع صيطه وناره مرشـــنه

---

(١٥٢) صحاه الى نواهيه وأوامره ٠

(١٥٣) ايمنه : أهل اليمين ٠

أيضا وبحره هاج وامواجـــه رِتغيّب لَذْهِنِـــهْ
واهله من الافراح فى راحـــه وكثر الفرزنـــه

وفي الميـادين الركـــائب والصوافـن مقرنـــه
هموا باخراج الرســـول المصطفى من مســـكنه

الا نزل جبريل بـــه ياصـــاح قَرّيْنْ أعينـــه
ملائكة نزلوا ولاح النصـر والكفر اوهنـــــه

وولوا الادبار والرعب انطـــرح فـى المفتنـــه
والاسر والقتل الذى فيهم وقع والعَرّينــــــه

ولا وقع هذا ســـوى يوم النبي ســـر أخزنه
طَرّق بنفسه والنُّبْل بايسره تمضـــي وايمنه

جاب القوادي(١٥٤) واشــتهر لسلام والله اعلنه
صلوا عليه آلاف لي مولاه خُلْقِـــه حَسَّنـــه

ثم قال من هو في الدجى الداجى مُذّهِن ذَهَّنِـــه
الخ الخ الخ .....

وفي مستهل مرثيته التى قالها فى المقدم صالح بن سالم بن يماني التميمى عام ١٢٨٣ ، قال :ـ

أبـــدى بمن قـــدَّر بأمره للخليق ارزاقهـــــا
وقـــدَّر الآجال بأمره والمنيَّـــــه ساقهـــــــا

لـــه ما يشـــافي الخلق جَـــلَّاذى العـــلا خلَّاقهـــا
هـــو خالق الدنيـــا والاجبـــال الرواسي راقهـــا

---

(١٥٤) جمع قادي وهو الاذعان والاقرار بالهزيمة ، أى أن الذين كانوا يحاربون النبي قدموا له الطاعة بدون قيد او شرط .

والارض والسبع السموات اعتـــــدال اطباقهـــــا
لي كانتــا رتقــا فتقهــا بعــد صَــم ارتاقهــا
فيهـــا الكواكب والقمر والشمس زان اشــــراقها
بالامــر والقــدرة وانــزل من فــروع افتاقهــا
مـــاءً واعطـــا ثم أمـــلأ بالخيـــور[١٥٥] آفاقهـــا
وصيّر الجنـــه لمـــن طاعه ونفســـه عاقهـــا
من الخطـــاء والنفس للجنـــة تــزيــد أشواقهــا
والحور حلوات المراشف بارغات اعناقهـــــا
اذا أقبلن المُخ لَبّضْ تنظـــــره في اسياقهـــــا
واثمار فيهـــــا من اطاع اللـــه يـذوق ارزاقهـــا
وكل من لايافتى طاعه ، حـــرام ان ذاقهـــــا
هذا ويوم السبت الخ الخ

وقد يغلو المعلم احيانا في مطلع قصيـدته فيقـول أربعين بيتا في العقيـدة الدينية قبل ان يتخلص الى الموضـوع الـذي قيلت القصيدة أصـلا من أجله ، كما فعل فى قصيدته المشهورة التى وصف فيها هزيمة عبدالقوى بن غرامـه امام آل كثير فى تريم • ومطلع تلك القصيدة هو :ـ

ابديـــنت باسِـــم الواحـــــد المتعالى
رب العبـــــاد المنفرد فـــي ذاتـه

وقد وجهها الى الشـــاعر الشعبي ربّيع بن سليم • وســوف نأتي عـلى مقتطفات من هذه القصيدة فى فصل لاحق من هذا الكتاب[١٥٦] •

---

(١٥٥) الخيور : جمع خير
(١٥٦) الصفحات ١٤٥ـ١٥٥ •

والمعلم يأتي بمثل تلك المطولات التي ربما عابها عليه من نظر اليها على انها مما يُنْسِي بعضها البعض الآخر كما يقال ، الا ان القول يواتي المعلم ويكفيه أن يريده فيلبيه الشعر مذعنا • وهو يعلم هذه المزية من شاعريته لذلك أطلق عليها اسم «الزّغّاره» أي النبع الشديد التفجر الذي تصعب احيانا السيطرة عليه •

وبعد ذا ياسامعين أبياتي من هاجساً لاقد دعيته يَزْغَرْ

★ ★ ★

وتنم اشعار المعلم عن عقيدة فى المنزلة العليا التى يتمتع بها الاولياء والصالحون عند ربهم ، ويرى في أسرارهم وأنوارهم امتدادا للسر والنور الالهي •

فنسمعه يخاطب المنصب الحبيب سالم بن سقاف ، منصب مقام السادة آل الشيخ ابي بكر بن سالم مولى عينات ، في قصيدة طويلة يهنئه فيها بانتصار يافع على آل كثير في الشحر • والتهنئة هنا نابعة من مفهوم عام بحضرموت وهو أن يافع ، من الناحية الروحية ، اتباع لآل الشيخ ابي بكر بن سالم لما كان من تنصيب الشيخ علي بن هرهره اليافعي مصلحا ومرشدا دينيا في يافع العليا من قبل الشيخ ابي بكر بن سالم •• وفي تاريخ لاحق كان لال الشيخ ابي بكر ضلع كبير في مساعدة السلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري ، في أواخر سنة ١١١٥هـ ، في جلب عساكر يافعية الى حضرموت للخدمة في الجيش الكثيرى وذلك قبل ان تستأثر يافع بالحكم دون آل كثير في معظم المناطق الكثيرية بعد ان تدهورت واضمحلت الدولة الكثيرية الاولى على عهد السلطان جعفر بن عمر الكثيرى فى الاربعينيات من القرن الثاني عشر الهجري • قال المعلم من تلك القصيدة :ـ

سلام يامن له الامور تسهلت من ذاتها وتغلبت لاسادي
سلام ياذخرى ويافخرى ويا طلبي في الدنيا وطب اجسادي
سلام مرسل من تراب اقدامك مضاعفا ما يحتصي بعدادي

سـلام يا سالم سلالة سـالـم بفرح اذا قدنا باسمك نـسـادى
ظَهرْت في عصرك وكلّن شـاهد أيضا ونا من جملة الاشـهادى
يانجم فى المشرق شرق فى المغرب حتى وصل نوره الـى الابعـادى
شرق على يافع بضوّه سـاروا بعـد الغدر وافتكت الاقيـادى
كم قد وقع فيهم وعادك طفـلا بالقوة الثعلب طرد لفهـادى
جاء الهنا زال العنا نلنا المنـى من لـه عقيدة نال كل مـرادى
لما تواصل عهـدهم من عهـدك ولعـاد قـط باتنقضي لعهـادي
قم يابن سـقاف اجتهد من شأنهـم وهم عليهم غاية الاجهـادى
تواترت جوداتهـم من قربـك قدنا بجودتهم بقربـك سـادى(١٥٧)

ومع ذلك نرى في أشعار المعلم استنكارا لمواقف القبائل التي لاتستعد ليوم الكريهة بل يترك رجالها امرهم لاموات الصالحين فيقدمون لهم النذور ليحققوا لهم ماربهم ، ويعد تلك المواقف فسالة لابعدها فسالة • ويقول مـن قصيدة في الذين لايعرفون متطلبات « القبولة » •

والفسل لاقد ضاق يدعي بالرتوت اهـل الحسب
وخاطـرة تلقـاه يَمّـل(١٥٨) للمسـاجد والقبب
يبغى السـلامة لجـل بطنه ، لجلها كرش الشغب
ذا قـول عبـدالحـق لي ما هـو بـدا جا في العتب
وليس يكذب في تحـدّاثه كمـا بعض الـكذب
ولا يخب الفسـل ريت الفسـل من روس الهبب(١٥٩)

وعلى طريقة الذين يؤمنون بما لرجال الحقيقة من كرامات وقدرة على

---

(١٥٧) سادى : أشعر •

(١٥٨) يقدم النذور •

(١٥٩) رؤوس الجبال •

لتصرف في عالم الاحياء بعد مماتهم ، نسمع المعلم يذكر لنا المساهمة الفعالة لعدد من الصالحين المقبورين فى تريم ، في الهزيمة التى حاقت بالحملة القعيطية التى كانت متجهة من الشحر لغزو الكثيرى وطرده من مدينة تريم • قال غفرالله له ذاكرا أولا أمراء آل كثير الذين دَبَّروا هزيمة الحملة :ـ

خُذْ وَصْف لي عَرْضُوا ليافع لي لهم باحكم غنائـــــي
علي(١٦٠) غليظ القلب فظاً قال با اقتـل في لقـائي
ما مثلـه الا لي معـا اخواله جَهَـــدْ وادرك جزائي
عبود(١٦١) لي كـــلا بفعلــه داري اكثر من درائي
واشهر علي بن احمد أسد ماحـــــد نشا مدحه كمائي
نصحوا معا غالــب وعبدالله(١٦٢) بغــايه لنتهــائي

ثم يتخلص المعلم الى مايريد قوله :ـ

علي وقــد قبله علي ذاك ابــن طالب في عنــائي
خائـف على أولاده وقـال الخصـم بايكشــف غطائي
واهــل السـلف لموات كـلا قـال با اجهــد في لقائي
امـــوات بل احيـــا فلا يحصـى عددهم بأنتهـائي
الله فيهـم قال لا خـوف عـلى جمـع اوليـائي
منهم جمـــال الدين فخـرى صاحـب الرصـة دفـائي
ذاك المقـدم لـي تقدم قال مــن قصــده أذائـــي

---

(١٦٠) علي : هو علي بن أحمد وكان اكبر امراء آل كثير سنا وهو عم السـلطان غالب بن محسن •
(١٦١) عبود بن سالم وهو ابن اخت السلطان غالب •
(١٦٢) عبدالله بن محسن وهو الشقيق الاصغر للسلطان غالب •

أفصم عراه أيضا ، ونا ما قول يا يفصم عرائي
وعارضه واكشفه حتما قبل يتكشف نسائي
وشيخنا السقاف قبل القوم يا يهري يا أبائي
أدركه ، والمحضار ذى نامن كلامه في رجائي
لي في أزمانه قال من جانا وبايخضع حمائي[١٦٣]
نحنا نكثّر في بلده الصائبات ، أن ذا نبائي
والعيدروس القطب سلطان العلا نوره ضيائي
وكم وكم من قطب ما يحصى عددهم بانتهائي
ماخاب بو محسن كفوه اللي بهم أرجو هدائي
يرقد وهم يحمون بلدتهم ... وبرجع لاعتنائي[١٦٤]

والذي ينتزع الاعجاب للمعلم عبدالحق هو اخذه بزمام القول الشعبي اخذ عزيز مقتدر . ماهو النبأ الذي تلاه الشيخ عمر المحضار على الذين يرومون انتهاك حرمة حماه – تريم ؟ يجيب المعلم بطريقتة الخاصة قائلا :

نحنا نكثر في بلده الصائبات ، أن ذا نبائي ! !

والصائبات لهي الدواهي التي تصيب المعتدى بالكوارث ، وذلك لهو اعلام واندار القطب المحضار .

على أنه من المشاع في الاوساط الروحية ان آل كثير كانوا قد دعا لهم الفقيه المقدم في عصره بالنصر لدى بروز شوكتهم في وادى حضرموت قبل ان

---

(١٦٣) بعض كلمات هذا البيت والذى يليه مأخوذ من البيت الآتي المنسوب الى الشيخ عمر المحضار نفعنا الله به :

ومن جانا وبايخضع حمانا نكثر في بلده الصائبات

(١٦٤) برجع لاعتنائي اى سأعود الى موضوعي الاصلي .

يصلوا الى مقام السلطلة • ولذلك فان المعلم مافتىء يكرر هذه الظاهرة في مدائحه لهم : فمن المديحة التي ذكرنا الان بعض ابياتها قال :ـ

قد سبقت الدعوة لهـــم من نطق فخرى ملتجائــي
لي عامــد المُقَطَب محمد ، له دعــا ، ماهــو دائـي

صاحب المقطب الذى يعنيه المعلم هو السيد محمد بن علوى العيــدروس مـولى ثبــي ويطلق عــلى المشاهير مـن آل العيدروس بشبي مـولى المقطب (والمقطب هو المكان من الارض الذى يحدث به السيل اخـدودنا عميقـــا) • امــا صاحب الرصة فهو محمد بن علي بن محمد صـــاحب مرباط بن علي خالـع قسم بن علوى بن محمد بن علوى بن عبداللـه ابن المهاجر احمـــد ابن عيسى الى آخــر النســبة النبوية الشريفة ، المشــهور ، كما يقول صاحب المشرع الروى ، بالاستـاذ الأعظم الفقيـــه المقدم • وقد سمي بالمقدم لانـــه اول صوفي عرفته حضرموت(×) ولانه مقدّم تربة بشّار بترميم التي تضم أكابر الرجال من آل باعلــوى •

وفي مديحته لآل كثــير التي قالها بمناسبــة انتصــارهم علـــى يافــع في وقعــة المحايــل ، قــال :

يـعْطِـيه حُذّاقْ آل بَدْرِ مْحَمَّدْ   لِـيْ هَادُوا بِالدَّعْوةِ المَقبُــوله

وآل بدر محمد أو على الصحيح آل محمد بن بدر هم السلاطين آل عبدالله وترتيبهم علّواً من السلطان غالب هو محسن بن احمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله الى آخر السلسلة السلطانية • والى عبدالله هــذا تنسب دولة آل عبدالله • وقـــد أصيب عبدالله هــذا بجذبة ربانية ، على حد تعبير الذين ترجمـوا لــه ، فتدروش عام ١٠٢٤هـ اى بعد ان ولي أمر السلطنة بنحو ثلاث سنوات • وقصد الى منصب عينات الشيخ الحسين بن ابي بكر بن سالم ليتوصـل به الى رضـوان الله • وكان قد تجرد من السلطنة ، فطيب منصب عينات خاطره ، فأقام بعينـــات ثم سافــر

(×) لم يكن الفقيه المقدم أول متصوف في العلويين اذ قد سبقه الى ذلك ابن عمه الشيخ احمد بن علوي بن محمد المعروف بصاحب مرباط • توفي الشـيخ احمد في مرباط (ظفار) في العقد الخامس من القرن السابع الهجري ولـه بمرباط مشهد يزار •

الى مكة ومات بها عام ١٠٤٥هـ ٠ وتقول رواية اخرى انه بعد عودته من الحرمين توفي بعينات ودفن بالسور[١٦٥] عند الشيخ علي بن ابي بكر بن سالم نفع الله بهم ٠

وفي عصر المعلم عبدالحق (تَدَرْوَشَ) سلطان آخر بالشحر وهو السلطان حسين بن ناجي بن عمر بن بريك ، شقيق علي ناجي الاول ، وكان قد ولي أمر السلطنة عام ١٢٢٠ هـ ٠ وبعد ستة وعشرين شهرا خلع نفسه من الحكم وصار متصوفا ويقال انه أصبح من رجال الباطن المكاشفين وأصحاب الأحوال والمقامات ٠

ومن باب الاستطراد نذكر ان الامير محسن نجل السلطان الدرويش حسين اثار فتنة في الشحر سعيا وراء الملك لانه كان يتوقع ان يكون السلطان خلفا لامير الشحر ناجي بن علي بن ناجي بن عمر بن بريك الذى حل محل أبيه المجذوب حسين ٠ فقاومه علي بن ناجي بن علي ابن الامير الراحل (مات عام ١٢٤٣ هـ) ودامت الفتنة عاما ٠

وتدخل عقلاء مدينة الشحر في النزاع وابرموا بين الاميرين المتنازعين على الحكم صلحا تولى بمقتضاه حكم الشحر على بن ناجي السالف الذكر على ان يكون علي ابن احمد بن محسن بن حسين حفيد الامير المنازع خلفا له ٠ ولكن علي بن ناجي، وهو المعروف بعلي ناجي الثاني عمّر طويلا وكان من سوء حظه ان طرده آل كثير من الشحر عام ١٢٨٣ هـ وهو الذى قال فيه المعلم عبدالحق متهكما :ـ

ذكروا ولد ناجي علي حمّل حريمه والنّقل
عجبت يوم الرعب في قلبه قذف خذه الفشل
والخوف والتخويف زاده ، ظنى انّه ما عدل
لو راض بايصِلّه مانه مثل من حمّل وشل
لكن ابو محسن على نيته جاته بالسهل

(١٦٥) المقبرة التى بها قبور بعض المعتقد فيهم من آل الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات ٠

حقيق !! سقطت الشحر في يد الكثيري لقمه سائغه سهله لأن الامير علي ناجي لم يرد لنفسه تمثيل دور عبدالقوى بن غرامه ، ذلك الدور المهين الذى مثله بعد هزيمته في تريم ، فغادر البلاد وهو آسف عليها . وقصد الى لحج ر.. حاول الاتصال بالحكومة البريطانية بعدن موءملا ان تعيد اليه ملكه !! لموب ، فلم تلتفت بريطانيا اليه ، والواقع ان الامير علي بن ناجي كان حاكما عادلا وقد رأت الشحر على عهده ايام هدوء واستقرار وازدهار لم تعرفه في عهد اسلافه آل بريك . ولكن الرجل خذله اخوته الطامعون في كرسى الحكم .

وفي عهد علي ناجي هذا هُزِمَ آل كثير في معركة مَرِيْر[١٦٦] وهُزِمَ الاتراك في معركة شرمه[١٦٧] لدى محاولتهم احتلال الشحر . لكن آل بريك الآخرين المناوئين له كانوا ، وقد عجزوا عن زحزحته من الامارة يعللون انفسهم بالحكم تحت الرعاية الكثيرية ، وفات اولئك الامراء السذج ان السياسة الكثيرية كانت ترمي لا الى احتلال الشحر فحسب ولكن ايضا الى استئصال شافة يافع من حضرموت بقسميها الداخلى والساحلى . فكان آل بريك الطامعون في الحكم يدبرون المكايد لأخيهم علي ناجي ، ويبثون الدعايات لصالح آل كثير في صفوف جنده واعوانه مما أدى الى تدهور معنوياتهم وقد وجد علي ناجي نفسه محاطا بمجاميع من الجنود المتمردين عليه تحت ستار معاذير شتى كالكِيَل والمصروف(×) وغير ذلك مما عرفناه في الساحل ، في عهدنا المتأخر ، عن الجند الذين يركبهم الجبن . لذلك قال المعلم عن هذه الحالة :ـ

والخوف والتخويف زاده ، ظـنّي انّـه ماعـدل

ان الجندى المحطم الاعصاب لا ينفع معه أي عدل مادي ، لذلك نراهم يقتلونهم في ميادين القتال ، لان هؤلاء اشد خطرا على الجيش ومعنويته من جنود العدو ،

---

(١٦٦) (١٦٧) راجع تفصيل هاتين المعركتين في كتابنا « في سبيل الحكم » .

(×) الكيل جمع كيلة وهي مقادير من حبوب الذرة تصرف شهريا للجنود وافراد أسرهم . والمعتاد ان هذه الكيل كانت تصرف للمماليك (الجنود) الافارقة فقط . وكانت حكومة السلطان القعيطي تصرف كيلا للمماليك قيمتها ١٣٥٠ ديناراً . وقد الغي نظام الكيل في السلطنتين القعيطية والكثيرية عام ١٩٤٣ م . اما المصروف فهو يدفع نقداً لكافة الجنود ـ افارقة وغيرهم .

اللهم الا ان كان المعلم يقصد بقوله ان علي ناجي ابقى على حياة المتمردين من جنوده فلم يكن عادلا مع نفسه ، ولو انه انصف نفسه لحكم السيف في رقابهم • ولعل هذا الاستنتاج أقرب الى مقصود المعلم لانه كان من المعجبين بعلي ناجي وبتدبيره العسكري وبعلاقاته الحسنة مع الرعية •• أليس المعلم عبدالحق هو القائل من قصيدة ، ارسلها عام ١٢٦٤ هـ الى صديقه الشاعر الشعبي ربيّع بن سليم باندونيسيا ، مطلعها :ـ

ابديت باسم الواحد المتعالي رب العباد المنفرد في ذاته ؟

ففيها قال عن علي ناجي :ـ

بندر علي ، نعملك علي بن ناجي ذى في جهتنا كاملات صفاته
أهزم جيوشا قصدها في هزمه الخصم منه ظاهرة هزماته
من مثل بن ناجي صمد شامخ جبل يحير عقله من حضر هجماته
بالزند رد الخصم ، والحق انه مع الرعية صالحة نياته

فمن كان هذا الخصم الذى يعنيه المُعلم ؟ انه الكثيرى • ومع ذلك اراد المعلم لعلي ناجي أن يتكئا في الشحر لكى يقوم السلطان غالب بن محسن الكثيري ، بعد ان يحتل الشحر ، باقصائه هو ومن كان في كنفه الى حيث مأمنه كما فعل بعبدالقوى بن غرامه ، لقد سمعنا المعلم يقول :ـ

لو راض بايصّله مانـّه مثل من حَمّل وشل

هذا افراط في الاشفاق ، او فى حسن الظن ، من المعلم عبدالحق لاندرى كيف نفسره او نبرره ، بالنظر الى فطنة المعلم ومعرفته بطباع امراء عصره وسجاياهم •

ان المغلوب لايملك التصرف فى نفسه حال كونه اسيرا فى يد خصمه ولا يضمن سلامة نفسه ولا سلامة اسرته • إننا ، من جملة ما نقرأه فى هذا الكتاب حكاية بن غرامه مع آل كثير ، وينبغى ان نعلم ان والدة عبدالقوى غرامه كانت اقل من ابنها حرصا على الحياة واشد استماتة فى سبيل الانتقام من آل كثير الذين سلبوا ابنها ملكه • ويحدثنا التاريخ انه عندما جاء امراء آل كثير زائرين الى دار عبدالقوى بن غرامه فى تريم ذات امسية ، وذلك بعيد انتهاء الاعمال

الحربية بينهم وبين بن غرامه ، وجلسوا فى احد سطوح الدار المعدة لاستقبالهم ، قامت والدته العجوز بمحاولة يائسة ٠ لقد القت بثقل جسمها الهزيل على جدار رقيق في سطح علوي عسى ان ينقض على رؤوس آل كثير فيقتلهم ٠ وذعر القوم حينما شاهدوا فتات الطين تتساقط عليهم من السطح المطل عليهم ٠ وظنوا ان فى الامر مكيدة ٠ فصعدوا الى السطح العلوى شاهرين سيوفهم فوجدوا والدة غرامة منتحبة لفشل خطتها ولم يسعها الا ان كالت لهم الشتائم ما وسعها الحال ٠ وعلى اى حال فقد حيل بينها وبين تكرار خطتها ٠ ولقد كان آل كثير كرماء مع ابن غرامه بسبب ابنته التي تزوجها الامير عبود بن سالم الكثيرى بعد ان هزم اباها ٠ فبفضل ذلك الشفيع العريان سمح آل كثير لعبد القوى بن غرامه ان يغادر تريم الى سيئون ثم من سيئون الى المكلا بعد ان قلموا جميع اظفاره ٠٠

* * *

ولكن ٠٠٠ فى عام ١٢٨٤ هـ هاجم آل كثير الشحر واحتلوا الجانب الاكبر منها وكان ، حينها ، الجمعدار عوض بن عمر القعيطي بالشحر ٠ وبعد معارك دامية بالسلاح الابيض دامت ستة ايام ، توسط بعض شيوخ العلويين في الصلح بين آل كثير ويافع حقنا للدماء ٠ وكان الشرط الاول الذى اشترطه الكثيرى ، من مركز القوة طبعا ، ان يترك الجند اليافعيون اسلحتهم فى الشحر ويغادروها بحرا ، وان يبقى الجمعدار عوض بها فى يد آل كثير ٠ وتحت الحاح الجمعدار عوض وافق جانب كبير من الجيش القعيطى على اشتراطات الكثيري وكان الجمعدار عوض ، في محاولة مستميتة يائسة ، قد قرر ان يمكث بحصن «دار ناصر» بعد ان لغمه بالباروت وان ينسف الحصن على رأسه وعلى اول الداخلين فيه من آل كثير ٠٠ غير ان افرادا من آل المصلي اليافعيين رفضوا هذه الفكرة الانتحارية ، التى كانت ستقضي على جميع آمال يافع في الملك بحضرموت ، وشجعوا الجمعدار عوض على الثبات هو وجيشه ٠ فتفتق ذهن الجمعدار عوض عن حيلته المشهورة التى طرد بها آل كثير من الشحر وقد اشرنا اليها فى كتابنا « فى سبيل الحكم » ٠ وعن هذه الحيلة التى وقف فيها يافع صفا واحدا ، فى وجه هزيمة كادت ان تكون محققه ، يقول المعلم عبدالحق من قصيدة طويلة :ــ

الحـــرب حيله والعقـــول مدافـــــع
والــــرأي لَصْــوَبْ مثل دحـــن البادى
اللـــــــه سبحانـــه يدلـــل عبــــده
فـــى الضـيق عا درب الطـــريق الجادى
أمـــور نجهـــلها ولكن ربـــــك
يســــــهل الشر بــــــه لمن هو صـــادي

ومن هجوم آل كثير على الشحر قال :

حملاتهم عالخصـــــم مُيْلِـــه واحِـــدِهْ
ما ٱلقَـــوا شبيه الحـــرب لي نعتادي
نعتــــــاد هت بنـــدق وخـذ لك بنـــدق
ويدخـــل الســاعي وجـــا الســـدّادي

الى قوله بعد اندحار آل كثير

تهناكـــم الجـــودات ياخـــو صـــالح
يامكرمـــين الســــادة الاوتــــادى
تهنــــــا بني مالـــك ومن دامت لـــــه
عـــوض علِي الجـــوده وقـــع جَهّـادى
السعــــــد قبلـــه ولا ورد يتقـــــــدم
وليس يتأخـــــــر مـــــع المـــيرادى
ويكســر الخاطـــر لمـن يعرض له(×)
قلّـــد على الخصـــم احـــكم القِلّادي

★ ★ ★

لقد كان علي ناجي البريكى حكيما حينما غادر الشحر ... وعلى كل تقدير

(×) يعرض له : يقاومه او يجترىء عليه .

فانه لم يكن في وسعه ان يصد الزحف الكثيري بمفرده ، وانه سيكون قد ارتكب افضع حماقة لو انه بقي بالشحر معرضا نفسه والحفنة الضئيلة من انصاره لهوان الاسر وذل الهزيمة راميا بآماله الى احتمال قد يكون ، والارجح لن يكون ، وهو أن يسمح له آل كثير بمغادرة البلاد هو وحاشيته الى مكان آمن يطمئن اليه ، دون ان يساورهم القلق قبل كل شيء من احتمال محاولته الانقضاض عليهم او ، على الاقل ، الكيد لهم وهو بعيد عن متناول يدهم •

لكنا نعذر المعلم ونقدر موقفه فقد كان في مقام مدح امير مزهو بنشوة النصر، ولم يسعه الا ان يضيف الى صفات ممدوحه ، السلطان غالب بن محسن الكثيري خليقةَ العفوِ عند المقدرة •

★ ★ ★

وسنشاهد لدى استعراضنا اشعار المعلم انه يشفع بعض قصائده بتواريخ أشبه بالرموز ومنها قصيدته التي رَدَّ بها على امبيريك زُرْبادي شاعر آل كثير وكان موضوعها تسليم حصن المعيقاب ، الكائن في سجل شبام ، للقعيطي من قبل آل مهري آل كثير • قال :

صلوا عليه عَدّ لبيات التي توصف
ستين والصّح عَدَدْها خَلْطَها معروف

اى ان الشاعر قال إنها ستون بيتا والأصح انها واحد وستون وهو ما اراده بقوله (والصح اى الاصح ، عددها خلطها) في باطنها معروف •

على انه عندما ارخ هذه القصيدة ومطلعها ــ

ابدي بمن في القضا والامر يتصرف
وليس حكمِه من المقضي يقع مصروف

قال :ــ

تمت وتاريخها يوم الخميس الحَف
مدخل رجب ، عدّها المِرثاه ، جات لحوف

سـنة ثمانـين والوجـده والـف اردَفْ
من بعـد مئتـين ، مخرج للعدو مـردوف

ولكي نفسر الغاز المعلم عبدالحق الواردة في هذين البيتين يحسن بنا ان ندل اولا على تلك الالغاز وهي كامنة في قوله (عدها المرثاة) وقوله (جات لحوف) وقوله (مخرج للعدو مردوف) • أما قوله (عدها المرثاة) فأنه يعني آل مهـري الذين يستحقون فى نظره الرثاء لهول ما اصابهم على ايدى يافع وحلفائهم آل تميم على عهد الجمعدار عمر بن عوض القعيطي فى منطقة شبام • وقد عد آل مهري دراهم التعويض عن اموالهم التى استولى عليها القعيطى بسحيل شبام لانهم لـم يستطيعوا الصمود امامه طويلا فى منطقته المعروفة الان بسحيل شبام وكانت وقتها تعرف بسحيل آل مهري • وقوله (جات لحوف) اى ان الصلح الذى تم بين آل مهرى والقعيطى على يد منصب عينات فى هذه القضية جاء كاللحاف غطاء ساترا على ضعف خصوم القعيطي • وقوله (مخرج للعدو مردوف) أي ان ذلك الصلح أتى حافظا بصورة مزدوجة ، لا لماء وجه آل مهري فحسب ولكن ايضا لماء وجه اخوتهم آل كثير جميعهم •

ومن قبيل الاستطراد نذكر مانقله المؤرخ سعيد عوض باوزير عن هـذه الواقعة قال في صفحة ٢٢٤ من كتابه ـ صفحات من التاريخ الحضرمى ـ تحت عنوان ـ معركة السحيل ـ :

« لم يبق من مراكز شبام المهمة بيد آل كثير سوى سحيل ابن مهرى الواقع جنوب شبام ، فقد دافع عنه آل كثير دفاع المستميت وثبتوا امام هجمات يافع ما يقرب من اربع سنوات تقصف المدافع مراكزهم وتنهمر عليهم طلقات الرصاص فيشتبكون مع المهاجمين فى معارك تتساقط قتلاها وجرحاها من الجانبين ، ثم انتهت بتسليم جميع حصون السحيل الا حصن المعيقاب فقد ظل يدافع ، حتى توسط منصب عينات في عقد صلح وافق عليه الفريقان وسلم الحصن الى القعيطى بموجب وثيقة الصلح ودفع القعيطى عشرة آلاف ريال مقابل أموال آل مهرى فى السحيـل والمسيلة والسباخ النجدى التى آلت كلها للقعيطى سنة ١٢٨١ هـ » •

اما الشاعر عبدالحق فيقول فى قصيدته التى اوردنا مطلعها قبل برهة ، على

طريقته التهكمية في تجريح المهزوم من القبائل ، مخاطبا رسوله الى ميريك زربادي شاعر الغرفه المشهور :ـ

قم شد مهري من الطير القطامي خف
طامخ مع الطّلق جِسّه ما يرى مخفوف

در للذى من لسان الصدق ضربه طف
فيما يقوله ترفّع ضربه المطفوف

ترفع الضرب والمعبر عليه اسقف
مبناه خالف تلاطم وجله المسقوف

زربادي اعطه كتابى لي لسعد اسعف
والله لا اعذره لو هو في رجال اسعوف

وقل له الشرب لي ما بيننا اتعيّف
ولعاد صفّاه بقّناه بينا معيوف

أنظر بعينيك الى المرثاه يالكْشَفْ
تشرب علي من كلامك من وعا مكشوف

شفنا كما الهام يفنيك إن قبص او نسف
مسموم نابي على المقبوص والمنفوف

الى قوله :

ياخو عوض يذكرون المانع استخطف
حصن آل مهرى قدا حَقّه صبح مخطوف

ويذكرون القعيطي خَرَّجَ المَكْلَف
من بعد ما قد خرج كم من ولد مكلوف

وامـــا الكثيرى وســـلطانه ومن قــد صـف
كم جيـــد منهم عليه امســى المدر مصفــوف

ثم يذكر المعلم يافع وحلفاءهم آل تميم وفـوزهم بجـلاء ابن مهرى عن منطقة شبام :ـ

يافع تبـــادوا على الحَمْلِــة وجـــابوا زَف
قنيص فـــي شُعب وقعت من وسطـــه ازفوف
ومثلهم من بني ظنـــه لحـــام الصـــف
تحت الثلاث الميـــتــه خرجوا رجال اصفوف

إن لَيَّنُوا بالقنيص احســن قــد اقضُّوا شَف
وان عــوَّدوا للقناصـــة هُوْهَـوَى وشــفوف

ماهم كما كل من جاء قـــال فى المصـــرف
يكثر كلامـــه لحتى يســبر المصـــروف
والعيب مايعرفونه مثــل مَــنْ حـــرَّف
والصـــلح ما يكتبونـــه والقلـــم محروف

ويمضى المعلم فى تهكمه ، فيوصى زربادى بالتحدث الى السلطان غالب بن محسن الكثيرى ليأخذ حذره ، حيث ان الزحف القعيطى قد يسلخ من السلطنة الكثيرية المنطقة الواقعة بين الحزم وسوم بن همام الواقع اسفل سيئون ، علما بان فقدان مدينة شبام ثم سحيلها من يد آل كثير قد خفف مسئولية السلطان الكثيرى من معاناة شؤون الرعية .. قال :

ياخـــو عوض قل لغـــالب خف ظهرك خـــف
من المدينة وظهـــرك منهـــا مخفـــوف

طاول على السوم شف برق القعيطي رف

خاشي على الارض من سيله تصير اجروف

تشاوروا في ضمام الارض لاتخسف

مثل السحيل الذى مما جرى مخسوف

ويتمنى المعلم لو ان مساعى الصلح تشمل كل القضايا المعلقة بين يافع وآل أكثير لكى يستتب الامن في وادى حضرموت ، ذلك لان الكثيرى مازالت به بقية من قوة ومنعة :

عسى يجى سعي أحسن لي عدل وانصف

يسلّم الخلق والوادي يقع منصوف(١٦٨)

ماقول في وهمي ان حد منهم ظَرّف

أيضا ولابعد منازلهم خلاء وظروف

ويشير المعلم الى السلطان عمر بن عوض القعيطى قائلا :ـ

شف ذا عمر بن عوض اللنقرا الاحنف

لي بالبقش دوب يفضح كفه المحنوف

وكلمة (لنقرأ) كلمة هندية معناها الاكسح • والاحنف كلمة عربية فصيحة ومعناها ذو القدم الملتوية • وكذلك كان عمر بن عوض القعيطى مصابا بشلل اطفال منذ طفولته اصابه بالتواء فى احد قدميه وكان يمشى كالكسيح ، وقد اطلق عليه ابناء القرية التي نشأ فيها وهي خَمُور(١٦٩) لقب (اللنقرأ) لانه عرف بشيطنته بين اقرانه فكانت تقال له مدحا فى صورة ذم(١٧٠) •

---

(١٦٨) يسوده الانصاف والعدل •

(١٦٩) من أحباط شبام وفي رواية انه نشأ فى قرية لحروم •

(١٧٠) تزعم احدى الروايات ان الذى اطلق عليه هذا اللقب هو قائد جيش ولاية ناجفور بالهند وذلك عندما تقدم الصبي عمر بن عوض القعيطي اليه طالبا الانخراط فى سلك الجندية • فازدراه القائد ولم يعينه الا خادما لقهوة الجيش وعرف بين افراد الجيش باللنقره •

ولكن المعلم يستدرك الوصف فيشفعه بالسماحة والكرم اللذين كان يتحلى بهما عمر بن عوض القعيطي الاحنف فكان يفضح بهما الرجال ذوى الانفس الملتوية الجنفاء فتأتيه الامور كما كان يريدها وفي هذا القول ذم غير مباشر لآل كثير.

ويخلص المعلم من الحديث عما جرى بين يافع وآل كثير الى قضية بينه وبين معاصره الشاعر امبيريك زربادى ، وهى ان المعلم ما كان يود ان يقول شيئا مما قاله فى حق القعيطى والكثيرى بيد ان زربادى هو الذى اثاره . قال :ـ

لاحل لــــه يوم خــلا نومي اتشعــــف

لكن نومــــــه من العجلة رجع مشعوف

ياربنــــا ســـالك اهلك من عَلَيْ كلّــف

فى البدع خـــلا المعلم بالثقـــل مكلوف

وفى الابيات التالية اشارة الى عادة سنوية اعتادها بعض شعراء اعالى وادى حضرموت الفقراء ، كمثل باعَطْوَهْ وزربادى وخَــرّاز ، حينمـــا يتوافــدون على مسيلة آل تميم ، فى المنطقة الواقعة بين السويرى وقسم ، يستجدون التمر من ذوى الاملاك . فقال المعلم مداعبا زربادى لكنها مداعبة لاتخلو من ملامزة فكاهية :ـ

والوعـــد ســـاعة يجــى للحَــدْر يتخــرّف

هـــاذي السنة شوف حدراء نخلهـــا مخروف

معاد يتقن اذا جـــيـــاء حامـــل المقطــــف

حـدراء يسـبّر بهـــا من عنـد بن مقطوف(١٧٧)

للتمـــر لي يشـــرح الخــــاطر اذا تقـلّف

لا زاد جوعــه غَطّــلْ مـن جحلـة المقـــلوف

(١٧١) ابن مقطوف احد فروع آل سلمه بمنطقة دمون وهي المنطقة التى يسكنها الشاعر عبدالحق .

الصـــدق عنـــدى ولانـــا ذاهل المعـلف
انظـر الى القَـلْح في لحيتـك يا المعلـوف

وان كان ياخـو عوض ذهنـك وقلبك خـف
عليـك بالليـل ريح السـمن يا المخفـوف

واستطرادا في المداعبة بين هذين الشاعرين الشعبيين الكبيرين يتحدى المعلم صديقه زربادى ان يسمع الناس قصيدته اولا التي أثار بها المعلم ثم يسمعهم ردالمعلم ليحكم الناس بينهما من كان منهما المعتدى ، ويشترط المعلم ان يتغنى بالقصيدتين المغني بَدَارَهْ مع مصاحبة المدروف • قال رحمهم الله أجمعين :

اسـجع بـدعك عـلى المـدروف لادَّرَّف
وخـل كلّين ينصـط لي على المـدروف

وهـات بعده جوابي يادُوَعْ يا اخجـف[١٧٢]
وينقـدون العـرب من مننـا المخجـوف

قصـدى بداره يشـله والجواب ، وان شف
واذنـهْ يشـلّه وان ماشـل به باشـوف

ونلاحظ في هذه القصيدة لمحة بديعية وهي «التصدير أو رد أعجاز الكلام على صدوره ، وتلك طريقة معروفة لاهل البديع وتقتضيها الصنعة لانها تكسو البيت رونقا وطلاوة •

* * *

والتصدير يقسمه البديعيون الى قمسين : أولاهما ، ان يوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الاخر ، وذلك مافعله المعلم عبدالحق في قصيدته التي مرت بنا وفي قصائد اخرى له ••• هذا الأسلوب شائع بين الشعراء الشعبيين الحضارمة ويقوله بعضهم سليقة دون أن يقصدوا منه اللجوء الى المحسّنات اللغوية

(١٧٢) الدوع : المغفل • والاخجف : المضطرب التفكير •

بالمعنى المعروف عند أرباب الأدب الانشائي : وثانيهما ، مايوافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه نحو قوله :

استعجلت في دانها والمغنا
من العجل لمخت بالاستعجال

او كقول سالم سعيد قريشن وكان رحمه الله شاعرا شعبيا أمياً :ـ

دار الفلك قال السباعي عا خبيثين العمل
واستكبروا ما حاسبين الوقت عاده بايدور

أما ما يعرفه البلاغيون بالترديد ، ويعده بعضهم ضربا من التجنيس والتصدير فهو ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه من كلمات كقول المعلم :ـ

يبغا طمع طرّق له الـ مصقور خذ مال الطّمع

او قوله :

سمقوا بني مالك ولا قايستهم بايسمقون

وقد عالجنا هذا الموضوع بتوسع في الجزء الأول من كتابنا «الشعر الشعبى الحضرمي فن وصناعة» .

* * *

ولربما سار المعلم على منهج بعض الشعراء ، فابتدأ قصائده بالنسيب ، مثال ذلك قوله في اخدى قصائد القناصة وقد استهلها هكذا :ـ

بني مغراه غنّى لكم رجّاش حجله
صغير السن حاز الروش والزين كله
غبي مايعرف الناس ، به هيبه من اهله
عسى يطرف ويسعف ولو شوفه بغفله
ترانا قيم بالباب ، يابواب قل له

ترانــا مِنْــهْ في ذي الليــــالي بِيْت لِهْلِه(١٧٣)
وقلبــي ممتحـــن مشتغـــب من بعـــد خلـه
رهيف القـــد جعـده هبـع لاكعـب زجلـه
معبـا فـــوق لمتـــان مقلـــه بعـــد مقلـــه(×)
ينفـــح بالخُمّـــرْ لاغـــرف من غـــرف عدلـه
وشك أحـــراز تبِّن من سلطـــان حملـــه
وتنظـــر في جبينـــه رســـوم العشق كلـه
ولاح البـــدر في جبهتـــه ياموت خَلّـــه

ثم يتخلص ، على غير وسيلة صالحة للتخلص ، الى غرضه فيقول :ـ

وبعـــد الساع شـــهر الصفـــا بانستهلـه
دخـــل حلـــه وحـــل الجبل ، ذا اليوم حلـه
الــــخ الخ ....

فالنسيب هنا سوقي لايهز الوجدان ولايثير الاشجان.. ومثل المعلم فـي اباته التى ذكرناها مثل عوام القوالين ارباب القوالب المصبوبة التى لاتحمل سمة القائل ، ولاتنم عن اية صبابة حقيقية . انه الشعر القديم الشخصية . والحقيقة ان المعلم عبدالحق حاول القول في ميدان لم يكن من فرسانه .

وهو في الغزل اضعف ، ذلك لان المعلم ذا التربية الدينية المتزجة بالروح القبلية المترفعة عن «المساخر» او ما يعتبر في نظره اشغارا العياذ بالله منها ، على حد تعبير المقدم سالم عوضٍ بن سلمه ، قد تحوجه المجاملة الى السير فى مسالك كـان لها كارها كل الكراهية . ففي قصيدة بعث بها الى صديقه السيد عبدالرحمن بن محمد شهاب(١٢٢٠ـ١٢٩٠هـ) ، والد السيد ابي بكر بن شهاب الشاعر والعلامة الحضرمي المعروف ، وكان السيد عبدالرحمن مشهورا بقصائده ، في معظم الاوساط النسائية

---

(١٧٣) أهـــــذي
(×) المقلة : خصلة الشعر الكثيفة .

لرقتها ولسهولتها ، وقد اشتهر ايضا بقصيدته التى حكم فيها بين البيض والصفر والخضر (السمراوات) من النساء • ومن تلك القصيدة قوله :

بيضاء وخضرة بينهم عداوة   والثالثة صفره بهن قساوه
قلت اسكتن انّ المرْه شقاوه   قد خير واحسن يا لملاح سدّين
ثم قالت البيضاء لنا التقدام   السخ السخ ....

اجل ، فى قصيدة بعث بها الى السيد عبدالرحمن بن شهاب ، قال المعلم متغزلا :ـ

يقول من هو بذنبه معترف
وخايف العار في يوم العذاب
يارب قلل علي حملي وخف
واغفر خطايا من استغفر وتاب
صلوا على من بدينه مكتلف
المصطفى جد لشراف النساب
ذا فصل والبارح العذب الترف
في غلب يسجع بالاصوات العجاب
فقلت له بطّل المغنا وكف
حيث ان صوتك نحل جسمني وذاب
كلفت قلبي وقدنا مكتلف
يافائق الغيد ياحلو الشناب
مالك مثل في الغزل لاحد يصف
لا فيك حيله ولا فيك انقلاب

الى قولـــه :

أنظـــــــر بعينــك على خلــــك شــرف

مـــاحد مُسَمْسَرْ كمثلي فيــك حـــاب

لكنــــك اشــفق بحـــالي ياغنـــف

ياغصـــن ريان من خــير الشــــراب

أرثَ الـــذى تحــت بيتــك معتكـــف

راجيـك تسـمح بليلـــه لـــه طـلاب

منّـــك وحذرك تقـــع فيهـــا نُطِــفْ

من مَـــدّ حَسْـنِه يعـرِّب للثــــواب

يا بخـــت مـن هــو بيتنـــك معتـــكف

يبلـغ مــــراده اذا الشـيطان غـــاب

ياذى جعيــــدك فَشِـــلَّ مـــا يعتكف

ياحـــــي ذيــك المخاليـــل الـكحاب

والخصـــــر لاهبّ لَزْيَــب يعتسنـــف

والصــــدر رائيـــه من رقـــل الكعـــاب

من شافهن في مســــيرة يختجــــف

وان كان كاتب يخـــالف فى الـــكتاب

ســــبط القـــدم تم وصــفه لي يصــف

حيطـــه يمن لـــــه يحنـــين الركاب

اذا ذكرتـــــه دموعـــي ماتكــــــف

عسى اتفاقــــه بالايـــام القـــــراب

الى قولـــه :

وبعـــد قـــم فوق مهـــري مشتعـــف
مالـــه مثل لا ومن ينشـــي السحاب
ســرِّحْه من ثبي واســـرح به وخِـف
وجِـــدّ بالخط محـــكوم الكتـــاب
بلّغـــه خـــو علوى أحـــلى من يصـف
خو عيدروس المكنّى بن شـــــهاب
قـــل ، قال مـــن دوب نومـــه مشـتعف
من هجـــر لي فيه عبدالحـــق حـــاب
انـــا المولّـــع وهـــو منّى شِعِـــفْ
عسى وصولـــه يقـــع ، زيـن الخضـــاب
ذا لـــي حصل وانت ياسيِّـــد عِـرِفْ
وادرك عَلَيْ ياحبيبـــي بالجـــواب
والختـــم صلوا على احمـــد ما يقـــف
قاريء على المـــائدة(١٧٤) وام الكتـــاب

ولم نقف على رد ابن شهاب ، بيد أنا مشفقون على المعلم عبدالحق لاننا نخشى ان يكون قد وضع يده في فم الجمل أو ، بمعنى ، آخر ، قد جعل الضرغام بازا لصيده . وعلى كل فاننا لم نجد جديدا فى الاربعة والعشرين بيتا التى قالها المعلم الا الفاظا مطروقة وهى اشبه ما تكون بقطع العملة الدارجة التى اتلفها طول التداول .

★ ★ ★

وباستثناء اغراض الغزل والنسيب ، فقد كانت للمعلم عبدالحق اضافـــة الى شعره البطولي ، مساجلات فنية لطيفة ، تعد من عيون الشعر الشعبي الحضرمى ،

(١٧٤) سورة المائدة .

مع معاصريه من كبار الشعراء الشعبيين منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ المنصب عبدالله القحوم العمودى (قرن ماجد) والشيخ ربيع بن سليم (تريم) والشيخ اميريك عوض زربادى (الغرفه) والمقدم الشيخ صالح بن سالم بن يماني (قسم) والشيخ عوض بن محمد باعطوه (تريس) والشيخ سعيد هادى الشنظوري (المكلا)والمقدم الشيخ عبدالله بن صالح بن النقيب السعدى (شبام) والمقدم الشيخ يماني بن ناصر بن قرموص التميمى (الغرف) وكثيرون غيرهم • وقد اوردنا معظم هذه المساجلات فى الجزء الثالث من كتابنا « الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة » •

وبما ان المعلم عبدالحق كان مدرسة في اسلوب القول ، نقد تركت فنون شعره آثارا عميقة لدى شعراء الاجيال التى تلت جيله • فنرى اثر فنه وصبغة من اسلوبه ظاهرين جليا فى اشعار كل من مشاهير الشعراء الشعبيين الحضارم كالامير حسين بن عبدالله القعيطي والشيخ عبدالله بن ابراهيم باهرمز والجمعدار محمد احمد باحاذق والسيد محسن بن احمد خمور والمقدم عبدالله مبارك الجعيدى والمقدم صلاح احمد الاحمدى والعلامة السيد ابي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب •

واذا كانت الطبقة الاولى من الشعراء الشعبيين التابعين لعصر المعلم قد تأثرت بفنون شعره ، فان طبقة جيلنا المعاصر لم تتأثر بشعره فحسب ولكنها أيضا اغارت على معاني المعلم عبدالحق ونظمه فى اقتباس وانتحال ظاهرين •

★ ★ ★

والسرقة فى الشعر داء قديم ربما اصاب حتى ذوى المواهب المرموقة من الشعراء • ولقد كثر الكلام حول السرقات الشعرية حتى بلغ بالناقدين المتعنتين درجة الاسفاف والخروج عن مألوف النقد الموضوعي المفيد لدى تجريحهم من يتهمونه بالسرقة فى الشعر • وينطبق كلامنا هذا على نقاد الشعر الفصيح ونقاد الشعر الشعبي •

والواقع انه ليس من السهل الحكم على شاعر ـ أى شاعر ـ بالسرقة لمجرد وجود التشابه بين اقواله ، من حيث المعانى والصيغ ، وبين اقوال من سبقه من الشعراء •

ان قضية السرقة فى الشعر موضوع دقيق وخطير ، وان تبيان السرقة يتطلب نظرا فاحصا فى مواطن السرقة المزعومة والماما بمدلولاتها ، لكى يكون الحديث عنها مقنعا ولتكون لدى الناقد ، مصدر الاتهام ، قضية كاملة الاركان كما يقولون في التحقيق القضائي • ورغم التفريعات الكثيرة التى وضعها النقـاد وخاصة ما اتصل منها بالنقل المشبوه ، فاننا نجمل القول فى السرقة الشعرية فى اهـم عناصرها التقليدية التي حددها الادباء الاقدمون في مجال الشكل ، ولعلها ما زالت مقبولة عند الادباء المحدثين مع اختلاف بسيط في المسميات وأساليب العرض •

فالسرقة انواع ابرزها النقل والقلب • وينقسم النقل والقلب بدورهمـا الى نوعين : مذموم ومحمود • والشعر المسروق ينقسم ايضا الى قسمين : مشترك ومختصر • هذه هي اهم معالم السرقة ، وما عداها فهو تبسط فى الحديث لايخرج بالناقد الى جوهر غير جوهر هذه الاصول التى ذكرناها وهي اصول تنطبق على نوعي الشعر الفصيح والعامي •

فالنقل هو نقل المعنى من غرض الى آخر ، كأن ينقل الشاعر بيتـــا قاله شاعر آخر من النسيب فيحول معناه الى المديح او الهجاء او الرثاء او غيرها من اغراض الشعر • والناقد الغفل تخفي عليه الصلة بين البيتين مع وضوحهـــا للناقد اليقظ • ومن امثلة النقل قول المعلم عبدالحق عن المقاومة اليائسة التـــى أبداها عبدالقوى بن محمد بن غرامه في وجه الغزو الكثيرى لمدينة تريم التى كان يحكم جزءا منها •

قال المعلم من قصيدة طويلة واصفا المقاومة :ــ

بَـــرَّز لمن لاينقبضـن زنـــوده   ان القوى زنـــده عســـر فِلاَّته

فحول الامير حسين بن عبد الله القعيطى معنى البيت الى الرثاء في مرثية له في احد إمراء ولاية حيدر اباد بالهند • قال :

وكيف يقدر ابن آدم يفلـــــت   والموت شيئاً مقويـــات ازنـــوده

أما القلب فهو ان تنقض غرض البيت او الابيات فتحيلها من المدح الى الذم •

يقول المعلم عبدالحق مادحا آل البطاطي في حربهم مع ابن محفوظ وحلفائه آل كثير فى واقعة القُزه التى انتصر فيها آل البطاطي :ـ

واما البطاطي قد بطا ما اتوقّع ... والحصن قد هم قابضين اربـاعه
والمدفع الفاجع عليهم ينصع ... والغيد فـوق الحصن مثل اقباعه
يحجرن ساعة يضرب اربع باربع ... واهل الثناء كلاً يزيـد اشجاعه

فنقض صلاح احمد الاحمدى معاني المعلم واحالها الى ذم فى حق احـد الاشخاص بحيدر اباد فى هجاء مشهور • قال الاحمدى :ـ

دُوَيْـهْ يوقِّع والفضـائح سيلها ... يَدْرُجْ بحِصْنِه بأيْفُضْ آربـاعه
رِجَّال مايعتاز طبعه من زمـن ... من جـاء الى داره شراه او باعه
والغيد حلوات المباسم في الوَصَرْ ... لكل مَنْ للشـر مَدّ آذراعه
يُحْجُرِنْ لاشِفْنِ البَقْشْ لَوْهُوَ دَحَقْ ... لَعَذُور أو فـي القَرْفْ مدّ اصباعه
وهو يشاهد كل هذا المنكـر ... اصـل المناكر لـه بِلَعْ وبضاعه
مفضوح ما تنسبه لاَ أهـل الثناء ... لكن فى الرِذْ لِـه يزيد اشجاعه

والمثلان اللذان ضربناهما لابيات القعيطى والاحمدى يعتبران سرقة ربما جاز لنا ان نسميها سرقة محمودة •

والسرقة المذمومة هى ان يأخذ شاعر كلمات ومعاني شاعر آخر ويلتزم غرض قوله وبحر بيته وحركة رويه ونوع قافيته • ومثل ذلك قول الشاعر الشعبي عبد القادر بن عمر بن مبارك بن شيبان المشهور بالشُّعَيْرة[١٧٥] (توفي في ســواربايا باندونيسيا سنة ١٣٤٣ هـ) ـ وهو شاعر فحل بين طبقات اقرانه ، وذلك في احدى قصائده التى قالها وهو باندونسيا ••• قال :ـ

---

(١٧٥) الشعيره تصغير شاعر وهو اسلوب محلي على غير قياس ، وقد لقب الشاعر هكذا لانه قال الشعر في سن مبكرة جدا •

هذا التفسير ذكره الدكتور سارجنت فى كتابه (الشعر والنثر العامى بحضرموت) وهو غير صحيح .. والصحيح أن لقب الشعيرة كان يطلق على جد الشاعر مبارك ، ثم أطلق على أبي الشاعر ثم على الشاعر عبد القادر .لقدكانت جدة مبارك تطلق عليه (شعرة العين أو شعيرة العين) فلقبوه للناس بالشعيرة .

وقد روى لى هذا الوصف أكثر من واحد من شعراء حضرموت الشعبين ومن آل تميم أقرباء الشاعر .

آهٍ على من كان يعـــرف قيدها واطلاقهـــــــا

وقد سرقه من مرثية المعلم عبدالحق في المقدم صالح بن سالم بن يمانـــي (قالها عام ١٢٨٣ هـ) ـ حيث يقول :ـ

ذاك الذى عنده فكاك المشكلة واطلاقهـــــــا

وقال الشعيره :

كبدى تَقَطَّبَتْ جـار ما عنـــدى خِلِـــفْ معلاقهـا

وقد اخذه من قول المعلم :ـ

سالم تقطبت يـــده اليمنى خـــلف معلاقهـــا

وقال الشعيره :

كاسـا تصـــم الراس بَلْوَهْ لاح لـــي برّاقهـــا

وقد أخذه من قول المعلم :ـ

معادنا لاَّ مـــن سحابه لاح لـــي براقهـــا

وقال الشعيره :

تضحك على أربـاب الهـوى تضحك على حُمّاقهـا

وقد أخذه من قول المعلم :ـ

فارق من الدنيـــا التي تضحك على حماقهـــا

وقال الشعيره :

شو اغلى في القـــلب لـــو هي عالجبل ماطاقهـــا

وقد أخذه من قول المعلم :ـ

شـــواغل أهـل الحصن لـو هي عالجبـل ماطاقها

وقال الشعيره :

حيـــا صبــاح النـــور لا يابارعـات اعناقهـــا

وقد أخذه من قول المعلم :ـ

والحـــور حـــلوات المباسم بارعـــات اعناقهـا

والحقيقة ان مرثاة المعلم عبدالحق من الاشراق الصادق بحيث تغـــرى بالاختلاس منها في الفترة التي يقل فيها تداول اشعار المعلم عبدالحق وبالتالى يصبح الاختلاس منها سهلا ميسورا ..

اما القــول المشترك فهو الذى لاينفرد به فرد دون آخر كالوصف بحـــد السيف او برهبة الليل الى آخر هذه الصور والاحاسيس التي لم تعد ملكا لشاعر دون شـــاعر ، وبات مجال القـــول فيهـــا واســــعا لكافــــة الشـــعراء . ولا يمكننا ان نقول بالسرقة فى الشعر الذى يردد المعانى المفهومة بالبداهة كقول المعلم عبدالحق :

أعمل لنفسك عمل تعتز بــــــه ينفعك ساعة حصــــاده والصراب

وبعده يأتي مبارك بن سالمين الجابرى ويقول :

كن من صحاب الصنايـــع انهـــا أمـــان قـــال الفتـــي من حاجتـــك

فالجابرى هنا أتى بقول مأثور تشترك الناس فى فهمه بحكم التجربة الانسانية .

واما القول المختص فمثله قول المعلم :

ذا بعض قــولي وابتكـــر يالعانـــي معامكتّبهم(١٧٦) وخذ لك غادى(١٧٧)

ويقول الجمعدار محمد احمد باحاذق من قصيدة ارسلها الى صديقه صلاح احمد الاحمدى وكان الاثنان مقيمين بولاية حيدر اباد :

وقم يالمعتنـــي وارتحل عامعَشّنيـــه الى القام البِرك لي به الباروت معكون

---

(١٧٦) العاني والمكتب بمعنى واحد وهو حامل البريد الخاص .
(١٧٧) الجمل سريع الجري .

فالاختصاص هنا هو ان المعلم عبدالحق لايعرف وسيلة في زمنه ووسطه للمواصلات البريدية غير العاني والجمل فاتى قوله سليما ومعبرا عن حالة عصره • اما ' حمعدارفقد أتي قوله فاسدا لانه عبر بأسلوب لايختص بوسطه ولا بعصره على الاطلاق • لقد قال المعلم بيته بحضرموت عام ١٢٨٤ هـ عندما هاجم آل كثير الشحر • اما باحاذق فقد قال بيته عام ١٣٣٨ هـ وارسل قصيدته ببريد السكة الحديد من حيدر أباد المدينة الى القرية (القام) التي يسكنها الاحمدى بمنطقة ولاية حيدر أباد • فالناقة المعشنية (نسبة الى بيت المعشني المناهيل المشهور نياقهم بخفة الحركة) لا محل لها في القول • ولو اننا اردنا أن نحمل قول باحاذق محمل الكناية لكان تبريرنا اعتسافا • مع ان الفرزدق العصرى ، وكان مقيما بحيدر أباد ، يقول قولا مختصا سليما في احد ابياته :ـ

خذ لك تِكِتْ بالرَّيْل نوع المَيْل واسرح بالبكور

لانه توخى التعبير التنليم ودل دلالة واضحة على معلم من معالم الحياة في زمنه ومحيطه • وكان الفرزدق دقيقا في تعليماته لمرسوله عبر كلماته الاجنبية التي استعملها كما هي عادة شعراء المهاجر (عقدنا فصلا خاصا بالكلمات الاجنبية التى استعملها الشعراء الشعبيون الحضارمة في الجزء الثالث من كتابنا « الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة » • فكلمة (تكت) انكليزية اى تذكرة Ticket سفر • وكلمة (الريل) انجليزية وهي اختصار لكلمتي Railway اى سكة الحديد • ثم بين الفرزدق نوع القاطرة التى يريد رسوله ان يسافر بها فقال (الميل) وهى كلمة انجليزية Mail اى قاطرة البريد وهى عادة اسرع من قاطرة البضائع •

اما السرقة الصريحة المذمومة التي يعتذر عنها فهي قول السيد سالم بن عبدالقادر العيدروس (مولى بور) • وقد سألت السيد سالم عن هذه القضية فقال جادا انه كان يدرك موطن المؤاخذة في ابياته ولكنه ـ كما ذكر لي ـ اقتبس كلمات المعلم

عبدالحق من قبيل الاعجاب والتبرك • وقد اعجبتني صراحة العيدروس ولمست من نفسي مكان التأثير العميق اذ انني لم اكن اعلم ان للمعلم عبدالحق في نفوس كبار الشعراء الشعبيين الحضارمة منزلة اولياء الله الصالحين • والمعلم عبدالحق ـ من الناحية الفنيـــة ـ جدير بالاعجاب وبهذه المكانة الجليلة فى النفوس • والواقـع ان اعتذار العيدروس رحمه الله حل في قلبي محل التصديق ، لانـــه كـــان شاعرا مجيدا ومبدعا ولم يكـن بحاجة الى الاستلاف من أشعار المعلم عبدالحـق لانني اعـلم مكانة السلف الصالح عند العيدروس • وسـوف نرى الان كيف كان (تبرك) العيدروس بكلام المعلم •

قال المعلم ، في مقتل السلطان منصور بن عمر الكثيرى فى شبام على يد آل القعيطي وذلك يوم الخميس الثانى من شعبان عام ١٢٧٤هـ ، قصيدة مشهورة مطلعها :

لاحت بـــروق الظَّفَـــرَ في الليـــل لي جَـــوَّح
وحـــن رعـــد الجميلة فوق روس القُـــــور

ومن جهة اخرى قال العيدروس فى حادثة القاء القبض على السيد حسين الدباغ في قريـة المشهد على يد السلطات القعيطية عام ١٣٦١ هـ ، قصيدة ذاعت في حينها واهتم بها بعض الشعراء ومطلعها :

الفاتحــــــــة ذى بهـــا القــرآن يستفتــح
وهــــي المثـــاني وهـــاهي أم آيـــــــاته

وقال المعلم في قصيدته التي ذكرنا مطلعها :

الوعل ذى كان فى الاصبار(١٧٨) يتميَّـــــــــح
مايعرف الدَّقم (١٧٩) خائف دثره المـــدثور(١٨٠)

---

(١٧٨) الجبال
(١٧٩) الدقم : طرف الجبل •
(١٨٠) الدثر الهلال •

فأخذه العيدروس وقال :

عالوعـــــل ذى عالمنــــــا صب كلها ميح
ولا رمــــاه اى شاطـــر فـــي رماياتــــــــه

وقال المعلم :

يــــوم انقضى العمـــــر من شاهــق جبل لَــوّح
حاكتنــه نفســـه وغــرّه شـــوره المغـــرور

فأخذه العيدروس وقال :

يــــوم القضـــــاء والقـــدر من عالجبل لــــوح
بين الثعالب نـــزل وانســـــــي حذاراتــــه

وقال المعلم :

الفقر يازى وذِكْــــر الفقـــــر لاصـــــبّح
وصاحب الفقـــر يقطب زنــــــده المعسور(١٨١)

فأخذه العيدروس وقال :

الفقــــر يــازى وذكـــر الفقـــر لاصـبح
والجهل يمكن يقـــود الشخــــص لامـــاته

وقال المعلم :

يا عـــازم اعـزم من الشعب الورب(١٨٢) واســرح
فـــي الحـــال من دار بحري مسجد المشهـــور

---

(١٨١) صاحب الفقر تكلفه الحاجة الى بتر زنده اى ارتكاب افعال قباح ٠
(١٨٢) الشعب الورب : دمون وقد تقدم شرح هذا الوصف ٠

فأخذه العيدروس وقال :

يـــاعازم اعزم من القـــرن البرك واســرح
بابيات حلوات محـــــكومات لفظاتـــــه

وقال المعلم :

حلّيـــت فـــي وسط غلمـــه للبـــلا تنطـــح
وفي الضّنـــك كل مترس(١٨٣) منهـــم مخبـــور

فأخذه العيدروس وقال :

ان عاد فـــي الارض غلمـــه للبـــلا تنطـح
تعســـف قـــرونه ولا تســـــمع حـــكاياته

وقال المعلم :

سَمّح بخطّـــــي مُبَحّر ســـعف من سمّـــح
واقصـــــد شبام الـــذي مكســـورها مجبـور

فأخذه العيدروس وقال :

سمح بخطـــي مقبل ســـعف مـــن ســـمح
واقصد الى دار تتهـــر فى بناياتـــــــه

وقال المعلم :

تلقـــى محمد اذا جـــا الضيـــف يتفـــرح
وان لاضـــوى بـــات في جنـــح الدجى مذعور

فأخذه العيدروس وقال :

شيده بوبكر بوســـقاف لي يفــــــرح
بالضيف من يقصـــده يعطيـــه تمناتــــــه

---

(١٨٣) المترس : المكان الذى يكمن فيه المقاتلون ٠

وقال المعلم :

الصَّقر ذى في الهـــواء يصفــــر اذا ميَّح
بَرَّح وصـــارت من افعالــــه عيونه عـــور

فأخذه العيدروس وقال :

الصـــقر ذى فـــي الهـــواء يصفـــر اذا ميح
مـــابـــدا بـــرح فى ارض منصوبات شبكاته

وفي ختام قصيدته قال المعلم :

بحق من انـــزل الآيـــة ألـــم نشـــرح
والعسر واليســـر في مثناتهـــا مذكـــور

فاخذه العيدروس واختتم به قصيدته قائلا :

واختـــم بمن أنـــزل الآية ألـــم نشـــــرح
والعسر واليسـر مذكـــورات مثناتـــــــــه

ان التقليد يقتل مزية الابداع في الفنان ، ونحن نلاحظ هنا أن العيدروس ، الذى عرف بقصائده الشعبية الرائعة ، يتعثر تعثرا لاهثاً لدى تكملته كل شطر من أشطر ابيات المعلم عبدالحق التي أغار عليها ، وما كـان أغنـــاه عن تلـك السرقة المؤسفة . ولقد كنا قد اوردنا القصيدتين كاملتين في الجزء الثانى من كتابنا (الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة) .

★ ★ ★

وبمرور الزمن تقدمت بالمعلم عبدالحق السنون فضعفت بنيته ولم يعد يهمه من احداث عصره الا رياضة القنيص المحببة الى قلبه ، فلقد ظلت ذكراها حية في نفسه ومتجددة .

وبحكم خبرته السابقة فى المسالك الجبلية التى تسلكها الاوعال يقدم المعلم عبدالحق للرجال القناصة برامج مفصلة لايام تلك المناسبات البهيجة ويدلهم على

مظان الصيد ويسميها باسمائها ، ولا يغفل ان يذكر محلات الدفء التى يلجأ اليها القناصة عند اشتداد البرد على رؤوس الجبال ، لان رياضة القنيص رياضة شتوية، ويحدد لكل يوم من ايام القنيص مواطن صيده الخاصة • قال رحمه الله من قصيدة مشهورة •

بني مِغْراه شوقي لكم يا اهل العنيّه
ومن مسراحكم يستمع دمعي خَوِيّه
مراجزكم تشوق لمن شوقه شويّه
قروح اروامكم منها السوداء(184) نديّه
وكمن جيد عند الدَّبَغْ جدّ حذيّه
مع الله سعفكم خالقي رب البريه
معا جاويد ، واليوم قدنا الا حَويّه(185)

برنامج يوم المسراح (الذهاب) الى القنيص • ويلاحظ اننا وضعنا خطا أسفل كل موطن ذكره المعلم من مواطن الصيد • قال :

الى الخُطْمه(186) فذيك الخَطَمْ ماهي وَطيّه
هو الغيل البِرِكْ راس شو ما هو لَويّه
عسى منّه تقع يالعَوْل خَيْرة عطيّه
ومَضْوا كُم الى الزّيرق أحسنها ضويّه

برنامج اول ايام القنيص :

حليمه بكرة الصبح والضوب العشيه
وفي المجحاف زف السمر بالمربعيه

(184) السوداء : القلب •
(185) كوم من الهشيم ، كناية عن شيخوخته وضعفه •
(186) تجمع على خطمه خطم وهي رؤوس الجبال •

اليوم الثاني :

وثاني يــوم مقنص حليمتنــا العليــه
يجي منها الذي يفرح المَنْصَب[١٨٧] وزيه[١٨٨]
وعاد القُفْل تفــرح مناصبــه الهييــه
وعند الكهــد مابــا المبايت الدفيــه
يبيّت فيــه من كان ما عنــده بِرَيــه

اليوم الثالث :

وثالث يوم يحفــر ويمــكن له سريــه
لحيث الصيد يلحــق طرق ســمحاء بتيه
ولالــه نوم ، يرقــد الى الشمس الضحيه
ولا لفجيت رَوْحَــه تقــع منكــم غَنيّــه

اليوم الرابع :

ورابع يوم نرجــو من العليا هديــه
طري يا اصحاب من لحم لوراك[١٨٩] الطريّه
وفرحــه لا وصلتــوا وأعضــاكم صحيّــه

اليوم الخامس وهو يوم العودة من القنيص :

ويــوم الزف أوجاهــكم سمحــاء رضيه
وعبدالحــق ما راد من قــوله جزيــه
سوى المطلوب عطوه من المولى غيبــه[١٩٠]

(١٨٧) الرجل الذى يحرس شبك الصيد .
(١٨٨) الرجال المعاونون مع حارس الشبك .
(١٨٩) جمع ورك الوعل .
(١٩٠) لاتعد ولا تحصى .

يجمّلكم ويعطي العـــــرب رحمـه هنيــه

انجملة (بني مغراه) التي تتصدر بعض الابيات الشعرية تعني في الاصل الرجال الذى يصحبون معهم كلاب الصيد • والمغراه هي الحبل او الجلد او السلسلة التي تطوق عنق الكلب • اما مهمة كلاب الصيد فنجدها فى ابيات المعلم الاتية : قـال رحمه الله من قصيدة قنيص :

اذا الله اراد باليسر وســـط الشعب حطّـين
الى مايدرج الشان في المَنْصَب(١٩١)توتين(١٩٢)
وفيه اوشاركم(١٩٣) شبك لي يقتام(١٩٤) بالفين
مغزّل زيــن لميــــاه في غـــزله تعــكّين

أي اذا اراد الله نزلت الاوعال الى الشعب واتجهت صوب المنصب وهـــو المكان الذى ينصب فيه الفخ الذى تقدر قيمته بالفى ريال اذ انه مصنوع من الغزل المتين باعين محكمة المقاييس يتقيد فيها الوعل ولا يستطيع منها فكاكا • اما الاوعال التى تبتعد عن المناصب حذرا منها فالكلاب لها بالمرصاد • وهنا يقول المعلم :

ولي قد ضــاع صرهد له الرحمن سَلْقَــيْن
عوادي شـغل قطمير إثْر الصيـــد يعـدين
يردّينــه الى الدقم واعيانه يهلّـــــــين
وقلنا الحمــد لله بعد العســر يســرين

فالصيد النافر يقيض له الرحمن كلبين سلوقيين تربية عبدالرب سالم قطمير وهو شخص اشتهر بجلب الكلاب السلوقية من نجد وتربيتها وتدريبها وبيعها او اعارتها بمقابل لرجال القنيص • ومهمة الكلب الكبير الجسم الجري خلف الصيد

---

(١٩١) الشرك •
(١٩٢) بمعنى نزلت •
(١٩٣) الشباك •
(١٩٤) يثمن •

ليرده الى مكان الشبك كارها ، فيقدم على مهلكه فرارا من كلب خطير ، واعين الصيد تصب دمعا ، وهو تعبير لطيف استعمله المعلم كناية عن اقدام الوعل كارهـا على دخول الشبك حتى لايفترسه السلوقي الملاحق له • فاذا ضرب الوعل الشبك (وكلمة ضرب هنا يستعملها القناصة للوعل الذى ينطح الشبك بقوة ليقتلع اوتاده ويفر من احد جانبيه) هلل القناصة لانهم واثقون من متانة شبكهم ، ومن احكـام نصبه ، وان الصيد لن يفلت منه •

وعندما يعود القناصة ويصفون للمعلم مغامراتهم ينظم لهم قصيدة للتغني بها في مسمرهم يذكر فيها بالتفصيل ما قام به القناصة من مهام فى ملاقاتهم وملاحقاتهم الصيد واصطياده • قال المعلم رحمه الله فى احدى تلك القصائد وقد بعث بها الى مقدم القناصة جندان بن محمد بن عقيل إبن الشيخ أبي بكر ، وكانت جماعته تتكون من ستة قناصة وهم عوض مطران الهويمل وعبيد سالم بن عمران وعلي عبدالله بن نبهان وسالم صالح العفاري وشقيقه مبارك صالح العفارى • اما الشخص السادس وهو الملقب بالمصب فلم نستطيع التعرف عليه من الذين رجعنا اليهم من مقادمة قريـة دمون لتحقيق اسماء الستة الاخرين بما فيهم رئيسهم جندان • وقد امتدح المعلم المصب باستدراك بديع حيث يقول :

مصب المسكتي لامصـــــب الماء لشـــــربه

والمسكتي هو الرصاص الذى يجلبه الحضارم من سوق ميناء مسكت (مسقط) العمانية ، ويعملون منه طلقات البنادق بعد اذابته وصبه فى قوالب خاصة تخرج منها الطلقات باحجام مختلفة لاستعمالها فى البنادق العربية • اما رئيس الجماعة جندان فقد كناه المعلم في قصيدته (بو عوض) احيانا و ب (خوعمر) احيانا اخرى قال المعلم رحمه الله :ـ

بني مغـــراه با يبدى الشـــاعر بربـــه

عظيم الشان جزل العطاء عونه وحسبه

سروا جاويدكَمْ مِنْ ولد حامل مَسّبه(١٩٦)

الى السّيطان مَرَّه سروا سبعة بحزبه(١٩٧)

سرى جندان لي في قليبي لـه محبه

تقدم خو عمر ظني ان العصب عصبه

لانه عالم ان القنيص الطّيْب طِبّه

قنيص أُخْوُهْ سواء ما قنيص إلّا بعَزْبه(١٩٨)

وصاحبي المَصّبْ الذي قلبي يحبّه

مصب المسكتي لامصب الماء لشربه

كذلك والهويمل عوض لي فَك شَغْبه(١٩٩)

معا اصحابه سرى لي يحفّر كلّ جِذْبه

وفي الجيلان تحزر له الأشعاب وثبه

وبن عمران لي في الخلاء مقطوب نحبه(٢٠٠)

عُبَيْد الجيد لاشي عِسِرْ قالوا له إِشْبهْ(٢٠١)

وعاد الجول عنده سوا بعده وقربه

وبن نبهان ـ نبهان ما يبغا منّبه

علي لي كان مكروب(٢٠٢) لكن زال كربه

وسالم وَلْد صالح وصِنْوُهْ لي بجنبه

---

(١٩٦) الجره التي فيها الزاد .

(١٩٧) لوازم القنيص من سلاح وشباك .

(١٩٨) الرجال الذين هم على قلب واحد وحال واحد .

(١٩٩) ترك عمله الذى يعيش منه هياما برياضة القنيص .

(٢٠٠) وفي رواية مقطوب قلبه اى شديد الاهتمام .

(٢٠١) اشبه اى اطلعه .

(٢٠٢) معتل الصحة .

الى ان قـال :

وَنْصبوا ، في الحقيقة من الله جات وَهْبه
خذوا خمسه ، وقيدومهن خُو فتّح ذَبّه(٢٠٣)
من اول ضَرْبٌ ماردٌ له مَغبر(٢٠٤) وحَبّه(٢٠٥)
كبير القَوْف(٢٠٦) لي مِثْل كَعْب الثور كعبه
ولوشي باب يبغي زوافِر(٢٠٧) حِلّ عُرْبه
ضلوع الهِشْم(٢٠٨) تصلِحْ زوافر له وعَتْبه
ولحيه فيه تصلِحْ لصاحب عِرْس عَذْبه
قرونه زاد تصلِحْ لشَقّ العِلْب خَشْبه(٢٠٩)
وكِرْعانه لِشَبْرِيّه(٢١٠) أيدي تَرْتَبعْ(٢١١) بِه

وبعد ان وصف المعلم كبير الاوعال (القيدوم) راح يصف بقية الصيد :

وثاني وعل لي يشرح الخاطر ، وذَبّــه
علي ، نعتاد سَيْلُه يقطِّب كُلّ جِرْبــــه
علي وَحْدُه ، ومن قال يَضْرب مِثْل ضَرْبه ؟!
وثالث وعل في الوَشْر(٢١٢) لي يعجبك كَبْه(٢١٣)

---

(٢٠٣) اطلق النار عليه وقتله .
(٢٠٤) كمية الباروت التي يشحن بها البندق العربي .
(٢٠٥) الطلقة الرصاصية .
(٢٠٦) الحجم .
(٢٠٧) جمع زوفر وهي ضلوع الباب .
(٢٠٨) اسم من اسماء الوعل .
(٢٠٩) الخشبة التي يوضع جذع العلب عليها حين شقه بالمنشار .
(٢١٠) كلمة هندية ومعناها السرير .
(٢١١) اى يتحقق تربيعها فتغدو مربعة الشكل .
(٢١٢) الشبك .
(٢١٣) الغزل المصنوع منه الشبك .

قَطيفَ آلبَهَمْ (٢١٤) ساعةَ ضَرَبْ مابَجّ قطبه (٢١٥)

ورابع صيد جِنْدان لَشْبَحْ (٢١٦) قد ظَفرْ به

ثم راح المعلم يصف الكيفية التي اصطيد ت بها احدى الوعلات • فقال :

وَصَيْدهْ خامسه فَالّه (٢١٧) في حُسْن شبّه

ووصْلتْ للشبَكْ شمّته شمة محَبه

ورجْعتْ ، بوعوض خذْ من المرْباه وثْبه

يلاعبها كلعب السّري (٢١٨) لِعْبه بلعْبه

قَبضْ كرعانها طَنّهن مَرّه بعَصْبه

بها حيّهْ وصلْ تنثر الجِرهْ (٢١٩) بجَنْبه

الى المبيات تحسْبه متردّي بقرْبه

ثم يجمل المعلم القول عن هذه السرية فيقول :

جَميلهْ ضافيه : والذي تمّا بشُعْبه

عَوَضْهمْ بايقع : شَعْبنا باتشوف كَسْبه

الا ياخو عمر صَدْرتْ آبيات المحبّه

ويبدو ان رجال القنيص أهدوا للمعلم شيئا من لحم صيدهم ومرقه ، ولكن اعتلال صحة المعلم وعلو سنه لم تجعلانه يتمتع بتلك الهدية المحبوبة لدى المهتمين برياضة القنيص من امثال المعلم عبدالحق • فقال رحمه الله :

---

(٢١٤) وبر الحيوان •

(٢١٥) مابج اى لم تتقطع خيوطه عندما ضربه الوعل •

(٢١٦) الشخص القوى الشخصية •

(٢١٧) شرسة •

(٢١٨) لعبة محلية من العاب القوى •

(٢١٩) الماء والطعام الذى يستجره بعض الحيوان من كرشه •

فلا الحـــار(٢٢٠) الذى مِنْك اطفى كل لَهْبهِ
ولا للقطْبه(٢٢١) اللي افاقــت كلّ قطْبـــه
وكلٌّ مِنكّم يافتى يخبره قلبــــــــــه
وعبد الحق هـو والزمـــن هَبّــه بهبّــه

★ ★ ★

وقد كان المعلم عبدالحق يصارع الشيخوخة ـ شيخوخته المباركة ـ ويتجرع آلامها • فيثقل الوقت كاهله فيلتزم داره لايبرحه • وتضعف عنده الشهية للطعام ويبتهل الى الله ان يمن عليه وعلى الجميع بالعافية •

وقَيّدنا الزّمـن الـذى ظهـرت شّـــعاقه
ضنـــي حالي وقوت العرب ما اعرف مذاقه
عسى المولـــى يمن بالســـهاله والطـلاقه
ويشفي الكُل بالعافيـــه من كل طاقه(٢٢٢)

وفى حالة اعتلال صحته ربما اثارته حادثة سياسية هامة ، او قصيدة سياسية رائعة تحتم عليه معارضتها وهو الذى لايترك امرا ذا بال من امور منطقته يمر دون ان يتناوله بالدراسة والتعليق • فنرى فى عودته الى المساجلة الشعرية عودةالملاكم بطل الوزن الثقيل ، الى حلبة الملاكمة ليحطم من يتجرأ على التطلع الى الجولان في ميدانه الخطير • يقول رحمه الله في قصيدة بعث بهـا رداً على قصيدة قالهـــا المنصب الشيخ عبدالله القحوم العمودى ، مولى قرن ماجد ، وكان مطلع قصيدة المعـــلم :

قال الفتى الشاعر ركيك الحـــالي
ونوائب أحزَنّــه وكانُــه ســالي

---

(٢٢٠) المرق •
(٢٢١) وصلة اللحم •
(٢٢٢) من كل اذي •

واحــــوال ضامتني ظهر مضمونهـــا
لاهي على الخـــــاطر ولا عالبـــالي
وحوادثٌ وشـــــــواغلٌ ونـــوازلٌ
نزلت ومنهــــا شيبت لطفـــــالي

الى قوله :

نعــم العمــــودى ذاع قولــه واشتهر
بالنطق لَسْمَحْ والنظــام الحالــي
قولـــــه ونطقـــه ذاع في المعنى على
قولي وقـــدنا الا قليـــل أمثالـــي

الىقوله :

والآن ماشـــي فائـــدة قـــدنا الاّ
جالس بداري مسهن الجَمّـــــالي
مقبل على عشـــــر الثمانين ايضـــا
لكن حســــي عاده الاّ رطـــــالي
من العمودى شـــفت نظـــم ابياتـــا
ذيّلتها واحكمت فــــي ذيّـــــالي
الخ ••• الخ

ولقد احكم المعلم المعارضة كما سنرى ذلك في فصل قادم من هذا الكتاب عندما نتحدث عن هاتين القصيدتين •

ويضيق حال المعلم عبدالحق من وطأة المرض ، وتبدأ اغصانه فى الجفاف على حد تعبيره ، فيرد طرفه الى الله عز وجل داعيا ان يعينه على تحمل الآلام وان يختم ايامه على طاعته وغفرانه •

وعبدالحق طالب من المولى معونـــــه

على طاعةويغفر اذا يبست غصـــــونه

وجف آخر غصن فى دوحة المعلم عبدالحق الوارفة الظل ، فتوفى ليلة الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة ١٢٨٩ هـ عن عمر ناهز السابعة والسبعين .

ويخبرنى المقدم سالم بن عوض بن سلمه ان ورقه صغيرة وجدت تحت الوسادة الليف التى كان المعلم يضع رأسه عليها وهو طريح الفراش قبيل وفاته . وكان المعلم قد كتب بخط يده نهار وفاته على تلك الورقة الابيات التالية :

يالله ياربـــاه يامملـــي بجودك كل كـــف

ياحي ياقيوم لاتجّمل على عبدك نِيَفْ(٢٢٣)

انت الاله انت الصمـــد ان لايقع حملي كلف

والفين صلى الله على احمد سيدى مولى الشرف

يشفع لنا يوم القيامة واللسَنْ مثل السَّعَفْ(٢٢٤)

عسى معا اهل الخير لي تورد على حوضه طِيَفْ(٢٢٥)

يالله بحسن الخاتمة فى يوم ميعـــاد الملف

والواقع ان هذه الابيات كان المعلم قد نظمها ضمن قصيدة له سابقـــة . ويحتمل ان المعلم ، حينما احس بدنو أجلـه ، تذكر اباته هذه وكتبها فى مناجاة لله عـز وجـل .

وسكت لسان مبين وفكر متوقد مستنير كان كثير الاهتمام بالزمان وباهله . وبالنظر الى المواقف المتضاربة التى يتخذها الناس من احداث زمانهم ، فـــان اهتمامه هذا كان يقابل بمشاعر مختلطة من قبل معاصريه .

---

(٢٢٣) الاثقال .

(٢٢٤) اللسن جميع لســان أى في وقت تكون فيه الســنة نــار جهنـــم تتصاعد كسعف النخل .

(٢٢٥) زمرة بعد زمرة .

انصح وصــحح في كلامي وأوعظ

حــد يشتغب من قولــي المتوالي

وحــد يخف الحمل بـه غـير اننا

ما اطــرح على مبنى ركيــك اقبالي

رحمه الله رحمة واسعة واثابه بقدر ما اغنى الاحاسيس والمشاعر والأذواق السليمة ، وبقدر اسهامه الجليل فى رفع شأن الشعر الشعبي الحضرمى •

وقد اطلعنا على عدد من المراثي قيلت في وفاة المعلم من قبل اصدقائـه والمعجبين به وفي مقدمتهم الشاعر الشعبي المعروف الحبيب العلامة محسن بن علوى السقاف مولى سيئون • ولا توجد لدينا الآن من تلك المراثي الا واحدة بعث بها الشاعر الشعبي ربيع بن سليم بادلخ(٢٢٦) التريمي مــن اندونيسيا الى مولى مدينة قسم المقدم احمد بن عبدالله التميمي شيخ القبيلة التميمية ، عزاءاً في صديقه وحليفه المغفور له المعلم عبدالحق • ونحن نثبت هذه المرثية فى هــذا الفصل لسببين :

أولهما طرافة نظم القصيدة ، فقد نحا ربيع بن سليم فى نظمهـا نحـوا معروفاً لدى بعض الشعراء الشعبيين الحضارمة وهو مزج القول الفصيح بالقول العامي ، ويطلق على هذا النوع من الشعر تسمية (شعر المشائخ) ، (والمقصود بالمشائخ هنا رجال الدين والشريعة) او (شعر العلماء) ، وثانيهما لاننا من هذه المرثية بالذات عرفنا تاريخ وفاة المعلم عبدالحق • قال ربيع بن سليم رحمه الله :ـ

رسولي بَلّغ لا ارض لحقــاف واعتنــي

بخطي الى شيــخ القبيــلة ابــو علي

حمد ولــد عبدالله هو الراس فــي البلد

بلقيـــا عنا جمع لحزان تنجــلى

(٢٢٦) في احدى الروايات (باديبخ) •

دُخُل بالأدب في حضرة الليث بو الهِمَمْ
وسلّم على من لـي عليهم معـوّلي

وقبِّل يد البُو ركننا الشامخ القوى
وله الاجـر عظم في الفقيد المبجـل

الى قـوله :

عـزاء فى المغفـور لـه شاعـر الجهه
عميد القوافي في معانيـه معتلـى

حليـف التميمي بل شقيقـه على الاثر
وله سعفهـم جودات في كل مدخـل

سعيدا عرف في المكرهـة بالشـجاعة
وفـي الشعر له قولا لطيفـا مفصـل

معلّم فـي الحكمة وللحـق ملتـزم
ابو سـالم المدراك برهاننـا الجلى

في الشعر مثـل النابغه[227] في المعـاني
ومهيار[228] والكندي[229] ورهط المفضّلي[230]

ونطقـه كما أس الذّلَقْ بو عبـاده[231]
ومثله بالطائي[232] ابو الهـاجس الطلـي

---

(٢٢٧) النابغة الذبياني .
(٢٢٨) مهيار الديلمي .
(٢٢٩) امرؤ القيس .
(٢٣٠) الشعراء الجاهليين والمخضرمين الذين جمع اشعارهم المفضل الضبى فى مفضلياته وعددهم ١٣٥ شاعرا .
(٢٣١) البحترى .
(٢٣٢) أبو تمام .

حواهم جميعا في بديــع القـــوافي

وفي أرضنا روعـــة في الشعر اولي[٢٣٣]

اذا اشتد قُر الشعر والقول عاصـــــي

عمدنا كنانه قـــرب مدفاه نصطـــلي

الى قـــوله :

وفي ليلـــة الجمعة وخمسا تبقـــــت

بعرفـه المعظم[٢٤٣] جاءنـا هـول مهـولي

هوى نجمنـــا الوضـــاء من أفـق رافع

هوى بدر مشرق في الدياجـــير من علي

سنة الف والمئتين من هجـــرة النبـــي

وتسعا معا ثمانين ياصـــاح أجْمُـــل

الى ان قال :

وفاتـــه خسارة عالجهة لكن القـــــدر

له أحكام فينا الله ادرى بهـــا العـــلي

عزاء القبوله في كل معنى لهـــا حســـن

عـــزاء كل محسن كل فاضـــل فافضـــل

عـــزاء كل عالم قام بالحق صـــــادع

عزاء كل صالح في مقامـــه وكل ولـــي

وفي ختام مرثيته قال ربيع بن سليم :

الى جنة الفردوس في جـــوار ربـــك

برحمتـــه باينـــاديك ياســـعد أقبـــل

---

(٢٣٣) · من معنى الشطر الثاني من هذا البيت اقتبسنا اسم هذا الكتاب عن المعلم.
(١٣٤) شهر ذى الحجة .

تقع سـعفة المختار ياقـوم صـلوا

عليـه عد ما يتلى قـرآن وماتلـي

وفي نظرنا ان بيت القصيد من هذه المرثية هيَ قول ربيع بن سليم :

اذا اشـتد قُـر الشعر والقـول عاصي

عمدنا كنانـه قـرب مدفاه نصطـلي

اذ بهذا البيت نعرف ، من فم شاعر مشهور ، مكانة المعلم في نفوس الشعراء الذين عاصروه .. رحمهم الله جميعا .

الفصل الثاني
الحالة السياسـية
في عصـر المعلم عبدالحق

ولد المعلم عبدالحق في فترة من تاريخ حضرموت كانت امتدادا لفترات سابقة من الفوضى واضطراب الامن وانتشار الفتن المتلاحقة .

فلم تكن توجد بالبلاد سلطة مركزية تخضع الناس لأمرها ونهيها ، ولكن الاقليم الحضرمي ـ بساحله وداخله ـ كان مجزءا تحت سلطات عشائرية مختلفة كل منها تنازع الاخرى الشوكة والجبروت والطغيان . ولم تكن تلك الطوائف لمتناحرة من القوة بحيث توءكد، كل واحدة منها، سلطتها في المنطقة التي تسيطر عليها ولكنها كانت تحالفات اقليمية واهنة تجتمع حينا لتفترق حينا آخر على اسوأ ما يكون الافتراق ومضاعفاته . وكان كير الحرب بينها كما يصفه المعلم عبدالحق :

اذا انطفت نـــاره وخمّـــد كـــيره(١)

مـــا ســاعه الا زيّـــدوا رشـــانه

والناس في المنطقة تتقاذف بهم الأهواء ـ اهواء حملة السلاح . فتراهـــم يذعنون على مضض لهذا الجانب تارة ، ويودون في الوقت ذاته لو ان الاقدار أطاحت به ليحل محله من يكفل لهم الامن والاستقرار ، وتارة اخرى يعلقون الآمال على الجانب الاخر ، فلا تلبث ان تنهار كل الآمال .

والقابضون على زمام الامور في مناطق حضرموت المختلفة لاهم لهم مـــن السيطرة والحكومة غير جباية الضرائب والعوائد التي تذهب الى جيوبهم فينفقونها في منازعاتهم العشائرية . وربما جاروا على الرعية العزل فارهقوهم بالعمـــل وبالتبرعات الاجبارية . كل ذلك طبعا كان دون ان يؤدي الحكام للرعية اية خدمة تذكر ، ولا حتى خدمة الامن الضروري لحفظ الارواح والاموال .

واعمال السخرة متفشية يمارسها كل من يجد في نفسه القوة على ارغام

(١) الكير : الفرن الكبير الذى تحرق فيه الاحجار التى يصنع منها (النـــورة) الجير .

الضعفاء على الخدمة المجانية والاشتراك فى المعارك القائمة بينه وبين خصومه بحمل الزاد والماء والذخيرة العسكرية للمقاتلين • وكل ضعيف يناله اذى من مثل هذه الخدمة فليس امامه الا ان تبكيه أمّه • يقول المعلم :ـ

كذا اذا ضـــاقت لتبعته الرعيّـــــه يخرجـــون
بطَـــوْع او كَرْهـــا ، ولكن للجميلة يصـبرون

واذا كان حكام الخواضر يتناحرون فيما فينهم ، فان هذا التناحر امتد ايضا الى البوادى فراحوا يختصمون على اتفه الامور ، وسرت العدوى الى اهل المدن فانقسموا فى المدينة الواحدة الى أقسام (حوافي أو حارات) متعادية تبعا لخدمتهم هذا او ذاك الجانب العشائرى • قال المعلم مخاطبا الحكام :

وَبدْوُكم والحَضْــــر تبعوكم على خبط الرماد

وتتدهور الاحوال بما لامزيد عليها ، واصبح القهر والظلم طابعي الوقت ولم يسلم منهما الا الاقوياء او من كان فى كنفهم من الضعفاء •

وفي ابيات للمعلم التى سوف نذكرها بعد برهة يقول ان القبائل جند الشيطان وان الرعايا هم الذين وحدهم يكتوون بنار الفتن ثم ، نتيجة حتمية لذلك ، تدور الدوائر على القبائل المبطلين انفسهم • ويمضي المعلم قائلا : انني رغم انه لَمْ يصلني أذى ولم اكن اخشى ان يصلني الاذى الا اننى لا استطيع تحمل رؤية المظالـــم تنزل بالمساكين وقد جعلنى هذا الشعور ، من الناحية النفسانية ، كمن يحمل جبلا على ظهره : • وهذه هي ابيات المعلم نقتطفها من قصيدة له مطولة : قال ـ

كلُّــــه من ابليس العـــــدو له خذلـــه
خـــــزى الله الشيطان هـــو وجنـوده
لي مـــن خبثـــه ايـــوب ذاق العلّـــه
من تحت وجهـــه جاء وهو في ســـجوده

نفخ بنفخه خلّته في رقله
وعمت النفخه جميع عضوده

صبر على البلوى وغاف الشّغله
وامسى الى صَوْبه ورود الدّوده

نعوذ من شره ومن شر أهله
اذا عقّدْ حُدْ ما سَلِمْ معقوده

من قد تبع شوزه يقع من نسله
يرديه من شامخ بعيد حيوده

وبعد ان يخرج من هذه المقدمة المعروفة يقول :ـ

ذا قول من يوشي بثقلة حمله
رافِدْ جبل صابر على ترفوده

ما هِبْت من خِفّه ولا من ثُقْله
ما همنا سيله وربط ازنوده

قد كان ربطاً فوقِ كم من نخله
كُلاً يخيّل بارقة ورعوده

ومن ربوطه كل طارف شله
ما يرتبد واحنا وقعنا ربوده

وقد وصلت هذه الابيات الى مسمع مقدم القبيلة التميمية الشيخ عبدالله بن احمد التميمى فاوعز الى صديق عبدالحق المقدم صالح بن سالم بن يماني ان يقر المعلم على ما ذهب اليه فبعث المقدم صالح الى المعلم بالابيات التالية من ضمن قصيدة له :

وادى ابن راشـــد(٢) لي تغـــير باهله

مدهـــاك(٣) كــير الحرب زاع حيوده

خربوا ديرهـــم قايســـوها ســـــهله

رجعت محلتهـــم براس نيـــــوده

كُـــلاً دحـــق شـــوره وصـــدق عقله

ولا حســـب في التاليـــات معــبوده

القَرْش ذى خلا الجمـــاعه تِفْلِـــه(٤)

طارت عقـــول الناس من منقـــوده(٥)

ذا حـــال مولانـــا مقـــدر فعلـــه

لـــه ما يشـــاء في قاهـــره ووعـــوده

ولمـــا قرأ المعلم عبدالحق البيت الآخير :

ذا حـــال مولانـــا مقـــدَّر فعلـــه

لـــه ما يشـــاء في قاهـــره ووعـــوده

قال : قَصَدَ ابن سالم ان يقول لي (ولو شاء ربك مافعلوه) .. قل له ، ان الله جعل لكم السمع والبصر ، لا أرى مثل هذا الباطل يبرر بمثل هذا الحق!!

★ ★ ★

أما اقتتال القبائل حملة السلاح فيما بينهم فقد كان المعلم يعدُّه من البطـولة

---

(٢) وادى حضرموت نسبة الى السلطان عبدالله بن راشد (٥٥٣ ـ ٦١٦ هـ).

(٣) شدة التهاب .

(٤) تفله : جمع تفال ـ وفصيحه ثفال ـ وهو قطعة مصنوعة من سعف النخل توضع عليها أوانى الطعام حين الاكل او توضع تحت الرحى ليسقط عليها الطحين . وجملة (خلاهم تفله) أصطلاح حضرمى معناه ان الدراهم شلـــت حركة الرجال فلم يعودوا قادرين على ازالة الباطل .

(٥) منقوده : نقده او عده .

والعزة • ولا يتورع احيانا ان يوقد نار الفتنة بين تلك القبائل ويقـول في مـــن لايهاب ان يَقْتِل او يُقْتَل :

بالرخص من قـــد باع راســـه نحنـــا
نفـــرح من المقتـــول والقَتّـــــــالي

في حين انه كان يكرثه ان يرى الرعايا العزل يضامـون ويمتهنـون • ان هذه ازدواجية في مواقف المعلم املتها عليه طبيعة الوسط الذى عاش فيه ، ذلك لان التحريش بين القبائل بالفتن يؤدي في أغلب الاوقات الى العبث باقدار الضعفاء الذين يدورون فى فلك القبائل المتقاتلة •

والواقع ان المعلم عبدالحق كان ابن بيئته وعصره ••• فلم يكن يسعـــه أن يقف بمعزل عن الاضطرابات القبلية بل كان يباركها ويحرض عليها وينغمس فيها ، وكانت فلسفته في مواقفه تلك قوله :

مَنْ حَـــلّ وَسْـــط القـــوم شَـــلّ بلاهـــم

ففي ايام فتوته كان يرى الدنيا يسودها (البرود) اذا لم يسخنها انفجار الموقف عن فتنة تعيد اليها دفأها وحرارتها • وكان يعرب عن أسفه على (المطايـا الزحفانه) اذا خرج المقتتلون من معركة وطالت فترة الهدوء والتهيوء بينها وبين معركة جديدة • وفوق ذلك لم يكن المعلم عبدالحق يقنع بنشوء معركة ـ ايـــة معركة ـ ولكنه يطالب القوم بمعارك دامية • يقول تاب الله عليه :ـ

ثم قال من لاتعتليه الزلّـــــة   أيضا ولا في حـرب يغْـدي ضانـه(٦)
ولا بـــدا قلبـــه رجـف من فتنة   الحرب عندى تشتعـــل نيرانـــه

ثم يقول مستغربا ومعيرا القبائل :

تشرق وتغرب ما يصبّـــح بادي(٧)   ماكَنّ معهـــم للبنـــادق زانه ؟ !!

---

(٦) نعجه : أى انه لايجبن •
(٧) تبادل اطلاق النار •

الحرب ما يعجب اذا هو فاتــــر   يعجب دم المقتول فى ميدانــــــه
من حَلّ وَسْط القوم شَـــلّ بلاهم   ومن نسي حقـــه عليه هيانــــه
يدلي على مالــــه بحق او باطـــل   من لا طعن بيده خذوا بْلدّانِـــبه

وهو يجعل شعره معيارا ومكافأة للهزيمة والنصر : قال :

بِــــه ذُمّ مـــن يَفْسَـــل ومـــن   هـــو جَيّد احســـب لـــه حساب

والويل لمن يتأخر عن نداء المعلم عبدالحق • فهو ينادى كل قبيلـــــة باسمها • ويعرض المديح في يد والهجاء فى اليد الاخرى ، ولكل ان يختار ما يحلو له • قال :

غَنّين ثم غنـــين ثم غنـــين ياحمش العزيـــر[٨]
لبن يمـــاني هيجنا ذي يعصـــر الجلجل عصير
وبجنبه البُعسي وايضا الموسطي زور البعـــــــير
وآل الظبي وولاد ظَنّـــــه لي يجولـــون الذخـــير
بْذكُر غديـــر الموت بن شيبان واذكر بلقصـــير
أيضا وبن شـــملان لي مبدأ[٩] عطـا شوره صغير
وبذكر أهل القوز واذكـــر لي بجنبـــه با عَطِـيْر

وبعد ان عدد جانبا من آل تميم وحلفائهم يافـــع نفـــذ الى غرضـــــه تـــواً : قال :ــ

من يحضـــر الجوده لهم من مدحي القســـم الوفير
من لاحضر معاد[١٠] حاجه بين خلق الله يسـير
يِقْلِدْ على نفسه ويِدْهِنْ ، مَنْ نشد قالوا ضرير[١١]

(٨) ذوات الشعور الكثة الطويلة •
(٩) لم يعط قط رأيه لذوي العقول القاصرة •
(١٠) لم تعد به حاجة •
(١١) أصابه الضر ، أي مريض •

ويدلي براي يديهي في نتائج الفتنة التي يدعو الى اشعال اوارها :

قل لهل لعمار الطويلة من وقع فيكم بصير
الموت مابا يصمد الا كل من عمره قصير

★ ★ ★

وهكذا تمر الايام والليالى ، ويسود الجنوح الى البطش والظلم والطغيان • وتذهب صيحات رجال الوعظ والارشاد ادراج الرياح •

والحقيقة ان الاوضاع السياسية بحضرموت وكذا حال الامن فيها ، كانت كلها نتائج منطقية لاوضاع سبقت عصورها عصر المعلم عبدالحق ، وكانت اعصرا لم يستطع احد كبح جماحها وردها الى صوابها • ولم يصور لنا احد مآسي الاحوال السياسية في الاعصر التي سبقت عصر المعلم عبدالحق بحضرموت ، كالشيخ الامام علي بن ابي بكر السكران العلوى (توفي عام ٨٩٥هـ) في الصفحة ١٢١ من كتابه الشهير (البرقة المشيقة) • قال رضي الله عنه وارضاه ، وهو يقصد بكلماته حكام حضرموت ورؤساء عشائرها •

« •••••• اهل حضرموت من حيث الجملة تغلب عليهم البداوة الشديدة وجهالة الجفاوة الذميمة يسترسلون بحكم الطباع ولا يتقيدون بحكم عقل ولا اتباع • وفي هذه الاعصار غابت الائمة الاخيار والشيوخ الكبار الذين هم لهداية البرية كالشموس » ويمضي الامام السكران قائلا :

«وقد استطارت نيران الجهل بفقدهم وترادفت ظلماته بموتهم ومات الفضل والعلم بموت أهله واستغبط ذوو الجهالة بجهالتهم وعدمت في طلب العلم والفضل رغبتهم واستعجب كل ذى رأى برأيه واستغنى كل متحذق بنتائج فساد عقله وباطل خياله واستحسن السيء من عمله وقبيح فعله ، فلاهم بنور الله يهتدون ولا الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون وبهما لايعملون الا من حفظه الله ووفقه»

ولم يتحسن الوضع في عصر المعلم عبدالحق عما كان عليه من حيث النعرات القبلية ، عن عصر الشيخ الامام السكران والاعصر التي تلته •

★ ★ ★

بيد أن حضرموت ، على ماعرف عن أهلها من خنوع أمام القوة الغاشمة

ومداراة مؤسفه لمصادر تلك القوة ، لم تعدم رجالا من السادة العلويين ، كانوا قادة سياسيين على جانب كبير من الشجاعة والاخلاص في نصرة الحق ، حاولوا باساليبهم الخاصة القيام في وجه الباطل لصده ، لكنهم كانوا يصدمون في محاولاتهم الاصلاحية فيتراجعون ثم يطويهم اليأس فالنسيان • وتدب روح الانتصار للحق والعدالة فيهم فيعودون من جديد وكانهم أصحاب رسالات يجب أن تبلغ وتنتشر وتثبت أو يموتون دونها • وما الحركة الاصلاحية التي حاول القيام بها الامام السيد طاهر ابن الحسين العلوى في النصف الاول من القرن الثالث الهجرى ، والفشل الذى مني به على أيدى الحضارمة أنفسهم الا صورة لما كان يجابهه المصلحون من عقبات موضوعية في مناطقهم • ولم ينطبق قول الشاعر ،

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد(١٢)

بكل مافيه من أحاسيس الالم والقنوط كأنطباقه على موقف الامام طاهر وغيره من سراة القوم وموقف الحضارمة المتخاذل من الدعوات الاصلاحية •

وفي عصر المعلم عبدالحق كان أهل الفضل يسجنون ويعتدى على حرماتهم ويذبحون وتذهب دماؤهم وكراماتهم هدزا • وأمامنا حوادث جمة منها اعتقال الامام العلامة المعمر السيد احمد بن عمر الجنيد في تريم على يد عبدالقوى بن عبدالله غرامه سنة ١٢٠٠ هـ ، وما قام به ابن عبدالقادر البعسي من سجن نساء آل شهاب فى حصنه بتريم ، واخذ ما كان عليهن من حلي حتى مات او جن البعض منهن فزعا ، سنة ١٢٢٠ هـ ، وقتل السيد العلامة سالم بن أبي بكر عيديد سنة ١٢٢٦ هـ واعتقال أعيان مدينة سيون وعلى رأسهم الشاعر الشعبى العلامة السيد محسن بن علوى السقاف سنة ١٢٦٤هـ •

. تلك صور قاتمة نعرضها لندل بها على مبلغ الرزء الذى كان ينزل بكل صوت مصلح ، مهما كان خافتا ، في حضرموت • وعلى أساس فلسفته

« من حل وسط القوم شل بلاهم »

---

(١٢) ينسب هذا البيت المشهور لعمرو بن معدى كرب

نشاهد المعلم عبدالحق متشيعا لبعض اعمال القهر والجور التى كان يرتكبها حلفاؤه آل تميم . قال المعلم ، تاب الله عليه ، عندما احتل يافع وآل سلمه ، سنة ١٢٦٣هـ ، منازل السادة آل حامد وآل جنيد ، وكانوا مناصب مدينة تريم ، واعتقلوا رجالها ونساءها ونهبوا بعض ما كان بها من مال ومتاع :

جنيد ذَبَّه[١٣] ودار الحد	هاكوا[١٤] على راسنه ارجاله
دار آل حامد شرب منّه	من غير بارق ولا سباله
جنيد بالقبض له صالح	وبا تقع بعده احلاله
ويرتفع منّه الباطل	وان فات ماله فدى حاله
شوف أنها باتجي زينه	والحق طعنا بما قاله

الى ان قال في خبث ظاهر :

بشرى لكم يا آل با علوى	ساس الورع وبنا طاله
بجدكم باتقع غاره	عبدالقوى ذا على باله

واتت الغارة على غير ما تنبأ به عبدالحق ، ودارت الدوائر على عبدالقوى غرامه وتفرق من حوله آل سلمه وبرروا انفضاضهم من حوله بانه كان متهورا لا يحسن التدبير مع انهم كانوا من خلف كل حماقة يرتكبها . والواقع انهم وجهوا اللوم لابن غرامه ولاخيه عبدالله لان هزيمتهما أمام الزحف الكثيرى على تريم باتت في حكم الموءكدة .

ومرة اخرى نرى المعلم يتفلسف :

« من حل وسط القوم شل بلاهم »

فيناصر حلفاءه آل سلمه ويهجو عبدالقوى بن غرامه بقوله :

---

(١٣) ذبه : استولى عليه .
(١٤) هاكوا : صوتوا بصيحات النصر .

وامّا غُرامَـــهْ كان فعلـــه مخفي

والناس قـالوا هـــام في صّــوّانه[١٥]

أفعـــال لــه ظهرت كمـــا عبداللـــــه

يا صـــاح مافي القبـــر غير اكفانـــــه

مغـــرور ظنـــه بايشـــل الزائـــد

والنصـــر بيـــد المنفـــرد سبحانـــه

هذا ما اصاب كبار السادة العلويين على ما كان لمقاماتهم المشرفة من جاه ونفوذ ديني فى المنطقة • اما الرعايا الآخرون من تجار وعمال وفلاحين وذوى الحرف الصغيرة فكانوا يسجنون وتنهب اموالهم وتداس كراماتهم بدون وازع من ضمير ولا رادع من دين او انسانية وكثيرا ما اقتحم حملة السلاح بيوتهم فقتلوا الرجال ونهبوا ما كان بها من متاع • كل ذلك واكثر منه كان يعملـــه الاقوياء فى حضرموت بالضعفاء لان شريعة المجتمع قضت بان الشخص الضعيف تيس الشخص القوى وابن شاته[١٦] •

★ ★ ★

وعلى العموم فقد كان الوضع السياسي العام بحضرموت ، على عهد المعلم عبدالحق ، لهو كما وصفه الاستاذ محمد بن هاشم • قال رحمه الله فى كتابـــه « تاريخ الدولة الكثيرية » (وكانوا ـ اى الحكام وحملة السلاح ـ جميعـــا يتغايرون فيما بينهم على رعاياهم تغاير التيوس فى زرائبها ويحاول كل منهم ان يظهر لدى فتيان البلاد وفتياتها بمظهر القوة والصولة) ••• ومضى السيد بن هاشم قائلا (ومتى نجم بين المتسيطرين العداء صوبوا سهام انتقامهم الى الرعايا

(١٥) الهام : الحية الكبيرة • الصوانة : كوم المدر او قصب الذرة و (هام فى صونه) اصطلاح حضرمي معناه انسان عميق الفكر بعيد النظر لاتبـــدو نواياه •

(١٦) كان القبيلى يقول عن الفلاح الضعيف المستجير به (تيسي بن شاتي) اى أن له التصرف في مقدراته ••

المساكين • فكان كل واحد من هذه الاقانيم الثلاثة يصب جام غضبه على رعايا الآخرين) •

والسيد ابن هاشم يتحدث هنا عن السلطة المثلثة القائمة حينذاك بمدينة تريم التي يعتبرها معظم الحضارم اقدس حاضرة فى الاقليم الحضرمي • والسلطة المثلثة ، المكونة من الاقانيم الثلاثة على حد تعبيره ، تشمل آل غرامه وكانوا مسيطرين على وسط مدينة تريم ومنافذها الجنوبية ، وآل همام اصحاب حصن الرناد وكانوا مسيطرين على حارتي السوق والخليف وكان بينهم وبين آل غرامه من الاحن والعداوة ما لا يدخل تحت وصف • والأقنوم الثالث كانوا آل عبدالقادر أصحاب حافة النويدرة بتريم وكان بينهم وبين كل من آل غرامه وآل همام بغضاء ومنافسة لا حدود لهما •

اولئك كانوا رؤساء الطوائف اليافعية الحاكمة فى تريم ونواحيها •

وفي سيئون كان الحكام اليافعيون لا يكلون من التنكيل بالرعايا وسلب ماكان في ايديهم من امتعة على قلتها ، ولذلك اصابت الحركة الاقتصادية بهذه البلدة ضربة شلل لم تشف منها سيئون الا في حوالي عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨م) رغم تغاير الاحداث وتبدل السلطات •

وفي شبام كان رجال دُوَيْلة آل عيسى بن بدر الكثيرى تكيل الارهاب والبطش للرعايا العزل ، وكانت لاتسأل عما تفعل •

وفي وادى دوعن ، بفرعيه الايمن والايسر ، كان آل يزيد مسيطرين على الهجرين وكان آل البطاطي مسيطرين على القزه ، وكان جانب من المشائخ آل العمودى مسيطرا على اسفل الايمن ، وعلى جزء من الايسر ، وكان آخر من آل العمودى مسيطرا على المنطقة العليا من الايمن • وكانت هذه الشلل تصارع اقدار الحياة وتتنازع على البقاء ولكل من اولئك الفرقاء يخضع قطاع من الرعايا الحضارم المستضعفين فى الارض المحرومين من كل حق أنساني اساسى الا من حق الموت جوعا وقهرا • ويحيط بهؤلاء جميعهم قبائل سيبان وبالعُبَيْد والقَثّم والدِّين

ونوح وهؤلاء كانوا يقتتلون فيما بينهم على اتفه الاسباب وقد وصفهم المعلم عبد الحق وصفا موجزا بقوله :

علي من للطمـــــع يقتل جليســـــه

وفي الساحل كان آل بريك مسيطرين على الشحر ونواحيها ، وكان آل كساد مسيطرين على المكلا ونواحيها ... الا ان الحكام بالساحل كانوا علــى وئام مع الاهالي وكان حكمهم متميزا بالاعتدال ورعاية الحقوق وبالأمن والاطمئنان النسبيين . ويقول المعلم في مدح الامير علي بن ناجي بن بريك اليافعي حاكـم الشحر على عهده :ـ

بنــدر عــلي نعمـــك علي بن ناجي
ذي في جهتنا كامـــلات صفـــاته
اهــزم جيوشا قصدهـا في هزمـــه
الخصـــم منه ظاهــرة هزماتــه
من مثل بن ناجي صمد شـامخ جبـل
يحـير عقله من حضر هجماتـــــه
بالزنـــد رد الخصم ، والحق انـــه
معـــا الرعيـــه صالحه نياتـــه

وذلك ما يهمنا التحدث عنه ونعني صلاح نية الحاكم في خدمة رعيته . اما الجيوش المهزومة على يد علي بن ناجي كما المح الى ذلك المعلم ، فهي جيوش آل كثير واعوانهم الاتراك الذين هزمهم الحلف البريكى الكسادى في واقعة مريـر

وواقعة شرمة سنة ١٢٦٦[١٧] .

وعن الامير صلاح بن محمد الكسادى حاكم المكلا يقول المعلم :

صـــلاح اسمك وفعلـــك   ورعيتـــك فـــي ســـعاده
دم ايهـــا القـــرم لعـــلا   ياللي لراســـي صّمّاده
بالعـــز يـــوم يهـــترى عبدالحـــق يبـــرد فـــؤاده

وكان هذا الامير الكسادى حليفا لآل بريك ، وان قوة هذا الحلف اليافعي هي التى هزمت البحرية التركية ، وكـانت القبائل الحمومية تناصر هـؤلاء الحلفـاء[١٨] .

★ ★ ★

لم يكن العلويون في المنطقة ذوى جاه ونفوذ روحيين فحسب ، ولكنهم كانوا ايضا من الناحية الذاتية الايجابية ، اكبر قبيلة فى حضرموت من حيث العدد والثقافة والمال ومتانة العلاقات فيما بينهم وشدة الغيرة عليها والتأثير الفكرى فى مجتمعهم . وكان فيهم السياسيون والدعاة وارباب الشجاعة والرأى والكرم والصـلاح والاءصـلاح .

وهنا يتبادر الى ذهن المتتبع لاحوال حضرموت سؤال وهو :ـ

لماذا لم يكن لدى العلويين الطموح الى اقامة دولة وحكومة منهم تحق الحق وتبطل الباطل بدلا من اندراجهم تحت اجنحة حكام حضرموت التقليديين والاكتواء بنار واهواء وامزجة اولئك الحكام ؟

يحدثنا التاريخ الحضرمى ان بعض السادة العلويين فكروا فعلا في انشاء دولة لهم بحضرموت فى القرن الثانى عشر الهجرى وفى تعميم حمل السلاح بينهـم (للقضاء على الفتن السائدة فى القطر والنضال عن الحق ونصرة الشريعة) كما قال احد مؤرخيهم .

لكن العلويين بعد امعان النظر عادوا ونبذوا الفكرة ـ فكرة انشاء الدولـة العلوية ـ كما انهم لم يشجعوا المتطرفين منهم على حمل السلاح ولا حتى على

(١٧) و(١٨) عالجنا بتوسع موضوع هذه الوقائع فى كتابنا (فى سبيل الحكم) .

التزيي بازياء حملة السلاح • ويبدو انهم عدلوا عن هذه الفكرة سيرا على مبدآ الفقيه المقدم العلوى رضي الله عنه (٥٧٤ ـ٦٥٣ هـ) ، وكان ذلك المبدأ يقضـــي « بكسر السيف وخلع السلاح »•

ويبدو لنا ان الفقيه المقدم رضي الله عنه كان يرى ان الانتفاضات التى قامت فى وجه الحكام المبطلين بحجة ان الارض قد ملئت جورا ، وان لابد من أن تملأ عدلا، قد انقلبت ، حين لم تجد حكاما صالحين لكافة مراحلها ، الى كوارث وطنية ودينية تحت اغراءات السلطة المطلقة وارهاب الحكم ، وانغمس فى الفساد اولئـك الذين كانوا ينعون على خصومهم فسادهم واستيثارهم بالسلطة• وكانت النتائج المؤسفة ان انقسمت الامة الى اقسام ثلاثة بينة المعالم : قسم يحكم وقسم يحكمه ويضطهده الحكام وقسم ثالث استعمله الحكام إداة ارهاب وقمع واضطهاد ضد المحكومين • ولذلك حل الانتقام محل العدالة والخوف محل الأمن وحل الجهل محل المعرفة • وبهذه الموبقات انطلقت غرائز النفوس بكل ما كان فيها من سوء فدمرت حيث كان يجب عليها ان تصلح وهدمت حيث كان يجب عليها ان تبني • لقد اراد الفقيه المقـــدم للعلويين ان يقودوا المجتمع سواء السبيل بالموعظة الحسنة والقدوة المثلى والتحلى بالاخلاق المحمدية ، وان ينصروا الله في حكامه الراشدين بتأييدهم ماديا ومعنويا دون ان يتكالبوا على السلطة الدنيوية المباشرة •

ذلك لهو مفهومنا لمبدأ الفقيه المقدم ، علما بان الجدل ظل محتدما الى يومنا هذا بين من يوءيد مبدأ الفقيه المقدم وبين من يعارضه • ولقد عرضت بشيء مـــن الاسهاب لتلك الآراء المتعارضة في كتابى (نظام الطبقات بحضرموت) •

وعلى اى حال فقد بلغ بالعلويين وبالناس الآخرين سوء الحـال فى وادى حضرموت حداً حدا بهم الى ان يمسكوا بالقشة املا فى النجاة من سيل الظلـــم الجارف الذى كانت امواجه تتقاذف بهم فى كل اتجاه •

فشجع العلويون قيام دولة ابن مقيص سنة ١٢٤٣ هـ وأيدوا تنصيب المقـدم عمر بن عبدالله بن مقيص الاحمدى اليافعي رئيسا لتلك الدولة •• ولم تكن لهذه الدولة قاعدة ملك فاشترى لها العلويون (حصن مطهّر) من آل مطهر اليافعيـــين

ليقيم به المقدم عمر تخت الملك • وبعد ان قام كل من الإ مامين السيدين عبدالله بن حسين بن طاهر واحمد بن عمر بن سميط بتزويد (المنقذ) المرتقب بالنصائح والارشادات ، ابتاعوا له مدفعا وامدوه بما فيه الكفاية من المال لتنفيذ نصائحهما وارشاداتهما ، ومن ناحية اخرى التزم ابن مقيص لهما بالقيام بمهام الدولة (المقاوَل عليها) وتهللت اسارير العلويين باليوم الموعود والمهدي المنتظر الذى سوف يملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا !

وماتت دويلة ابن مقيص بعد عامين من قيامها لِمَا حل بقلب المقدم عمر من التردد والاضطراب والخور ولما حل بقلوب قبيلته من التمرد كما يذكر المؤرخون •

والواقع ان العلويين في غمرة العجلة على الاصلاح اساءوا تقدير الموقف الحضرمي السياسي ولم يحسنوا الاختيار ، وفاتهم ان آل تميم ، وهم الذين كانوا ملوك الارض فى الماضي ورجالها المقاتلين اليوم لن يرضوا بقيام دولة يافعية ، مهما بلغت من الهزال والاصطناع ، في منطقتهم •

واسقط في ايدى العلويين ، ولم يكن الا ان خرجوا من العملية كلها بصفقة المغبون • فقال السيد عبدالله ابن ابي بكر عيديد متهكما تهكما لاذعا بابن مقيص :ـ

ولما رأيت لهاة الهياج ... حسبتك فحلا وأنت الخصي
تبرقع فانك مثل النساء ... وضع لك عقدين من بصبص
لقد هانها الله من دولة ... تربت على الدجر والحنبص
فخلوا البنادق لاربابها ... وشلوا بديل البنادق عصي
وقولوا عسى الله ينصف لنا ... ويرجم اعداءَنا بالحصي

وهال الزمان التراب على ابن مقيص ودولته ، وبقي شعر السيد عيديد يشيع البهجة في النفوس المكلومة وينفس عن الناس كربتهم وضيقهم من تذكر تلك الايام السوداء •

ولم تفت الحادثة المضحكة المبكية في عضد العلويين فحاولوا الاتصال بمحمد

علي باشا والي مصر واستنجدوه راجين منه ان يمدهم بجيش (يدوخ البلاد ويقيم لهم واليا عادلاً) كما ذكر احد مؤرخيهم • وبعد تردد طويل اصدر محمد علي باشا ، بايعاز من العلويين طبعا ، فرمانا للمقدم علي بن عمر بن قرموص التميمي صاحب الغرف ليكون واليا مؤقتا لانه ، كما ورد في نص الفرمان ، (ذو بصيرة وعشيرة) • بيد ان الآمال خابت من جديد في القرموصي والباشا معا •

★ ★ ★

وثقل نير الظلم على الرعايا بعد هذه المحاولات السياسية الفاشلة ، فلم يسع العلويين الا الهجرة من تريم ومن شبام والاحتماء بمثاوي القبائل الصديقة • وكان اول المهاجرين من تريم السيد علوى المشهور ، وكان ذلك في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري • وتبعه السيد احمد بن عمر سميط فأشار بوجوب الهجرة الى حوط(١٩) العلويين ومثاوى القبائل الصديقة •

ألم يهاجر جد العلويين السيد احمد بن عيسى المهاجر رضي الله عنه من العراق الى حضرموت فرارا ، كما تزعم احدى الروايات التاريخية ، من عنت القرامطة وثورة الزنج في البصرة ايام استبداد البويهيين على خلفاء بني العباس في الثلاثينيات من القرن الرابع الهجرى ؟ لقد كانت للمهاجرين العلويين من تريم ومن شبام أسوة حسنة في ذلك الرجل العظيم •

واجتمع آل تميم وحاولوا اصلاح الحال وتعاهدوا على نصرة الحق فيما بينهم ولكنهم لم ينهضوا باعباء المسؤولية التي قصدوا لحملها • وفي ذلك يقول المعلم عبدالحق مؤنبا آل تميم ومقدمهم الاكبر احمد بن عبدالله بن يماني :

وشلّ في وجهه كذا ايضا وانتم شالين
من يوم شاف الخلق صاروا من ديرهم هاربين
لكن طريق الديم ياصحابي من اليد اليمين(٢٠)

---

(١٩) الحوط جمع حوطة وهي القرى الخاضعة لنفوذ بعض العلويين او المشائخ في حضرموت • وكان القبائل وكذا السلاطين يعتبرون الحوطة حرما آمنا •

(٢٠) تضمن هذا البيت معنى المثل الحضرمي (طريق الديم من الكراع) أي ان سلخ جلد الذبيحة يبدأ من طرف الساق ، ذلك لان المعلم يطالب آل تميم باصلاح المبطلين منهم اولا قبل قيامهم بالامر الذى (حمله رزين) على حد تعبيره به اصلاح الجهة الحضرمية •

ما ارضا لكم بعد الذى من شانكم حمله رزين

الى قوله :

ياسامعين أبيات من شاعر لكم ناصح أمين
وبعد ، نا بطرح نصائح واسمعوا ياحاضرين
فوق النصائح لي مضت مني لمن قلبه فطين
لكن أقول إلّا على هذا الزمن الله يعين
نصائحي بالله لاتقعون عنها غافلين
لاتعرضوا عنها كما لي من كلامي معرضين
ضعتم واصبحتم على ماقد فعلتم نادمين
ذا يابني ظَنّه لكم قولي عليه احلف يمين
اني لكم صادق لان الله يحب الصادقين

لقد كان المعلم في نصائحه هذه ، ولم نفهمها بوضوح من خلال ابياته ، كالمؤذن فى الفاتيكان • وكيف يدلي المعلم بنصائحه ، وهو يعلم بادي ذي بدء ان اكثرية آل تميم لم يكونوا جادين فى تنفيذ ما تعاهدوا عليه ؟

لقد كانت الفتن واضطراب الاحوال بالنسبة لبعض حملة السلاح مواسم ذات مكاسب اقتصادية • فالشراحة(٢١) على اموال الرعايا العزل والجرايات والعطايا الجزيلة التي يقدمها الموسرون للقبائل لم تكن الا وليدة انفصام عروة الأمن في البلاد ••• ولا يخفى كل هذا على المعلم عبدالحق العليم ببواطن الامور

(٢١) الشراحة : حراسة النخيل ايام الخريف • كان ارباب الاموال يجبرون على وضع حراس من القبائل على نخيلهم المثمرة الكائنة في المناطق القبلية والا تعرض الثمر للسرقة من قبل القبائل انفسهم • ثم يتحكم الشارح (الحارس) في النخلة وثمرتها ولا يستطيع مالكها التصرف فيها الا باذن وموافقةالشارح• ويسمىالقبائل هذهالشراحة (باطل) هكذا بصريحالعبارة وفي وثائقهم ذات العلاقة • وفي عام ١٩٤٩ م أبطلت الحكومة القعيطية هذه العادة في المنطقة التميمية بتعاون المصلحين من آل تميم •

ونحن نأخذ نصائحه هذه على انها كانت مجرد تبرير لموقفه ازاء سخط العلويين على الذين عكّروا أمن الوادى •

واتصـل العلويـون بإمام اليمن المهدى بن عبدالله (١٢٣١ – ١٢٥١هـ) •

ولم يكن الامام بأقل تخييبا للآمال من محمد علي باشا • فقد كان الإمام في شغل شاغل عن متاعب حضرموت بمتاعب قبائله ومركز إمامته المزعزع •

ولم يكن منصب عينات ، وهو ذو المكانة المرموقة والجاه العريض داخـــل وادي حضرموت وخارجه ، بأحسن من بقية الرعايا العاديين فقد أذاقه آل تميم مرارة الخيبة والهوان ، وقتلوا قريبه السيد عمر بن صالح بن الشيخ ابي بكر بن سالم ، فراح دمه هدرا وروحه تشكو الظلم الى باريها •

كل ذلك كان قد حدث فى العقد الخامس من النصف الاول من القــرن الثالث الهجـرى •

★ ★ ★

وأخيرا ولى العلويون وجوههم شطر البقية الباقية من سلاطين آل عبدالله آل كثير • فاستنهضوا هممهم وسلطوا عليهم اضواء اجهزتهم الدعائية • وفى هذه الحركة بالذات تصدر الامر رجال اشاوس اكفاء من العلويين وغيرهم • ومنهم ، على سبيل المثال لا الحصر ، عبدالله بن حسين بن طاهر وعبدالله بن عمر بن يحيى وعبدالله بن زين باسلامه وحسن بن صالح البحر ومحسن بن علوى السقاف وعلوى بن سقاف الجفرى • وكان بين رجال الصف الاول من هذه الحركة ، الشاعر الشعبي الذلق والعالم الديني القدوة والداعية النشيط الموفق ورجل المـال الاريحي والسياسي المحنك البعيد النظر •

ومن جملة ما قيل فى هذه المناسبة قول السيد محسن بن علوى السقاف مولى سيئون مخاطبا غالب بن محسن الكثيرى وكان وقتها ضابطا كبيرا فى جيش النظام بحيدر اباد • قال :ـ

فيا عاراه يالــــوم من لاقــــد تعوّر

حماكم قد خضع والحضار[٢٢] امسى مكسر ·

وهذا حلّها من يهاب اللوم بدّر

على قده بسيفه ودرعه والمشجر[٢٣]

وصادف هذا الكلام هوى في نفوس آل عبدالله ، فلبوا التحدي وتحركوا بهمة ونشاط واخلاص ، وقد ظلوا قابعين فى قارة الصناهجة ثم انتقلوا منها الى السحيل القبلى بمدينة تاربة ثم ـ وكأنهم ارادوا ان يسدلوا ستارا اكثف على انطوائيتهم ـ الى فرع اعلى بوادى تاربة يدعى وادى غنيمة (حيث ولد السلطان غالب بن محسن الكثيرى عام ١٢٢٣هـ) · واختار فريق آخر من آل عبدالله آل كثير بلدة باعبدالله ، التي عرفت فيما بعد بحوطة السادة آل العيدروس ، موطنا لعزلتهم الهادئة المتواضعة ، وذلك بعد اضمحلال الدولة الكثيرية الثانية بسقوط نظام حكم السلطان جعفر بن عمر الكثيرى حوالي عام ١١٥٠ هـ · وتذكر الروايات التاريخية ان هذا السلطان كان شاعرا شعبيا بارزا ، وان اشعاره ، وان ضاع معظمها، يترنم بها الناس الى يومنا هذا ، وقد جرت مجرى الاشعار الفولكلورية بحضرموت، ومنها قوله :

قال الكثيرى بن عمر بن جعفر

لاناد راسي يالشوامخ نودى

الشحر خذناها وربك قدّر

وعلى المكلا باتحِنّ رُعودي[٢٤]

وتحرك سلاطين آل كثير :

وكان السلطان غالب بن محسن قد جمع ثروة بحيدر أباد التي سافر اليها

---

(٢٢) الحضار : السور المصنوع حول المزرعة من اغصان الشجر الجافة ·

(٢٣) المشجر : البندقية وكان بعضهم يضع على عقبها الخشبي نقوشا فضية او نحاسية شبيهة بأغصان الشجر – ويعني المشجر فى الأصل الرمح عند الحضارم .

(٢٤) رواية واحدة تقول ان شاعرا مجهولا قال هذه الابيات على لسان السلطان غالب بن محسن الكثيري بعد احتلاله الشحر عام ١٢٨٣ هـ ولم نستطع التأكد من صحة هذه الرواية ·

من حضرموت عام ١٢٤٦هـ • فاشترى قرية الغرف من القرامصة آل تميم بمبلغ الف ومأتي ريال نمساوى عام ١٢٦٠هـ •

وفي عام ١٢٦١هـ عاد المقدم البطل عبود بن سالم الكثيرى من الهند الى حضرموت بعد ان رسم هو والسلطان غالب بن محسن خطة إحياء الدولة الكثيرية •

وانتقل سلاطين آل كثير من تاربه الى الغرف حيث وضعوا اللمسات النهائيه لخطة استرداد مدينة تريم من يافع •

والاعمدة القوية التى تقرر أن تقام على كواهلها الدولة الكثيرية الثالثة كانوا خمسة من الرجال ينتمون جميعهم الى جد واحد هو احمد بن محمد الذي يرجع بنسبه الى السلطان بدر بن عبدالله الشهير المكنى بأبي طويرق •••

والرجال الخمسة هم :

١ – غالب بن محسن بن احمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر ابي طويرق •

٢ـ عبدالله بن محسن بن احمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق (شقيق السلطان غالب) •

٣ – علي بن أحمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق (عم السلطان غالب) •

٤ـ عبود بن سالم بن محمد بن احمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق (ابن اخت السلطان غالب وابن ابن عمه) •

٥ – عبدالله بن صالح بن محمد بن احمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر ابي طويرق (ابن ابن عم السلطان غالب) •

وفي هؤلاء قال الشيخ عبدالله القحوم العمودى صاحب قرن ماجد عام ١٢٨٣ هـ عندما انتزع آل كثير الشحر من آل بريك :

نسل آل عبدالله مصابيح الدجى

مثل الكواكب في السماء تنجالي (٢٥)

---

(٢٥) تنجال : تدور •

بَدَيْنَ من شـــرقٍ وثارَنْ واغْـــرَبْنَ
واصبَحْنَ في دور الفلك نـــزالي
عـلى حـدود آراضهـم لاغراضهـم
بايشـربون عقيقهـا[٢٦] والحـالي
جدّوا على شـرع الرئاسـة والنقـا
وتنادبـوا حل الوغـى الا بطـالي
لـي عزمهـم حَلّ العقـود المـاكنة[٢٧]
وامست لهـم جمـع الاسود ذلالـي
المملكة والمنـزلة تـزهى لهـم
لهـا زمن لعبـوا بهـا الجهـالي
هَـدّوا جميع اركانهـا وأدوارهـا
والقـوا لهـا عُمّالهـا الانـذالي
لمـا ظهـر غـالب خليـل المملكة
صـدر السـلاطين الجنـاب العالـي
تشـوقت له منزلتـهم مثلمـا
تشتاق خيـل الـربط[٢٨] للخيـالي
وهـو لهـا مشتاق ، سـلطان الثنـا
طـود الولايـة عمهـا والخـالي
مشـى عـلى ظهـر الجـواد يديرهـا
واباد جيش المسـرف البطـالي

---

(٢٦) شديد المرارة ويسبب ذبحه في الحلق .
(٢٧) الوثقى .
(٢٨) مربط الخيل ويعرف عندنا في الشحر بالرباط وهو سوق لبيع الخيل في الشحر كان مزدهرا فيالقرن العاشر الهجري ، راجع كتابنا «الشهداء السبعة»

واسـعده مـن أسـعده ، أخوانـه ومن
في صفهـم كم من نمـر صَهّالي

ثم راح الشيخ القحوم يعدد الاربعة الرجال الآخرين ، فقال :

أولهم الضرغـام هـزّاع الشّنَفْ
علي بن احمـد صـادق الاقـوالي
أيضـا وبو محسـن اذا طـال المدى
عبدالله الطـائل على الاطـوالي
الفارس المنصـور طالع سـعدهم
مـا زَلّ يافـع سـهمه القتّـالي
ومن تضـلّع من رحيق الدائـرة
بوبدر(٢٩) شـارب عذبها السلسـالي
بن سـالم المشهـور دهّـاش الوّعَرْ
ذي هـو لثوب المنـزله غـزّالي
والشاجـع البطـل المغير على العـدى
بن صالح الفاجع قـوي البـالي

★ ★ ★

ولقد حاول المعلم عبدالحق ان يرد على الشاعر العمودي بأبيات يعدد فيها آل القعيطي الذين قامت على اكتافهم الدولة القعيطية فجاء حديثه مغلوطا من الناحية التاريخية . قال المعلم يخاطب الشيخ القحوم بعد ان انتصر القعيطي على آل كثير وانتزع منهم مدينة الشحر :

وامـا الذى عددتهـم في خطـك
خمسـة وشُهْرَتهـم رجـال اشبالي

---

(٢٩) كنية عبود بن سالم .

الى قولـــه :

خـــذ مثلهم خمســـة أبوهـــم واحـــد
في فعلهم باضـــــرب لـــك الامثالي
محمـــد الاول ، وبعـــده صـــالح ،
لـــي للوفـــا يدفـــع من الامـــوال
ايضـا ولا أنســـى الفيصـلي عبدالله
وامـــدح عـــوض ؎ يانعمـــك الفَعّـــالي
بارقْ(٣٠) لسّـعْد اليافعـي خـــو صـــالح
وامـــدح علي ذاك الجنـــاب العالـــي

ان علي بن عمر ، وهـــو الذى اشار اليه المعلم بـ (الجناب العالي) ، لم يشترك البتة فى انشاء الدولة القعيطية وكان قائمـا بوظيفة ، ضمـن حاشـية نظام حيدر أباد ، مسؤولا فيها عن احد الاجنحة النسائية بقصر النظام • وعندمـا انشأ آل القعيطي دولتهم وزعوا وظائفهم فيما بينهم كما يلي :ـ

محمد بن عمر مسؤول عن حضرموت الداخل ••

عبدالله بن عمر مسؤول عن الشحر ••

صالح بن عمر مسؤول عن علاقاتهم بالهند وحيدر اباد ••

أما عوض بن عمر ، وكان ابرزهم واكثرهم دهاء وحنكة واحسنهم تدبيراوجركة او كما وصفه المعلم بالفَعّال ، فكان قائدهم الاول ويقابله فى الجانب الكثيرى عبود ابن سالم الذى كان القائد الاول والمفكر والمدبر والمخطط لكافة تحركاتهم • ولقد حاول المعلم الانتقاص من مجهودات عبود بن سالم ودوره البارز فقال عنه في هذه القصيدة متهكما :

---

(٣٠) أي راية اذا تقدمت جاء على اثرها الحظ الحسن ليافع • وذلك مدح جليل المعنى في عوض بن عمر القعيطي هو في الواقع به جدير •

وعبود أشهرتـــه بقـــولك ، وافي

ماحـــد يقول ماقال (بّادْرِكْ خالــي)

وهنا يشير المعلم الى حادثة سرى خبرها في الوادى حينما كان آل كثــير يستعدون لغزو المكلا من الشحر • وكان عبود قد ذهب الى منطقة الشحابلة بوادى رخيه يجند جنودا لتعزيز حامية الشحر الكثيرية • وبعد ان رتب على عجــل الجند الذين يريدهم من قبيلة الشحابلة عزم على العودة الى سيئون مسرعـــا فاستوقفه مقدم الشحابلة لتناول طعام العشاء عنده • فاعتذر عبود بن سالم عن قبول الاستضافة بقوله : « معاده وقت عشاء •• انا بغيت بادرك خالي » • فرد عليه مقدم الشحابلة ضاحكا من عبارته • « سَخْبَرْ !! خالك ريض في سيئون ماحد باياكله » وكلمة سخبر تعجبيّة يستعملها قبائل الناحية الغربية الحضرمية عندما يسمعون كلمة او عبارة نابية أو ساذجة من ابنائهم الصغار فيزجرونهم عن ترديد تلك الكلمة او العبارة بكلمة سخبر ! ! اى قل كلمة او عبارة اخرى تقال في مجالس الرجال • ولقد حاولت معرفة اصل هذه الكلمة فلم يستطع القبائل الغربية ان يدلونى على أصلها ، ولعلها من بين كلمات عدة تقال فى المناسبات والاحاديث الحضرمية وقــد فقــدت اصلها مــع التقــادم ولم يبــق الا مدلولهـــا • وقـــال لــي احـــد البـــدو ان اســـم ســخبر يطلق عـــلى نـــوع من العشب الجبلي ولم يــزد عــلى ذلــك ، فلم اتبين الدلالة من هــذا الاســـم عــلى الاستعمال الذى أشرت اليه • وذاعت عبارة (بادرك خالي) بين القبائل وتلقفها آل تميم خصوم آل كثير وراحوا يتندرون بها فى المجالس • وقد اكتسبت هذه العبارة بعدا وعمقا اوسع بعد أن هزم آل كثير في الشحر • وهنا نرى المعلم عبدالحق يردد عبارة عبّود بن سالم فى مقام التعيير •

ويقارن المعلم بين ممدوحي الشيخ القحوم وممدوحيه فيقول بعد الهزيمة الكثيرية على ايدى آل القعيطي واخوتهم يافع ، والقول موجّه للقحوم :

أما القعيطي قــد بلغــكم فعلــه
لي ما يخــالف غيثه المدهــــالي (٣١)
سيله كمـا طـوفان نـوح النبي
ياشـيخ سـيله خَدّ في الاجبال
وكل من قـال ارتفـع يا طـارف
معـاد أمكن منّـه اتميّـــال
بنـدر سعاد الشـحر شله كلـه
وشـل مـن هـو فـي خـلاه الخـالي
دون اهـل لعمار الطويلـه سِلْمُوا
ما رَزّعـوا ختـى ثـلاث ليـالي

وهنا يوجه المعلم حديثه عن الرجال الذين مدحهم القحوم فيقول :ـ

بركت مطيتهـم بهـم ياشـيخي
عاون معا أوّلهـا وشل بالتـالي
فـروا من البنـدر فـلا بالومهـم
تقنوا فعايـل من قديـم دوالـي
خافوا من الامر الـذى منهم سبق
الاسـر والتعزيـز والشعذالـي
ماحـد جرى لـه لي جرى في يافـع
غـير انهم وقفـوا وباعـوا غالـي

ويخاطب المعلم عبود بن سالم فيقول :ـ

(٣١) المدهال : الذى يروى الارض ريا تاما والذى يأتي في موعده من كل فصل من فصول السنة .

قِفْ ياعبُود إنْ كانُه الاَّ البندر
بارد علي الخاطر وتمسي سالي
لبعوس سمعوا هرجتك واهل الظبي
لي قلت خرجوا من غلوب طوالي
لكنهم من بعد هذا رجعوا
وتواردت وسط القبور رجال
وتراهم احيا عادهم ما ماتوا
وسعدهم فائق على الابطالي

ويتحدث المعلم عن قوة القعيطي المالية فى الحرب فيقول :ـ

عوض كفى وحده مكان اخوانه
هو لي خذ الحُرّه بعقد الوالي
من حال ما خذها تراه قائم
بقدرها والعز والاجلال
بالحال والمال انتكف من يافع
عند المعاور ما بخل بالمال
وفوق ذلك له زمانا يصرف
ولا انطفى مصباحه الهطال
آلاف من ماله عليهم يخرج
قد قال باخسر عالفتن من مالي

ويقارن المعلم قوة القعيطي المالية بضعف آل كثير المالي فقال البيت التالي الخالد الذى يعتبر شاهد حق وصدق على كل دولة ضعيفة الاقتصاد هزيلة الامكانات :

والوالي الفَقْري يضيم الرَّعْوي
ما يَفْلَح الرَّعْوي بفقر الوالي

وعلى العموم فقد كانت قصيدة الشيخ عبدالله بن القحوم العمودى من عيون الشعر الشعبي الحضرمي ، وقد ادرك ذلك ، بطبيعة الحال ، المعلم فقال عن القصيدة :

نِعْم العمودى ذاع قوله واشتهر
بالنطق لَسْمَح والنظام الحالي
شعره ونطقه فاق في المعنى على
قولي وقدنا الا قليل امثالي

وتلك لفتة من المعلم نكبرها فيه ونعتبرها منه دلالة على قوة ثقته بأصالة شعره. ومع ذلك فقد اراد المعلم ان يطفىء لمعان قصيدة العمودى بأسلوب ذوقي لا غبار عليه . فعمد الى أحد ابياتها يبرز فيه مكامن ضعف شائن ليقلب القصيدة راسا على عقب ويجعل منها طالع شؤم ونذير سوء . ونحن قد قرأنا فى الصفحة ١٣٧ من هذا الكتاب البيت الثانى من ابيات اقتطفناها من قصيدة العمودى وهو :

بدين من شرق وثارن واغربن
واصبحن في دور الفلك نزالي

وهنا يقول المعلم عبد الحق في رده على العمودى :ـ

سبقت لسانك في مصابيح الدجى
قلت (أغربن) فالك بعد من فالي

أي ان جملة (أغربن) في بيت العمودى كانت شؤما على آل كثير وعلى ما حققوه من نصر فى الشحر ضد آل بريك . والواقع ان المعلم عبدالحق استطاع ان يمحو أثر القصيدة من نفوس آل كثير على ما فى قصيدة العمودى من متانة

سبك وحسن قصد وولاء صادق • ذلك أنني في اوائل عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) سمعت من المغفور له السلطان جعفر بن منصور الكثيري ، حفيد السلطان غالب بن محسن الكثير ، أن الشيخ العمودي « عكس الآية علينا وَرُبَّ رمية من غير رام » •

حقا لقد افلح المعلم عبدالحق بابداعه ودقة صناعته في ان يوهم آل كثير بان مدح العمودي كان وبالا عليهم ••• رحمهم الله جميعا •

★ ★ ★

وبعد شراء قرية الغرف اشترى آل كثير حصن مطهر من آل مقيص اليافعيين وجعلوه قاعدة أمامية لقوتهم الضاربة الموجهة نحو مدينة تريم •

وتطلع آل كثير بشوق ـ وكان ذلك هدفهم الاول ـ الى احتلال تريم وطرد السلطات اليافعية منها تمهيدا لطرد بقية يافع من كافة ارجاء وادى حضرموت •

وقام الامير عبود بن سالم الكثيرى بابرام اتفاقيات تحالف ومعاهدات عدم اعتداء مع قبائل عديدة فى الاقليم الحضرمي وفى المناطق الغربية المجاورة ، وذلك بغرض عزل يافع تريم عن اى مدد خارجي •

ثم قرر آل كثير الهجوم على تريم واستولوا عليها ١٢٦٣ هـ •

أما كيف تم الاستيلاء على تريم فنجد وصفا له فى قصيدة مشهورة للمعلم بعث بها عام ١٢٦٤ هـ ردا على قصيدة لصديقه الشاعر ربيع بن سليم مطلعها :ـ

بروق الظفر والنصر فى الافق نمنمت

وثجت على الغنا خواصب مزونها

وهى كقصيدة المعلم ، تعتبر من اروع الملاحم فى الشعر الشعبي الحضرمى • وكان ربيع بن سليم قد بعث بها ، من بلدة اندرماجو بجزيرة جاوه الى المعلم عبدالحق بدمون حضرموت ، مستفسرا عما حدث فى تريم بين يافع وآل كثير • ومنها يقول متسائلا من المعلم :ـ

اتحقيق ما قالـــوه ام ذلك افتــــرا

فيا ســعد قل لي كيف غابت ذهونها ؟

ويتساءل أيضا متعجبا مما حدث ليافع من هزائم وهم ارباب الصولة والقوة فى تريم • قـــال :ـ

وكيف اصبحوا في كــل قرية نذايــا

وهــم غــين للغنّــا وتشــديد نونهـــا ؟!

ونحن فى هذا الكتاب لاندون تاريخا ولكننا نعرض اعمالا أدبية ، ولانتعرض للتاريخ الا حيث تلقى حوادثه اضواء على مضامين الأبيات الشعرية • ولمـــن أراد ان يلـــم بهذه الحادثة من الناحية التاريخية البحتة فعليــــه ان يقرأهـــا في مظانها •

وقد رد المعلم على ربيع بن سليم بقصيدته التى تحدثنا عن بعض خصائصها الادبية فى الصفحة ٦٨ من هذا الكتاب • والان سوف نورد من قصيـــدة المعــلم الابيات المتصلة بحادثة الاســـتيلاء على تريم •

ومطلع قصيدة المعلم هو :ـ

ابديت باســـم الواحـــد المتعـــالي

رب العبـــاد المنفـــرد في ذاتـــه

وبعد تمهيد لطيف يعتبر من بديع ما قيل فيما نسميه اليوم بأدب الرحلات ، تخلّص المعلم من براعة استهلاله مخاطبا رسوله الوهمي الذى بعث بيده الرد الى ربيع بن سليم • قال :ـ

واقصد لشاعر لي برد بــه جاشي

قلبي فـــرح من يوم جت ابياتـــــه

ابو لحم صنوى ربيـــع بن ســـــليم

عارف فهيم الله يزين اوقاتـــــــــه

قل قال عبدالحـــــق جات ابياتـــك

في خـــط شاق الحاضر بن قراتـــه

ذكرت في من ضـــاع عند الابتـداء

خصمـــه درج من الابتدا مكراتـــه

خذ مني التفضيـــل من ساعة وصـــل

الى الغُرف ، ما تنقضي حَـــــكْواته

فبعد شـــراء قرية الغرف وحصن آل مطهر كما ذكرنا ، بعث آل كثير دعاة العلويين لاستمالة اضعف الحلقات ، في الصف اليافعى ، والابتعاد بهـــا عن نصرة عبدالقوي بن غرامه الذي يعتبر اقوى حلقات الصف اليافعي في تريم . قال المعلم ثـ

وَسَـــط عرب يوم افتكر بالغَنّـــا

غاياتهـــم ياصـــاح من غاياتـــه

واستطاع اولئك الدعاة العلويون استمالة ابن النقيب بن لحمان اليافعـــى صاحب حافة الخليف بمدينة تريم واتفقوا معه على ان يحتل آل كثير حصونه على ان يعطى له معاش مناسب ويصبح فردا عاديا موفور العزة فى البـــلد . فوافق ابن النقيب نكاية بابن غرامه .

وشعر عبدالقوى غرامه بالخذلان من هذا الاتفاق . فسار اليه الوسطاءالعلويون وحسنوا له الابتعاد عن الحرب والمقاومة حقنا لدماء المسلمين واتفقوا معه على ان يتنازل لآل كثير ، ارباب القوة العسكرية التى لاتقاوم ، عن القسم الذى يحكمه فى تريم ومنه المنطقة المعروفة باسم (الحوش) مقابل معاش سخي واحترام جزيل لـه ولاتباعه . قال المعلم :

وهنا بحيلتهم سَــمِقْ [٣٢] عبدالقــوى

ولا حسب تحت الطَّبَنْ [٣٣] نشــــباته [٣٤]

وتم الاتفاق بين ابن غرامه وآل كثير على اساس ما قدمه الدعاة العلويون ، وبعدها دخلت القوة العسكرية الكثيرية مدينة تريم فى مهرجـان سـلمى بهيج • وقد عد ذلك نصرا سياسيا باهرا للامير عبود بن سالم ولاعوانه العلويين • قال المعــلم :ــ

طَلَّعــه للغَنَّــا بطيبــة خاطـــر

والحوش اصبــح ملك من مَـلْكَاتِه [٣٥]

وبعد ذلك اسقط فى يد ابن غرامه ، وندم على فعلته وكانت والدتــه العجوز اشد الناس تبكيتا له على غفلته وصفقته الخاسرة • وتحت تأثير الوشايات الصحيحة والباطلة أضمر عبدالقوى الشر لآل كثير • قال المعلم :

عبدالقوى يمكر وخصمـــــه يمكـــر

كـلا يثبِّت في المتــــكَنْ حوكاتــــه [٣٦]

وابرم ابن غرامه اتفاقيات حربية سرية مع جانب من آل تميم القاطنــين حول منطقة الغرف وفى مقدمتهم آل محمد بن سليمان اصحاب قرية باعَلَال • ثم راح يتحين كل فرصة للانقضاض على آل كثير •

قال المعلم :

---

(٣٢) اغتر •

(٣٣) الفخ الذي يصاد عليه الطير او السبع •

(٣٤) النشبة تعني التردى او الهلاك •

(٣٥) الحوش أصله قطعة الارض المسورة لحفظ البهائم : والملكة ما يؤول الـى الشخص بالشراء •

(٣٦) الحوكة تعني المؤامرة •

تماكروا والمـــكر ذَمّـــوه أهلْــــه

والخصم بعد الحـــوش خَذْ مَنْعـــاته[٣٧]

وعندما أنس ابن غرامه من نفسه القوة استولى فجأة عـــلى حصون تريـــم الخارجية وطفق يعزز مركزه في مناطق استراتيجية اخرى حول المدينة ، واعلن نقضه للاتفاق الذى تم بينه وبين آل كثير بشأن تنازله عن حـكم تريم • قـــال المعـــلم :ــ

وَلَقَـــاْ خِيَم تحـــت البـــلد والعُرُوْشْ

وشـــرقي المحضار شاد اكواتـــــــــه

ودارت رحى المناوشات بينه وبين آل كثير زهاء سبعة اشهر ، قال المعلم :ــ

بَرِّزْ لمن لاينقبضن زنـــوده • ان القوى زنده عِسِرْ فِلاّته[٣٨]

وكان الكثيريون يحكمون كل يوم ، قبضتهم على مدينة تريم • وضاق بهم الصبر فجنحوا الى العنف ضد ابن غرامه ومن كان فى صفه من قبائل وحضر ، فكانوا ينسفون المنازل بتفجير صفائح الباروت تحتها ويطلقون النار على كـــل شخص يظهر على رأس دار من الديار وعلى كل ضوء ينبعث من اية نافذة وعلى كل شخص يكون موضع شك فى ولائه لهم وعلى اية شجرة او حيوان يملكه عدو لهم • قال المعلم :ــ

واعمل خنادق راح يشحنهـــا بَطَـطْ[٣٩]

أسُوْدْ تميد الارض من رجّاتـــــــه

ياكم منـــازل هـــدّها في ســـاعة

معكـــور مثل الهيج في عـدواتـــه

---

(٣٧) المنعة كلمة فصيحة ولكنها باللهجة الحضرمية تعني اليقظة والحذر •

(٣٨) الفلات تعني الافلات من الشيء

(٣٩) جمع بطه وهي صفيحة الباروت •

عـــاكل خَضْـــرة او بهيمـــه سائره
يرمي وعـــا كل ضَوْ في مِشْـــكاته
خلا البنادق قاصـــفة عا كل وَلَـدْ
شَـــقْ[٤٠] بن غرامه ظاهــــره مَيْلاتِـــه

وفوق ذلك استنجد آل كثير بأعوانهم من القبائل الغربية فجاءتهم اقـوام من العوالق واشراف مأرب ، فحاصروا ابن غرامه وضيقوا الخناق عليه فانفض عنه أعوانه آل تميم ولم يسعه الا الاستسلام للقضاء المحتوم . قال المعلم :

وَدَّى[٤١] غرامه بعـد مُـدّه هائله غَنَّـا لــه المطرب معاهَدَاتِـــه

وبعد استسلامه باسابيع امعن آل كثير فى اهانة عبدالقوى فتزوج الامـير عبود بن سالم ابنته الكبرى ودخل بها في منزل ابيها .
قال المعلـــم :

وَدّى وصارت مُقَرَّبَـــه[٤٢] مابينهــــم
الله لاهــــان العزيز في حياتـــه
ارتج من ذا الأمــــر داعي[٤٣] يافعـــــي
سَوْقَـــات[٤٤] غبـــراء مخـزيه ســـوقاته

ولم يستطع ابن غرامه البقاء فى تريم فطلب من آل كثير السماح له بالانتقال الى سيئون ، وكانت حينذاك فى قبضة يافع ، تاركا خلفه عبيده واسلحتهم بل وكل سلاح كان في حوزته . فسمح له آل كثير بالذهاب الى سيئون مع من بقي من افراد اسرته . وهنا يقول المعلم :

---

(٤٠) الى صف ابن غرامه .
(٤١) استسلم .
(٤٢) روابط عائلية .
(٤٣) جميـــع .
(٤٤) تصرفاته غريبة .

وامسى ذليــلا بـين نقّال السّـلَبْ
واجرحه ذاك الـذّل فـي طّيّاتِـه[٤٥]
ما ذاقهــا العيشة ولا طعـم الكرى
ولا تهنـى مصبحـه ومباتــه
حَمّـل من الغَنّـا مكالفه[٤٦] التـي
خـلّت دموعـه جرحن وجناتـه

أما الذى حدث لابن غرامه ، فى تاريخ لاحق ، فاضافة الى ما ذكرنا ، عنه سـابقا ، فهـو ان النقيب صـلاح بن محمد الكسـادى امير المكلا ، استقدمـه اليه هـو وحاشيتـه تخليصـا له من الوضع المهين الذى كان يعيشه فى سيئون . وعندما وصل المكلا اكرم وفادته وواساه مواساة نبيلة ورتب له منزلا ومعاشا كافيا . وبعد سقوط الشحر فى يد القعيطى عام ١٢٨٣هـ انتقل عبدالقوى ابن غرامه الى الشحر واستقر بها ومايزال احفاده يعيشون بها الى اليوم فى المنزل الذى ابتناه عبدالقوى لنفسه بعون مالى من النقيب صلاح بن محمد الكسادي[٤٧]

★ ★ ★

وبعد ان طَهّروا البلاد من الفلول اليافعية الحاكمة ، اتجه آل كثير الى تصفية العناصر المضادة لهم في المنطقة والمتمثلة فى آل تميم القاطنين بمنطقة الغرف فى مسيلة عِدِمْ العليا وهم آل محمد بن سليمان (باعلال) وآل عبود (السهلة) وآل بن شملان (السويرى) وآل زيدان (مسيلة آل شيخ) وآل بالهيج (الغرف القديمة) وكان هؤلاء الاطراف المعنية فى الاتفاق العسكرى السري الذى ناصر ابن غرامه لدى نقضه الاتفاق الذى ابرم بينه وبين آل كثير بشأن تنازله عن حكم نريـم ....

(٤٥) نقال السلب اى حملة السلاح . والطيات تعني دخائل النفس .
(٤٦) حريمـه .
(٤٧) وثائق آل كساد .

واتجهت القوات الكثيرية على الفخائذ التميمية التى ذكرناها فلقيت منها مقاومة شرسة لم تكن تتوقعها • ولم يشترك العوالق ولا اهل مأرب فى هذه المعارك • وتكبد آل كثير خسائر فى رجالهم •

قال المعلم :ـ

صَبّح بقومه لاهل شَقّ الصَّعْدي
صِدْق الكلام تَقَلَّلت مِزْحَاته

وعندها تحول القسم الاكبر من القوة الكثيرية صوب قرية باعلال لطرد آل محمد بن سليمان منها ، وكانوا حجر الزاوية فى المعارك التى دارت بين آل كثير والفخائذ التميمية المشتركة • وبعد معركة ضارية كُسِر آل محمد وفر من سلم منهم من ديارهم مع نسائهم واطفالهم تحت جنح الظلام • قال المعلم :

شتت بداعي بن محمد قائس — من بُعْدهم كُلّاً يقع مِهْضَاته(٤٨)
من احتجا ظلا نهاره محجي — وكل من قَفَّى حكم تقفاته
تركوا مَشَاوِيهم بديرة باعلال — الجيد منهم من حَمَلْ هِدّاته(٤٩)

وتنادى آل تميم بالثبات فى وجه العدو وضموا صفوفهم وارسلوا رسلا طلبا للنجدة من اخوتهم القاطنين بالمنطقة الممتدة بين دمون وقائمة سَنَاء • قال المعلم :

على ابوهم بن يماني عَوَّروا — ظلا المُصَبّح في سَنَا(٥٠) مياته
واعتار من هاذي الامور الظَّنّي — لما رآه اهتز من هزاته
جاء بن يماني من قسم وتجرَّد — ذري الأسد ماحد نشر نشراته(٥١)

---

(٤٨) المهضاة ما يتبلغ به الجائع من الطعام •
(٤٩) المهد الذى يحمل فيه الطفل الرضيع •
(٥٠) جبل سنا وهو الحد المتاخم لحدود قبيلة السماح في الناحية الشرقية من قبر نبي الله هود •
(٥١) الاستعداد بآلة الحرب •

واتت اقوام تميمية كثيفة وطردت آل كثير من قرية باعلال وحلها آل محمد بن سليمان من جديد • قال المعلم :

جدّوا وردّوا بـــن محمـــد لارضــــه
واحيــوه فى ديرتـــه بعـــد مماتـــه

ومع ذلك ظل آل كثير مسيطرين على المسرح العسكرى في منطقة تريم ونواحيها يتحرشون بآل تميم فيقتلون ويقتلون • وفي ذلك يقول المعلم :

وذا خَبِيْــث اصـــله قويّ عــزمـــه
على المنازل ظاهـــره تعناتـــــــــه
مغرور بايطـــرد قبائـــل غصبـــــا
خذه الطمع يبغـــا الجهات جهاتـــه
ان القبيلي لاشَرَغْ(٥٢) في حاجـــــة
يقفـــز عـــلى الرجـــال في شرغاتـــه
بـــرّز له الظني وجُمْلِيـــة يافـــــــع
ماحـــد فـــزع منّه ومن ســـرحاته
وهـــو مصمم مـــا تلفّت مـــن حَـــدْ
والا اشتغب ان حَدْ قتِل منْ ذاتـــه(٥٣)

وعلى طريقته في الاشادة بالابطال اشار المعلم الى ثلاثة من شجعان آل كثير قتلوا في تلك التحرشات ، وهم بدر بن علي بلفاس الملقب بالهيج ، وعبود بن سعيد ابن عبدالعزيز ، وحسن بن سالم بن بدر الكثيرى وكان من آل السلطنة وبعض هولاء كانوا يعتزون (يهترون عند القتال او الاستنفار) بقولهم (المُعَيّا) والبعض منهم يعتزى بقولـه (بوهمدان) •• قال المعلم :

---

(٥٢) اشتهى •
(٥٣) من ذويه •

كمثـــل بدر الهيج ذى ما يمتســـــك

ريتــك تقول الشعـــر في مرثاتـــه

والفارس المشهور بن عبدالعزيـــــز

عبود لي ترج الجبـــل دحقاتـــــــه

والغازى المرهـوب أُسّ القبولـــــه

اعني حسن ذاك « المَعِيَّا » ذاتـــه(٥٤)

وكم وكـــم من جيد روّح طِيْبِـــــــه

ظالم طويلـــــه يافتى محزاتـــــــه

ثم انضم قسم آخر من بني ظنه الى الصف التميمى فرجّح الكَفة فى جانب آل تميم فتراجع آل كثير الى منطقة تريم ولم يجازفوا بالتحرشات بآل تميم كما كانوا يفعلون من قبل • قال المعلم ذاكرا ذلك القسم الظني :

يـــــوم اصبح السنّور وَسْط الـــوادى

الفار في خُلْصُــه عطـــا كِرْفَاتـــــه

اعنى بها من يوم جا المنهــــــــــالي

ذى في الملاقي ماتصـــــف لقياتـــــه

ثم يلتفت المعلم الى استفهام ربيع بن سليم ، وهو :

اتحقيــــق ما قالِــوه ام ذلك افتـــــراء ؟!

فقال المعلم :

هذا ومـــــا تذكره بآخـــــر خطـــك

تذكـــــــــر خبرنا ما أتـــــاك اثباتـــــه

---

(٥٤) ذاته : أي انتماؤه الى الاسرة المعروفة بالاهتراء بهذه الصيحة (المعيا). وهي كلمة لم نستطع التعرف على معناها ولا على منشئها ولعل الكلمة تصحيف للكلمة الفصحى (المعجى) و تعني البطل الشديد البأس

مايختفي يــاصاح وَلْــد الفـــرخة

والغيث رعــده تســتمع حنّاتـــه

أو ما ســمعت الرعــد ياطِبّ الحشــا

أو ما ترى البــرّاق في لمعاتـــــه

أو ما بلغـــك ان العَشـــوده عَضّت

وفي الحُمَـــهْ(٥٥) فاقت على حيّاتــه

وبقي الموقف متوترا بين آل كثير وبين بني ظنه وكان آل كثير يتصـرفون وكأنهم يرومون ان يدفعوا به الى الانفجار في أية لحظة • قال المعلم :

عمّال(٥٦) يزفن في عـــذور الظنــي

لا ما غبَش يحــكم لها سـرواته

لو اشتغب بالقتـــل قلنا يـــكفي

لكن حربــه ما فصل شـــاراتــه

وآل القنيص شـف عادهــم مالّينـوا

كــلين غـــادي وَاوْفي مرباتـــه

وان زادت الهمّـة تجيك أخبارهــم

كذلـك الواقـــع عـــلى تصفاتـــه

ولقد انزعج المعلم من الحال الذى آل اليه موقف آل تميم واستطالة آل كثير عليهم وعلى مثاويهم • وكان يتوقع ان يصل العون المالي من التميميين المهاجرين باندونيسيا وخاصة من الشيخ محمد بن عوض بن شملان احد الاثرياء الحضارمة بالمهجر ولكن آمال المعلم خابت • فقال :

(٥٥) أثر السم الذي تتركه لذعة الحية في جسم الانسان كان آل كثير يقولون عن آل تميم! أنهم عساود جمع عسودة ، أي أنهم قليلو الأذمية والخطر (٥٦) أي مازال .

أسأل محمد بن عوض ذي ما اتتكف

ولا معونه جـــات من ســفراته

ماشاف قولك لي حصـل في رَبْعُـه

يهوين ! ! لاكانه ولا خزناتــــه

من لاتتكّف يافتى هـــو عنـدى

كلباً نجس مُولَعُهْ في مِغْراتــــه[٥٧]

ويختم المعلم قصيدته بهذه الابتهالة المؤثرة المطابقة لمجال الحديث :

ياللـــه ياربـنـاه ياسـامع دعـا

من مـد كفـــه خالصـه دعـواته

أرحــم جهتنـا واطف نيران الفتن

بحـق من طب القـلوب صـلاته

والكل منـا فاهدنـا سـبل الهدى

وكل مِبْعِـيد عن قريب آتـــه

واحفظ وسلّم من يبلّغ خطــــي

والامــر فاصلح ياكريم ولاتــه

وينهي الملحمة التي استمتعنا بتلاوتها قائلا :

ومحمد المختـــار طــه ذخــرنا

ذى أهـــزم الكفــار في هـداته

ياسامعــين ان شـاغلا اشـغلكم

عليــه صــلوا واكثروا صــلواته

★ ★ ★

(٥٧) المغراة قطعة الحبل او الجلد او السلسلة الحديدية التي تطوق عنق الكلب .

وبعد ان استتب الامر لآل كثير فى تريم أبرموا مع القبائل التميمية معاهدات صداقة وعدم اعتداء ، وسارت الامور ردحا من الزمن كان خلاله الكثيريون معتلين قمة المجدين العسكري والسياسى • وعندها سافر السلطان غالب بن محسن الى حيدر أباد لتولى مهام منصبه هناك يغمره شعور فائق بالاطمئنان والنشوة بالنصر ، وترك الامر في حضرموت في يد عمه السلطان علي بن احمد الكثيري الذي أحاط نفسه ، بعد سفر السلطان غالب ، بكبار الرجال من عقلاء آل كثير والعوامر الذين أبلوا بلاء حسنا فى المعارك •

★ ★ ★

بيد أن مدينة سيئون ظلت رازحة تحت النير اليافعي •

وكان الدعاة العلويون قد انبثوا في مختلف ارجاء الوادي يعملون بجد لايعرف الكلل ، سرا وعلانية ، لنصرة آل كثير في اعتزامهم احتلال سيئون • وقد ذكرني ما كانوا يبذلون من جهد بمساعي الطالبيين الذين قوضوا صرح الدولة الاموية ليقيموا على انقاضها الدولة العباسية فالدولة الفاطمية •

وفي عام ١٢٦٤ هـ ارسل السيد العلامة محسن بن علوى السقاف ، وكان في طليعة المتحمسين لنصرة آل كثير واحد كبار الدعاة العلويين ، قصيدة طويلة ، اوردها المؤرخ الشيخ سالم بن حميد فى تاريخه ، الى السلطان غالب بن محسن الكثيرى حال إقامته بحيدر أباد يستعجله احتلال سيئون • وكان هذا السيد الجليل القدر قد ذاق الامرين من معاملة يافع له بسيئون وتعرض للاعتقال والتعذيب على ايديهم • وقصيدة السيد محسن رائعة جدا وهى من غرر الشعر الشعبي الحضرمي • ونحن نقتطف منها بعض ابياتها المتعلقة بالدعوة الموجهة الى السلطان غالب بن محسن لاحتلال سيئون • ومطلع القصيدة هو :

غالب غلب من قد غلب(٥٨) لايتبع شـرع الرسول

وفي حثه على احتلال سيئون يقدم السيد محسن الى السلطان غالب صورة عن رجالات يافع المتمركزين بسيئون • قال :

---

(٥٨) رفض •

ماحد معـــك لي يُفشِلَكْ شُفْ كلّهـم خيبــه ثعـــول
الذل فيهـــم والركاكه والـــرثاثه والذهــــــول
ولّت صناديد العـــــرب ذى هي تنوش بالعـــدول[٥٩]
ما عـاد غـير الريش والطّمْرِيْش من غِلْمـــه فســـول
عاقلهـــم الخيبه ولا يوفــــي بقولـــه ذى يقـــول
غِلْمــــه عِيَبْ جُــوّه خِيَبْ شَتْمَهْ طَلَبْ غُشْمُه نذول
أما معا المصروف[٦٠] والقَلْمه[٦١] وتفريـــق البتول[٦٢]
شف كل واحد مثل عشرة حولها القُضْمه[٦٣] يجـــول
مقصوده القلمه ولا عنـــــده من اللي بايقـــول[٦٤]
هاذى عوائـــدهم وقدك اخبر بها يا ابن الاصـــــول
كـــم بانعدد من مثالبهـــم ، وحاصـــل مانقـــــول
لاخير فيهم قـــط بل هـــم شـــر من عنده حلـــول
لو يعـــلم الله خـــير فيهم كان سمعـــوا لي يقـــول

ثم يحرضه على قتالهم بقوله :ــ

اخَرّب معاقلهم وشَرّد من بهـــا كانـــوا حلـــول
وافعـــل كما فعلوا بأهلك ذى بهـــا كانوا نـــزول
جَزَاءَ العمل مِنّـــه ، وشُف من لايكافي لايطـــول[٦٥]

---

(٥٩) الجمل ينوش بالعدل اذا سار بحمله في سهولة ويسر .
(٦٠) ما يدفع للجند من نقد .
(٦١) الاثبات في سجل مرتبات الجيش .
(٦٢) ما يحتاجه الجندي من لوازم اخرى .
(٦٣) ما يصرف للجندي من طعام عينا .
(٦٤) من الذى يلوم .
(٦٥) من لايعاقب على الجريمة لاتمتد بملكه الايام .

ويتجه السيد محسن بتجريحه الى قبائل آل تميم والشنافر كآل كثير ، حلان السليل ، والعوامر حلان تاربة والنجود ، وكانوا في الواقع أهم ركنين في الاتحاد الشنفري وكان معظم رجال الجيش الكثيري منهم • قال :

اما الكثيري والعوامر دِلّهُم(٦٦) خس الدلـــول
ذا ، والتميمي عيف خائن نَغْبل من جِيْز النغول
خِيْمُه(٦٧) من أقبح خِيْمْ ما يثبت على ظهره حمول
باطِلّه عَمّ الحُدُر كم من كِبْدْ مِنّه في كلول
لِحَزْتَهُمْ يِهْلِكْ وللاموال بالباطل اكول
الله يريح الناس مِنْهُم والمرابع والطلول(٦٨)
عَمِلْتُهُم شي والحقيقة ليس هم شيئاً يؤول
ماغير سُعْدك فَضّ نحس الكل يافحل الفحول
من أسعدُه ربّه بلغ قصده ولو جنده فسول

ويحذر الشاعر السلطان غالب من الاستمساك بتلك القبائل التى ذكرها • قال :ــ

وأحذرك يا ابن الراس تستنصر بهاتيك النغول(٦٩)
شف من تعلق بالمطاحس او تقبّض بالذيول
سقط على راسه ويرجع بعد رفعه في نزول

ذلك تحذير قد يكون مقبولا لو ان السيد محسن اوجد له البديل • لقد كان آل كثير والعوامر عماد القوة العسكرية الكثيرية الضاربة • وكان هؤلاء يشكلون

---

(٦٦) تصرفاتهم •
(٦٧) عنصره •
(٦٨) جمع للاطلال على الطريقة الحضرمية في صيغ الجموع كقولهم الطفول للاطفال والنذول للانذال والرجول للارجل والنصوف للانصاف •
(٦٩) النفلة من كل شئ النوع الرديء •

أقوى واكبر قسمين فى أقسام الاتحاد الشنفري الاربعة • فهل كان الشاعر يريد ان يكون الجيش الكثيرى مكونا من قسمي الاتحاد الشنفري الآخرين وهما آل جابر وآل باجري فقط؟ ذلك ما لم يذكره الشاعر فى قصيدته • وعلى اى حال فان السلطان غالب لم يأخذ بهذه المشورة بالذات •

ويحبّذ الشاعر للسلطان غالب ان يضع يده فى ايدى العلويين الاشداء من الحضارمة وهى مشورة صائبة لما ينبغى ان يكون عليه التلاحم بين الحاكم والعناصر القوية فى منطقة حكمه وخاصة أيام الملمات • قال :

واركب سفينة نوح تنجو من ذوي الهَوْل المَهُوْل
هي عترة المختار بضعة فاطم الطهر البتول
من بعد ذا، لاتَخَفْ أذى، زال القذى، طاب النزول
في موقف الجَوْدات(٧٠) شُفْ ليس الارانب كالوعول

ولقد كان التعاون فى القديم بين حكام آل كثير والصلحاء وذوى الرأى من العلويين ظاهرة بارزة في تاريخ الدولة الكثيرية رغم ما قد يعتورها من فتور او انفصام فى بعض الازمان • قال السيد محسن مذكرا السلطان غالب بذلك :

واعرف سِيَر من مَرّ قبلك ذى غدا فيهم يقول
بامخرمه شيخ المشايخ ذى المكانه والقبول
(إنْ آل جعفر أصْل واهل المعرفة ترعى الاصول)

والبيت الاخير الذى ضمنه السيد محسن قصيدته هو للفقيه الصوفي الشيخ عمر بن عبدالله بامخرمه (توفي ودفن بسيئون عام ٩٥٢هـ) وجاء فى قصيدة مشهورة قالها الشيخ عمر مدحا فى آل كثير ، على عهد السلطان بدر أبي طويرق تفاديا للمزيد من الاذى الذى لاقاه الشيخ عمر على يد السلطان ابى طويرق

(٧٠) المواقف الصعبة التي تحتم التصرف بحكمة •

الكثيرى ، وقد اشرنا الى هذه المناسبة بالتفصيل فى كتابنا (الشهداء السبعة) • وكان هذا البيت مقدمة لبيت آخر تلاه على التو ، وهما :

ان آل جعفـــر اصل واهـــل المعرفة ترعى الاصـــول
ما انسى فضائلهم ولو بي من فعائلهـــم غـــلول[71]

ولعله من المناسب للمقام ان نقول ، تتميما للفائدة ، ان آل جعفر ، اجداد السلطان غالب الاوائل ، هم يماني ومدرك وعمر ابناء جعفر بن بدر بن محمد بن عمر بن كثير ، وهم الذين اسسوا الدولة الكثيرية عام ٧٨١هـ • وخلف عمر بن جعفر ابنه علي وقد ولد بقرية بور وهو الذى انشأ السلطنة عام ٨١٦ هـ وجعل من نفسه اول سلطان معترف به لآل كثير • يقصد بجعفر الاول جد السلطان علي بن عمر ، والى هذا الجد ينسبون السلاطين آل كثير ، ولذلك اشار اليهم الشيخ عمر بامخرمه بقوله :

« آل جعفر » • أما جعفر الثانى ، الذى انتهت به الدولة الكثيرية كما يقال ، فهو السلطان السابع والثلاثون جعفر بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر ابن بدر أبي طويرق الذى انتهى عهده فى الاربعينيات او الخمسينيات من القرن الثانى عشر الهجرى كما قد جاء بالصفحة ١٣٥ من هذا الكتاب والمراد هنا بالانتهاء هو عدم التفرد بالملك فى كل او فى معظم ارجاء القطر الحضرمي •

أما النصيحة التى قدمها السيد محسن بن علوى السقاف عن آل تميم فقد أخذ بها السلطان غالب • فنكث بمواثيقه التى عقدها مع آل تميم وهاجم مثاويهم ولكنه لم يحقق بذلك نصرا يذكر ، بل ان تصرفاته هذه كانت فاتحة انحدار وتلاشي للصعود الكثيرى •

وعلى اى حال ، فقد احتل آل كثير سيئون ، وطردوا يافع منها ومن مدينة تريس سنة ١٢٦٥ هـ ، وكانت حملتهم الموجهة ضد يافع فى هذه المنطقة ، بقيادة الامير عبدالله بن صالح الكثيرى •

---

(٧١) آلام نفسية شديدة •

وقد ناصر العلويون آل كثير فى هذا الاحتلال ، اذ انهم كانوا يمثلون الطرف الثانى لمحور النشاط السياسى فى المنطقة .

وفى عام ١٢٧٢هـ عاد السلطان غالب بن محسن الكثيرى من حيدر أباد الى حضرموت ليستقر نهائيا بها بعد ان صفّى اقطاعياته وممتلكاته الاخرى بالهند . وبوجود السلطان غالب في حضرموت استطاع السلاطين آل عبدالله ان يوثقوا بينهم وبين كافة جهات الاتحاد الشنفرى ، الترابط الاخوى ورفقة السلاح .

بيد ان نقضهم لمواثيقهم مع آل تميم وعدوانهم المتكرر عليهم اوجد فراغا سياسيا هائلا فى المنطقة التميمية شرقي وجنوبى تريم . وقد دفع هذا الفراغ بآل تميم الى تثبيت اواصر الصداقة والتحالف بينهم وبين يافع المقيمين فى المنطقة التميمية ومع يافع شبام ومنطقة القطْن . واستفاد القعيطى من هذا التخبط الكثيرى واستغله احسن استغلال لصالحه ، وراح يمد آل تميم بالعون المالى والعسكرى لمشاغبة آل كثير . ونتيجة لذلك اخذ عنصر المبادرة من يد الكثيرى وبات آل كثير يتلقون الهزيمة بعد الاخرى فى مناوشاتهم مع آل تميم . وكانت آخر هزيمة لآل كثير فى قرية الرّيّضة التميمية الواقعة جنوبى تريم الى الغرب من حصن فَلُّوقَه . وهنا يقول المعلّم ، من قصيدة طويلة ، مخاطبا ومؤنبا الامير عبود بن سالم الكثيري لنقضه المواثيق ، التى بين آل تميم وآل كثير ، من جانب واحد وكأنه يوجه اليه اتهامات بجرائم ارتكبها فى المنطقة :

يابا شَغْوان(٧٢) أُوْدَعَكْ خَطِّي لعلك تستجيب
تلقى عبود أُعطُه كتابي ، لي مُشَمّر للخبيب(٧٣)
أُثمُهْ (٧٤) وقع مفتوح للبلدان تحسبه أثم ذئب
قل له جرت منكم مجارى قلعت الجربه تبيب(٧٥)

---

(٧٢) مرسول المعلم .
(٧٣) الخبيب أي الجرى كناية عن استعداده للعدوان .
(٧٤) اى فمــه .
(٧٥) تبيب : اقتلعت نخيل الجربة من أولها الى آخرها .

الاوله :خالف اذا عاهد ، فما اسرع مايعيب
يخالف العروه وعاد الله على العروه رقيب

الى ان قال :

واما التميمى يابن سالم حالفك لما يشيب
طير الغراب(٧٦) ، أمسيت وحدك تنقض الخط العجيب
هو ذاك لي خلا التميمي يافتى ذهنه يغيب
والثانيه : جابنٌ يماني قُلْتَ قَعْ سَقْلِه أديب
عقله طما عقلك وباتعبر حياته ما يعيب
والرِّيضَه خَتْمْ الصَّمَّار(٧٧) انجاد حد فيكم أريب

ثم يقول :

او ما ترى نجمك غرب بعضه وبعضه بايغيب
يتم ما بيدك وباترجع على المال الصليب(٧٨)
معاد للقَرْحَة(٧٩) تناطح ، فيش يكفي من عبيب(٨٠)

لقد قال المعلم :

« او ما ترى نجمك غرب بعضه وبعضه بايغيب »

وكأنه نظر من خـــلال حجب الغيب • ذلك ان الكثيرى بعد حادثة الريضة حاول احتلال ميناء الشحر فنجح مؤقتا ثم اردف بمحاولة مستعجلة لاحتلال المكلا

---

(٧٦) مأخوذ من قولهم في تأبيد المعاهدات : لما يشيب الغراب ويغنى التراب •
(٧٧) الصمار : النحي اى ثالثة الاثافي •
(٧٨) المال الصليب مايملكه المرء من عقار واشجار •
(٧٩) القرحه : الشاة الجماء : أي التي ليست لها قرنان •
(٨٠) الصوت الذي يحدثه التيس لدى نزوه على الشاة •

فخسر الشحر ولم يفز بالمكلا • والمرة الوحيدة التى انتصر فيها آل كثير من بعد ذلك هى عندما حاول يافع احتلال سيئون من جديد •

★ ★ ★

والمعروف ان المعلم عبدالحق لم يكن يحبذ الغزو الذى شنه يافع على المنطقة الكثيرية • وقد شرحنا ذلك الغزو الفاشل ، بما سبقه او تلاه من توطئات وملابسات ومضاعفات ، فى كتابنا (فى سبيل الحكم) •

ولقد اشاد المعلم بانتصار آل كثير على حملة الغزو اليافعية ، اذ كان ذلك النصر باهرا اضفى الوان مجد زاهية على الاتحاد الشنفرى وجَبَّ عار الهزائم الكثيرية التى سبقته • والقصيدة التى قالها المعلم فى تلك المناسبة من المشهورات الشعبية ، ومطلعها :ــ

يالله ياغافر خطايا المذنب لي ما تَصُفْ زلاَّته المجهولة

كان الجمعدار عوض بن عمر القعيطي ، بدافع الخوف من تكرار الهجوم الكثيرى على الشحر ، قرر القيام بحرب وقائية ضد آل كثير وذلك بغزوهم فى عقر دارهم وتدمير امكانياتهم العسكرية • وقد شجعه على اعتناق هذه الفكرة وحسنها له بعض مقادمة يافع معززين رأيهم بالنصر الذى احرزوه اولا وثانيا ضد آل كثير فى الشحر • فجرد الجمعدار حملتين ضد آل كثير تحركت احداهما ، وهي الكبرى ، من الشحر الى شبام ، وتحركت الثانية من الشحر الى تريم • وبعد ان دبر المال اللازم لهذه المغامرة واتم الاستعدادات الاولية لها استدعى النقيب صلاح الى الشحر وعرض عليه الفكرة على ان يتحمل النقيب بعض تكاليف الحملتين • فاعترض النقيب صلاح على الفكرة من اساسها • وكانت معارضة النقيب منصبة على ما يأتي :ــ

(١) ان القعيطي لم يوطد علاقاته بعد مع قبائل الحموم وان المرور فى منطقتهم يكون مخاطرة •

(٢) ان الخلافات الناشبة بين الفرعين اليافعيين ــ الموسطة والظبي ــ لم تحسم

بعد ، وان هذه الخلافات القائمة سوف تكون لها آثارها فى العمليـــات العسكرية المشتركة ••

(٣) ان القوة الكثيرية ما زالت تتمتع بروحها العالية وان الترابط قوى جـــدا فى الصف الكثيري •• وان آل كثير سوف يقاتلون فى منطقتهم دفاعا عن منازلهم وعن افراد اسرهم وانهم سوف يستميتون فى هذا السبيل ••

واصر الجمعدار ••• ولم يسع النقيب صلاح الا الرضوخ تفاديا لاى تصدع قد يحدث فى علاقته بالقعيطى لاسيما وان النقيب يعترف بفضل القعيطي عليـــه فى الدفاع عن المكلا فى وجه الغزو الكثيرى •

وتقرر ان تتجه الحملة الكبرى من الشحر الى شبام ومنها تحتل سيئون ، وان تتجه الحملة الثانية من الشحر ، عن طريق عقبة العَرْشِة لتحتـــل تريم ••• بهذه البساطة الساذجة !!!

ولقد أشعاع الجمعدار ، ابرازا منه لقوته التى ظنها لاتقهر، وكجرعة قوية من حرب الاعصاب لآل كثير ، انه سوف يصل بقوته الى شبام فى اليوم الثالث من شهر شعبان ١٢٨٥ هـ « لاقتلاع الشجرة الكثيرية » على حد تعبيره فى احدى المناسبات • وفعلا وصلت الحملة الى شبام فى ذلك اليوم المقرر • وفى بدايـــة الاسبوع الثانى من شعبان بدأت الحملة هجومها • وهنا يقول المعلم :

خرج عوض لي عا الكثيري جَهَّـــز

يبغا منازل باهلهـــا محلولـــــه

وصل على وعده عوض ما خـــالف

وحَصَّـــل اشباك البـــلاء معـــدوله

عوض عصب عصـــــبه لبلده واهلها

احياء ، ظني قـــــد دَحَـقْ معقـــوله

وكان قد اتفق على ان يكون قائد الحملة الكبرى النقيب صلاح بن محمد الكسادي ،

أمير المكلا ، الذى شارك ببعض الجند ، كمساهمة منه رمزية ، فى الحملة • واتفق ان يرافق الحملة الجمعدار عوض ليكون على مقربة من مسرح الأحداث لو انه احتيج اليه لاتخاذ قرار سريع ، وكان الامير محمد بن عمر الاخ الاكبر للجمعدار ، متمركزا فى قرية العَقّاد ، وكان مسؤولا عن اللوازم والمال للحملة• قال المعلم :

سيول فَتَكَتْ والكسادى قبلهـــــا
ما قايس ان حـــد بايرد سـيوله

ويصف المعلم العناصر المقاتلة التى تكونت منها الحملة فيقول :

يافع جبل يافـــع ، ويافع حضرموت
والهند لـــي مِنْــهُ الكبدْ منغولــه
من الرُّوَيْلَه[٨١] لـــي تَضِيْم افعــــالهم
غلاظ لـــي ما يعرفـــوا التهلولـــه[٨٢]
غِذْيُوا بشرب الخمر ظاهـــر فعلهم
ومن حَمَـــلْ منهم دحـق مقتولـه

ولقد احدث خروج الحملة العسكرية اليافعية من الشحر الى وادى حضرموت وتمركزها فى منطقة شبام ذعرا فى المنطقة الكثيرية ، ذلك لان حملة من نوع آخر ــ حملة دعائية ــ منظمة سبقت خروج الحملة اليافعية العسكرية بغرض التأثير على آل كثير والقاء الرعب فى صفوف مقاومتهم المحتملة • ومما كانت قد بثته تلك الحملة الدعائية ان المدافع التى زودت بها الحملة اليافعية تجهض الحوامل ويدمر دويها الديار الى آخر ضروب التخويف الذى لم يكن لقبائل الوادى به عهـــد •

---

(٨١) جنود افغانيون جندهم القعيطي من حيدر أباد ينتمـــون الى قبيـــــلة ال Rohilla • والحضارم ينطقون هذه التسمية رويله •

(٨٢) التهلوله : النطق بالشهادتين •

وفى قصيدة مطولة قالها الشاعر الشعبي الشهير عمر بن محمد باعطوه بهذا الخصوص ، وكانت جزءا هاما من الحملة الدعائية ، ومطلعها :

ياخـالق الاكـوان يامتكفـل   بالخلق سالك مكرمة مشموله

وتناقلتها الالسن قبيل وصول الحملة اليافعية العسكرية الى الوادى وهى القصيدة التى اوحت الى المعلم عبدالحق بقصيدته التى نحن بسبيل عرضها الآن .

قال باعطوه واصفا الحملة العسكرية القادمة :

طوفان لاحـق نوح يذكر عنـده
ذلا غـرام ! حتى الجبـل بايزولـه
ومدافـع الرحمن مثل الراعـد
تقـذف صواعق بالنقم مدخولـه
قد شفتها بالشحر وقت المكرهـة
سمعون[٨٣] منهـا قد يبسن سـيوله
تخرب دمن واما الحوامل تنسف[٨٤]
من رجه الباروت حـل شعولـه
ياطارف ارفـع ذه بـلاء يحمينـا
اللـه من آفاتـه المجهولـه
وفـوق ذا يافع ، ونعمك يافع !
رجـال من ذاك الجبل منقـوله
اهل الرياسـه دائما تزهى بهـم
وايضا الحروبه هي بهـم مكفوله

---

(٨٣) وادى سمعون ومسيلته تقسم مدينة الشحر نصفين .
(٨٤) تجهض .

مايخيب مسعاهم اذا الامـــر اشتكل
ما يضيمهم بُعْـد الطّلب وشُكُوله

والحق ان الشيخ عمر باعطوه كان موفقا كل التوفيق فى صياغة دعايته .. أما هل اثمرت تلك الدعاية أم لم تثمر فموضوع آخر سوف نعالجه بعد برهة .

ونعود الى قصيدة المعلم عبدالحق فنراه يمهد لنسف الدعاية اليافعية بذكر ردود الفعل الاولى لِمَا لابس الدعاية اليافعية ، وتلك ناحية نفسانية يلجأ اليها ارباب المناظرة لخلق حالة تقبلية فى نفس السامع او القارىء لما سوف يعقب من حديث . قال المعلم واصفا قدوم يافع المحاربين الى الوادى :

ارتجّ كم من قلب من مَخْرَجْهـــم
والناس في وادى العَجَـلْ[٨٥] مفشوله
من قوم ما تُحْصَى عـــدد في دفـــتر
شـافوا فعايـــل مِنّهـــم مجمولـــه
فى الشحر والبُقْــرَيْن شلّوا الزايــد
فِعْـــل القوي بزنوده المفتـــــوله

وقد كان عدد جنود الحملة اليافعية ، كما ذكرت السجلات القعيطية ، ثلاثة آلاف مقاتل من ابطال معركتي الشحر والمكلا ومن أغرار آخرين لم يتم تدريبهم بعد ولم تختبر فى معارك سابقة أهليتهم للخدمة العسكرية النشطة . ولقد اصبح أولئك الاغرار عبئا ثقيلا عـلى المحاربين السابقين ، فـلم يثبتوا الثبات المطلـوب أمام الاستماتة الكثيرية ، فكانوا يفرون من أمام آل كثير من مواقع حساسة وبذلك عرضوا جوانب الجيش اليافعى للمداهمة القاتلة . وهنا يقول المعلم :

---

(٨٥) يسمى وادي حضرموت بوادي العجل لكثرة العجلات التى تستعمل فوق آباره لنزح الماء للزراعة .

وخَلْطهم جُمْلِه من الحَبّ الغِثِر[٨٦]

لي ما نجـــح طلعـــه بطي سبوله

ثم يتفلسف محللا ومعللا كعادته فيقول ما مفاده ان الجبناء في صفوف الجند الشجعان يكونون وبالا على كل بطولة ، وان جبنهم ينتشر كالمرض المعدى في القوة المسلحة ، قال رحمه الله :ـ

والفَشَل للابطال عِلّة قاتلة   حِلّ الملاقي مُخْجِفات دُلُوله[٨٧]

لقد كان الاستعجال طابع التجهيز العسكري اليافعي وكأن الجمعدار عوض كان في سباق مع الوقت ، وفي ذلك يقول المعلم :

حتماً على الله كل من اســـتعجل

يلقى الفشل من ســـيرته المعجـوله

حملوا وراد اللـــه ما قـــد راده

وانهزمت القـــوم الذى منقـــوله

ذا سالف الدنيـــا ومن هو فيهـــا

من كان في دنيـــاه ياخذ طولـــه

أجل : « من كان في دنياه ياخذ طوله » كما يقول التعبير الحضرمى المأثور، أى اذا تم شيء بدأ نقصه ، ام ان المعلم كان يرى بداية النهاية للعُرام العسكرى اليافعي فى هذه المعركة ؟ فعلا : فقد كانت هذه المعركة هى الفاصلة بين يافـــع وآل كثير ...

ومما ساعد على هزيمة يافع ، الاختلاف الذى دب في صفوفهم ـ الخلف العشائرى التقليدى ـ بين الموسطه وبين الظُّبَيْ ، والا نتـ ـات طلائع المقاتلين

(٨٦) حب الذرة الذي لم تنشق عنه اكمامه لرداءته ·
(٨٧) يخجف يربك والدلول الطباع او التصرفات ·

اليافعين قاب قوسين او ادنى من مدينة سيئون • وبالضبط فقد وصل المقاتلون اليافعيون ـ رغم وجود الاغرار الذين كانوا فى صفوفهم ـ الى سَوْم بن نَسَّام وهى مَحِلَّة صغيرة على بعد ميل ونصف تقريبا الى الغرب من سيئون • قال المعلم :ـ

ياذا العجب اقْفَوا من السَّـوْم البِرِكْ
وامست هممهـم بالفتن معضـوله

وفي الحقيقـة رايهـم متعاكس
وأمور أخرى بينهـم مغمـوله(٨٨)

ان الحسد والبغض فَرَّقْ بينهـم
وانسوا المعِزَّة ذى لهم والدَّولـه(٨٩)

ان الطمع لاِلشِّع(٩٠) رجـال الدائرة
راحت طِيرْ أركانها الدَّحمولـه(٩١)

ان الحسد وقـت الملاقي خَـلَّا
العَزْم ذُلْ ويفلّـل المصقولـة(٩٢)

كم من مَهَجَّر(٩٣) بالحسد ماتجمـل
لانَّ يـدَّه بالحسـد مغلولـه

ثم ادار المعلم عبدالحقَ القول على آل كثير ، فقال مادحا صمودهم فى دفاعهم

---

(٨٨) مخفية •

(٨٩) هنا يطلق اسم الدولة على القعيطي والكسادي وقد اعتاد المعلم كما هى العادة في محضرموت ان يطلق اسم الدولة على آل كثير كمـا سنرى في أبيات قادمة من القصيدة •

(٩٠) اذا تمكن في النفوس •

(٩١) الشديدة والكبيرة •

(٩٢) يفل السيف الصقيل •

(٩٣) يطلقه الحضارم على عزيز القوم او شجاعهم،وفصيحه مُهْجِر ويعني الرجل الجواد .

عن منطقتهم ، وابتدأ بتفنيد دعاية باعطوه ، عن عدة وعتاد الحملة اليافعية ، على أساس الواقع الملموس :ـ

فــــلا المدافع رَجّهـــــا خوفهـــم
ولا الحــــــوامل منّها مشغولــــــه
ولا المصانع[٩٤] فلّ فيها القامزي[٩٥]
لا ياغمر رطلك نقص لا تـُــوله[٩٦]
همـــــدان حكّوا الصفر[٩٧] يا باعطـوه
وقفوا قبال الموت ماقـدّوا[٩٨] لـــه

ويصف المعلم فصائل المقاومة الكثيرية ، وكيف ان السلطان الكثيري لم يستنفر احدا من رجال تلك الفصائل ،ولكنهم توافدوا عليه تلقائيا من كل حدب وصوب مدفوعين بحكم الولاء والواجب الاخوي والشـــعور المشترك بالخطر المداهم • قال :ـ

عبود بن صالح[٩٩] وصـــل باصحابـه
وباجري[١٠٠] بعـــــده فرح بوصوله
والعامري[١٠١] ، واما الكثيري قـــوّس
ماقـــال لي ماحد ظهر وصّــوا لـه

(٩٤) الحصون : ومفردها مصنعة •
(٩٥) الباروت •
(٩٦) التوله تعادل قفله وهي ١/٤٠ من الرطل •
(٩٧) اختبروا قوة يافع واظهروا ضعفها •
(٩٨) لم يستسلموا •
(٩٩) مقدم آل جابر •
(١٠٠) احد فروع الشنافر الاربعة وهي آل جابر ، وآل باجرى والعوامر وآل كثير •
(١٠١) العوامر •

همدان ظنّي زين في مقنصهم
كم من جَمَلْ يوشي بثقل حوله
وحلفوا انْ لاحد يولّي مدبر
وأتَتْ جمال الفصْل وقت نقوله

وعندما يذكر المعلم « همدان » فانه يعني بهم آل كثير سكان منطقة « السليل »[١٠٢] وهي المنطقة الواقعة بين مدينة تريس والحزم . وكان هؤلاء قد قاتلوا فى هذه المعركة قتالا بطوليا حيث انها كانت تدور رحاها تحت ديارهم وعلى مشهد من نسائهم واطفالهم ، وكانت عوائلهم معرضة فى اية لحظة لكل صنوف الاذلال . قال المعلم بهذا الصدد :ـ

كشّف المعاورْ[١٠٣] زيدتهم همّه
والجيد برّز للشداد فحوله[١٠٤]
من في قداً عاره قُتِل واستشهد .
في الجنّة الخضرة يكون حلوله

ولم يغفل المعلم الاشارة الى ما يكنه أهل « السليل » من ولاء للسلطان الكثيري فقال قولا ينطبق في واقعه على كافة اقسام التحالف الشنفري :ـ

ماغير همدان الذي شاقونا[١٠٥]
بالجُود[١٠٦] واشفَوا كبْدي المعلوله
هم قالوا السلطان عضواً منّا
وابدى لهم بالوافيه وابدوا له

(١٠٢) بعض المؤرخين يستعملون كلمة «السرير» بدل السليل .
(١٠٣) المحارم والاقارب من النساء
(١٠٤) الشداد جمع شد وهو سرج الجمل والفحل الجمل القوى .
(١٠٥) انتزعوا اعجابي .
(١٠٦) النصر والبسالة .

ولقد كان آل كثير على علم تام بكثافة القوة اليافعية ، وبمقدرة الجمعدار عوض بن عمر القعيطى على الدخول معهم فى معارك استنزافية طويلة • وهنـــا يقول المعلم :ـ

وفــــــوق ذلك عارفـين الدوله
أنّ القعيطي مقْويـــات رجــولـه
وانـــه ملكك[١٠٧] عالفتـن بايصـرف
يصرف مصاري[١٠٨] بالذهب مـكيوله

ولكن آل كثير لم يعيروا اهتماما للجانب اليافعي وقوته وامكانياته ووقفـوا بنيانا متراصا فى وجه التحدى القعيطي وهزموه • قال المعلم :ـ

وردّوا السيــــل البعيد المفّـــرع[١٠٩]
والشارة[١٠٤] أمست فاترة مفصولــــه

ولقد مر بنا ان المعلم كان قد فرغ من الحكم على تصرفات الجمعدار عوض واتهمه بانه داس على عقله بقدميه عندما نظم هذه الحملة العسكرية الفاشلة ضد آل كثير • ولكنا نرى المعلم الآن يوجه اللوم الى النقيب صلاح بن محمد الكسادى وكان معروفا بحنكته السياسية وباعتداله ورويته (ولم يكم المعلم يعلم حقيقـــة موقف النقيب صلاح من هذه المغامرة) فيكته اشد التبكيت ويشرك معه النقيب عبدالله ـ (ونراه يلقبه فى شعره بالقيصلي حيث كان من رجال يافع المعروفين بحسن المشورة) ـ فى الملام وفى النهاية ينفث المعلم زفرة أسى وتوجع ويرد الامر كله الى ان ما حل بيافع فى هذه الحملة كان ضربة قضاء وقدر أحكم الله اقفالها عليهم ولاراد لمشيئة الله • قال المعلم :ـ

(١٠٧) يملك اللكوك ومفردها لك وهي هندية واللك مائة الف كما هو معروف •
(١٠٨) مفردها مصرى وهي مكيال محلي يزن حوالى رطلا وعشر اوقيات •
(١٠٩) الكثير الروافد •
(١١٠) انواء المطر •

يا بن محمـــد يالحصيف الزاكن
كيف تتبع المهتوف[111] عاتطبولــه
قلنا عوض بندق زلف[112] ، هت إنته
ذا هي انكفت[113] فرسانك المحجولـه
والفيصلي عمك تبعكم عالوكــل
رماد عايخبطـه[114] في تعدولـه[115]
يهوين ضــاع العقل في ذى النائبــه
لكنه المقضـــي قلــدن قفـــوله

وبينما راح يافع يكيلون التهم لبعضهم بعضا على هــذه الهزيمة أصيب الجمعدار عوض بشلل نصفي أقعده عن العمل عدة اسابيع ، وجرح فى القتال النقيب عبدالله عم النقيب صلاح بن عم محمد الكسادى ومات بالمكلا متأثرا بجراحه هذا الى جانب العشرات من القتلى والجرحى اليافعيين واتباعهم .

أما الرويلة فقد اظهروا في هذه المعركة سوء تنظيم وعدم اهتمام بالضبط والربط ، وراحوا يتشاجرون واغلبهم سكارى حـول مدفعيتهم الباروتيه التي لم تحدث ذلك التأثير النفساني الذى كان يعتبره الجمعدار عوضــ احـدى المقومات الرئيسية في المعركة . وعلى أثر تفسخهم في المعركة اعاد الجمعــدار عوض اعدادا كبيرة من الرويلة الى الهند .

وكانت هذه الحملة الفاشلة نقطة تحول في التاريخ اليافعي بالساحــل الحضرمي ، اذ أنها أدت الى خلاف حاد بين القعيطي والكسادى ، وتفاقم ذلك

(١١١) الذى يُهتَف عليه بالويل ويقصد به عوض بن عمر القعيطي .
(١١٢) المثل الحضرمي يقول (زلفة من بندق جيد) أى خطأ من غير مظانه .
(١١٣) كبت خيلك المحجلة .
(١١٤) خبيط الرماد تعبير حضرمي ومعناه العبث .
(١١٥) والتعدول هو احكام أو محاولة احكام بناء الحائط .

الخلاف حتى أدى الى سقوط الدولة الكسادية في المكلا ، ثم فرض الحماية البريطانية على الساحل الحضرمي •

قال المعلم يصف الابتهاج الذى ساد المنطقة الكثيرية بعد النصر الساحق الذى احرزه آل كثير على يافع :ـ

عادت على وادى الكثيرى تبْـــرِق
سيله سقى الوادى بِــكَمّ سُيولـــــه
سقى المواطي فيـــه واسقى الرافـع
يهناد !! رايته[١١٦] أصبحت معمولة[١١٧]
الارض طابت له وطـــاب جناهـــا
حتى تبـــارك منّهـــا محصولـــه

ان وصف المعلم للنصر الكثيرى في هذه المعركة كان لـه مغزاه البعيد ، ذلك لان المعلم كان من الذين يكنون للجمعدار عوض وللنقيب صلاح مـودة خاصة • لكن المعلم ، جريا على عادته التي عرفناها في هذا الكتاب ، لم تشتطبه العواطف ليزيف الحقائق التاريخية ويبخس آل كثير ما كانوا جديرين بـه من ثناء مستطاب • ورغم ذلك لم يستطع المعلم اخفاء مشاعر الصداقة بينه وبين النقيب صلاح فقال متوجسا الخيفة على مصير النقيب : ـ

سَوَى عَلَيْ في القـــوم لي ما أعرفهم
ان جـــات وَلّا ليتها مشلولــــــه
ماعادنا الّا من صـــــلاح محمـد
ما ادرى على مَنْ بايقـــع تبتّوله[١١٨]

(١١٦) الراية معناها الارض التي رواها ماء السيل •
(١١٧) محروثة •
(١١٨) التبتول معناه الخلاص او العوض •

وكان تخوف المعلم على النقيب في محله ... فلقد باء النقيب صلاح من هذه المغامرة الطائشه بكل خسران . بيد أن المعلم عبدالحق لم يمتد به العمر طويلا ليرى ما حل بالدولة الكسادية بعد مضي ست سنوات على هذه الهزيمة . فلقد توفي المعلم عام ١٢٨٩هـ كما ذكرنا سابقا وتوفي النقيب صلاح على الأثر عام ١٢٩٠ هـ .

ولقد قال المعلم في قصيدته بيتا عيّر به الذين ولّوا الادبار في هذه المعركة وأتى ببيته في صورة اشفاق عليهم من الحالة المزرية ، من الهوان والذل ، التي سوف يقابلون فيها نساءهم في الساحل قال :

مبخوس من دَبَّر من ارض المعركة
كيف البصر لاقد ضَوَى مَدْلُوله

والمدلول كلمة حضرمية دارجة تطلق على المرأة عامة وعلى الزوجة خاصة بالنظر الى الدل (بكسر الدال) ، ومعناه اللين أو الرفق ، الذى يتصف به معظم النساء . والبيت هذا من حكم المعلم المشهورة في حضرموت ، وتحسب له القبائل ألف حساب في ساحات القتال . ويمضي المعلم مكملا مقصده فيقول : ـ

تناكر البَكْرَه الاصيلة الصّالي(١١٩)
لاقَبَّل عليه البهدله مجدوله

المعروف عن طبائع الابل أن الناقة الأصيلة لا تجفل (تناكر) من صاحبها أو سائسها (الصالي) ولكنه اذا أقبل عليها وقد سربل (جدل) جسمه بأثواب غريبة لم تكن تألفها من قبل فانها تزور عنه وربما عدت عليه . والمعلم يقول ان الزوجة الحرة سوف تنفر من مضاجعة زوجها اذا حاول الاقتراب منها وهو متلفع بثياب خزى وعار الفرار من المعركة .

---

(١١٩) قد تعني خادم البكرة .

ان قصيدة المعلم هذه تعتبر من عيون ملاحم الشعر الشعبي الحضرمي .

ولم تكن الهزيمة التي مني بها يافع في محاولتهم غزو المنطقة الكثيرية الغربية مقتصرة على هذه الحملة التى سيرها القعيطى من الشحر الى شبام فحسب ولكن الهزيمة لحقت أيضا بالحملة اليافعية الاخرى التي سيرها القعيطى من الشحر ،وفي نفس الوقت ، لاحتلال المنطقة الكثيرية الشرقية المتمثلة في مدينة تريم وأحباطها . وكان غرض القعيطي من هذه الحملة الثانية تفتيت المقاومة الكثيرية .

★ ★ ★

وكانت الحملة التي خرجت من الشحر لاحتلال تريم تحت قيادة المقدم علي بن صالح الجهورى اليافعى وتتألف من ألف وخسمائة مقاتل نصفهم من يافع والنصف الاخر من مماليك القعيطى ومن الافغانيين الرويلة .

وفي مكان اسمه راس البَقَرْ بمنطقة الغلاغيل (وتعرف هذه المعركة عند العوام بمعركة الغُيَيْضَات وهي قرية تقع أسفل عقبة العرشة ، تعرضت الحملة لهجوم مباغت عنيف شنه عليها قبائل الحموم بقيادة المقدم سالمين بن حسن بن مُجَنِّح العليّي (مقدم فخيذة بيت علي الحموم) فتشتت الحملة بعد مقتل قائدها المقدم علي وابنه عبدالقوى وعدد من أبطال يافع والمماليك والرويله ثم قفلت راجعة الى الشحر مندحرة متخاذلة لاتلوى على شيء .

ولدى وصفه هذه الهزيمة نهج المعلم عبدالحق طريقا غير مألوف في الشعر الشعبي الحضرمي : فقد جعل حرف خروج رَوِيِّه همزة مكسورة ، وتلك قاعدة غريبة في تقفية الشعر الشعبي الحضرمي لم يسر على منوال رويها ، فيما نعلم ، غير شاعر نهد المشهور احمد بن محمد القانص ، وقد استعمل لقصيدته بحرا مخالفا لبحر قصيدة المعلم ، وذلك بعد وفاة المعلم بنحو اثنتين وثلاثين سنة . ومطلع قصيدة القانص :ــ

باسين ميماً الفْ لامـاً لَامْ هَـاْ

ابدى اليه توسلي ودعائي

يامن اذا قـــد قلت كن ، كان الذى
رِدْتُـه وقدّرتـــه من الاشـــيائي
يامجري الانفاس بـــل محصيهــا
وارزاقها من ســائر الانحـــائي
اغفر ذنوبـــي لاضـــويت الـــبرزخ
الـــخ الـــخ ....

وهي قصيدة شعبية عصماء تقع في اثنين وخمسين بيتا . وقد أوردناها كاملة في الجزء الاول من كتابنا «الشعر الشعبي الحضرمي فن وصناعة» .

ولقد حاول المعلم عبدالحق تطويع واعتساف بـــل وتشويه كلمات قافيته متعمدا .. وكان غرضه مفهوما إذ أنّه أراد ان يسخر من هزيمة الحملة ، وجنح الى التطابق بين الموضوع وكلماته امعانا في التهكم لانه كان قد قال قولـــه الجاد الملتهب الحي في هجاء الحملة السابقة ، ولم يبق لديه الان الا أن يقـــذف برماد موقد الهجاء وأثافيه في وجه حملة الشحر لانها ، كما يبدو ، لم تكـن تستحق في نظره اكثر من السخرية .

واستهلا لمعلم قصيدته بان ألقى اللائمة على نفسه حينما ذم آل كثير لدى هزيمتهم أمام يافع في الشحر (البندر) ، لان هزيمة يافع في راس البقر غطـت أوصافها على هزيمة آل كثير فى الشحر . قال المعلم :ــ

ثُمّ قال عبدالحق فيما قلت كَسْـــر الله فائـــي
فى مخرج الدولة من البندر ، فياخيبة رجائي
أهجَيْتُهم لـكن أتت أخبار لي تَبْطُـل هجـائي
أخبار دَحْـر القوم ، مما قيل ارتَقلتْ لحائي (١٢٠)

(١٢٠) لحيتي .

فاشت رِيةٌ جملة[١٢١] ونا مما جرى فاشت ريائي
وجُملةِ اصطكت رحاياهم[١٢٢] ونا اصطكت رحائي

ثم جعل (الهجاء) حوارا دائرا بينه وبين وافد (جائي) وهمي من منطقة الحملة المهزومة وقد فعلت بذلك «الجائي» الدهشة الافاعيل • قال المعلم : ـ

عن اعتراض القوم في راس البقر جَا اليَوْم جائي
فقلت لــه بالله لا تخفـي،فـداك أُمِّي وبـائي
فقال بحكي لـك ، ولكنْ لن تصدِّق في حكائي

وهنا يلح المعلم على الراوية الوافد ، او « الجائي » على حد تعبيره ان يقول الصدق ليمكن المعلم من احكام الهجاء في يافع لانه كان قد قال هجاءً في آل كثير عندما فروا من البندر (الشحر) وصب عليهم جام سخطه،وهو سخط لايعد لـه الا سخط المعلم حينما يغضب من رداءة طعام عشائـه ••• قال المعلم : ـ

قلت أحكِ لي بالصـدق واصدع خَلّنا نحكم بنائي
حيث الذى هزموا في البندر وقع فيهم عـزائي
مَوتهم واصْخَتْ منهم مثل ما اسخطْ منعشائي[١٢٣]
والله في والله في والله هم حـرقوا شـوائي

فيتناول الراوية الحديث مبتدئا بخروج حملة الشحر الى (علوى) اى اعلا الوادى ، وتلك هي منطقة شبام ، قائلا ان حملة الشحر/شبام (زهَّبتْ) أى أتمت استعدادها وقررت العزم على الخروج الى وادى حضرموت بعد خروج حملة الشحر • قال المعلم على لسان الراوية : ـ

---

(١٢١) امتلأت رئتي بالخوف •
(١٢٢) لم تعد رحائي قادرة على الدوران من الفزع •
(١٢٣) الصبي الاحمق هو الذي يدفع به الغيظ الى الاحجام عن الطعام •

القوم زهبت ثم نظمت شور(١٢٤) للمخرج ورائي
ثلثين(١٢٥) لا علوى وجهزها عوض طبي ودائي
حلف يمين إن الكثيرى ليس يعذر من بلائي

ويلجأ المعلم الى المبالغة التهكمية المستملحة فيقول ان الراوية يزعم أن النقيب صلاح بن محمد الكسادى قائد الحملة ، أقسم أن يتناول طعام الغداء في حصون قارة آل عبدالعزيز الكثيريين بعد أن يكون قد تناول طعام الافطار في الشحر . قال طيب الله ثراه :ـ

زاد الكسادى قال بعد البسط ، في القاره غدائي
هو قادها،وعوض بلاه بالحرب غاية لبتلائي(١٢٦)

ويعرب المعلم عن تبرمه بان يعيد الراوية على مسمعه أخبار حملة فاشلة كان المعلم قد عرف كل الحقائق عنها وقد قال رأيه فيها ... ولكن الذى يتوق المعلم الى الالمام به هو خبر حملة الشحر التي وجهت الى تريم ، ويقول :

هت في الذى خرجوا الى الحدر وامتلى منهم وعائي(١٢٧)

فيرد «الجائي» ويقص على المعلم أخبار الذين خرجوا الى الحدر (أسفل وادى حضرموت ومنه منطقة تريم) قائلا فى شيء من التوءدة :ـ

اما الذي خرجوا الى الحدر ، انت قف واسمع حكائي
خرجت معهم ليس حد منهم مع المخرج قفائي

---

(١٢٤) قرروا بعد التشاور .

(١٢٥) كان مجموع رجال الحملتين ٤٥٠٠ جندى ذهب ٣٠٠٠ منهم في حملة الشحر/شبام .

(١٢٦) هذه حقيقة تاريخية وهي ان الجمعدار عوض هو الذي أقحم النقيب صلاح في هذه الحرب،وقد تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابنا « في سبيل الحكم » .

(١٢٧) خاطري .

من كثرهم وَدّيت با انهبْ من معالِفهم مـلائي[128]
كذلك آلات الحروبه مِنّهـا احتـرقت حشـائي
والشّمع[129] والاكفان، صَدِّقْني لأنّ صـدقي دوائـي

ولم يغفل المعلم أن يشير الى ما كان مع الرويلة من زاد (وكان قد أشار الى أقوات القوم بالمعالف وكأنه يتحدث عن طعم الحيوانات) فقال : ـ

والخَمْر ، يا اهل الخمر !! يارب لا امتلى مِنّه إنائي

ويصف المعلم اتجاه الحملة المنكوُدة الحظ صوب تريم (الغناء) ويذكر تسابق الجنود على احتلالها • قال على لسان راويته : ـ

والوعد للغَنّا[130] ومن يرجع يقع له كَسْر فـائي
كُلاًّ تكلم قال فيهـا القابِلَة[131] قوتـي ومـائي

وبعد ان يشد الراوية اهتمام المعلم اليه يفاجئه بخبر المباغتة التي أنقض بها رجال الحموم على الحملة،ثم ما ساد قوم القعيطي من هـرج ومرج وارتباك قال : ـ

ذا يامعلـم : مـادريت الاّ وَذيّ الزّعْقَـة[132] قفائـي
زعقة مَعَـالْجَّة[133] عظيمة ، قلت ياخيبـة رجائـي
وضاع قلبي والطريق ايضـا وقع منه اعتمـائي
والمَحْزِمه[134] ضاعت ، رجعت اعطف على العَوْره ردائي

---

(١٢٨) وددت املأ اكياسي من اقواتهم نهبا •
(١٢٩) يستعمل للاضاءة •
(١٣٠) والعوام ينطقونها الغنا بضم الغين •
(١٣١) الليلة القادمة •
(١٣٢) الصيحة المفزعة •
(١٣٣) ضجة •
(١٣٤) الازار •

مافادنا بيعي ولم يربـــح من البنـــــدر شــــرائي
مْبْعَدْ(١٣٥) وقع لي يامعلّم مثل ذلـــك في صــبائـــي

فيرد المعلم على الراوية بقوله ان أخبار الحملة كلها قد بلغته لانها كانت محل اهتمامه وانه لم يسأله عنها الا استدراجا لكي يقارن معلوماته بما لدى الراوية من معلومات حتى يكون ما يقوله في المهزومين مبنيا على حقائق • وهنا يقدم المعلم على اعتساف لغوى جديد فيجعل منادى المخاطبة (ياأخي) يااخائي اندفاعا منه خلف تشويه الالفاظ ايغالا في التهكم • قال المعلم :ــ

قلتّ الخبر عنـــدي وَصَفيتُـــه ، وذَلاّ يا أخـــائي
باشـــوف ما عندك لحتى فوق ســاس أطــرح بنائـي
ما يخترب حتى أن من شـــافه سَوّاً يعطي ثنائــــي(١٣٦)
حيث انـا ما صـار في البنـدر وقـــع فيــه اعتنائـــي
ما أخفيت ماقــد صار لانه مايجب فيـــه اختفـــائي

ويجرد المعلم رجال الحملة من معاني « القَبْوَلَةِ » أو « القَبْيَلَةِ » ثم يقـــدم مفهومه لما ينبغي ان يتحلى به (القبيلي) من صفات في مثل هذه المواقف • قال :ــ

لونا قبيلي كان باقاتل على شِـــرْكة(١٣٧) حـــذائي
واســـفك دماء من كان جِـــلّ الفِعْل بايسفك دمائـي
وان طال عمري في مهونـــه ريت له يقصر مدائـــي

وبعد أن فرغ المعلم من سخريته المرة من القعيطي وعسكره ، عاد فكـــرر المديح لآل كثير بقول رصين ، قائلا :ــ

---

(١٣٥) لم يحدث في الماضي ان وقع لى ••••••
(١٣٦) يثني عليّ بالسواء •
(١٣٧) شراك النعل •

من بايقع مثل الكثيري في القُبُل[138] .. غاية منائـــي
بارجع الى همدان ، ودّيت امتدحهم فـــي ابتدائـــي
همدان كم من راس جَزّوه النمارة[139] جيم زائـــي
من الرويله شفت عِيْنَـةْ روسهم بَحْرِي حمـائي[140]
أخبارهـــم قدها بهندســـتان من رائح وجـــائي[141]
ذَولا مرض لَجْواف[142] والجَوْده[143] لهم من انتشائي
غالب يقول إنْ الشنافر عضـو واحـــد مـن عضـائي
والشنفري قـــد قال ماحـــد عضو للدوله سـوائـــي
يا سامعين المـــدح ان حد منـــكم قصـــده رضائـــي
يلقي كما همدان لي في جودهم ظاهــــر عنائـــــي
شافوا القعيطي يـــوم قال « الدوله أعطوهم نبـــائـي »
تجرّدوا الاحرار ، كُلاّ قال: با اقتــــل في لقائـــي

وبمثل هذه الجدية في القول تحدث المعلم عبدالحق عـــن «اهل الله» أولياء مدينة تريم ، لانه كان يعتقد ان أسرارهم وأنوارهم وبركاتهـم لها شأن ـ واى شأن ـ في الهزيمة التي لحقت بالقوات القعيطية • وقد أوردنا ماقاله المعلم في هذه القصيدة عن أولئك الصالحين في الصفحات ٧٠ـ٧٣ من هـذا الكتـــاب •

★ ★ ★

---

(١٣٨) جمع قبيلة •
(١٣٩) جمع نمـر •
(١٤٠) الحمى الذى يقصد هو قرية دمرن • وكان جماعة من الجنود الرويلة تاهوا من الحملة وأسرهم العوامر واعدموهم فى مكان يقرب من حصن مطهّر •
(١٤١) بهذا الوضع تستعمل جملة رايح وجاى في اللهجة الحضرمية بحذف همزة جائي على اعتبار ان كلمة جاى صفة مشبهة باسم الفاعل •
(١٤٢) مرض قاتل كالسل، ويقصد بهم آل كثير •
(١٤٣) الشجاعة او النصر •

وطبيعي أن يشتاق القارىء الى معرفة ما قاله المعلم في هزيمة آل كثير في الشحر .. ذلك القول الذى أخذ ضمير المعلم يوبخه عليه . والواقع انـــه امتدح يافع في عدة مناسبات لانتصارات باهرة احرزوهـا على آل كثير ، بيد أن مديحته الاخيرة لهم ، والتي ذم فيها آل كثير ، هي التى ثقلت على قلبه بعـــد واقعة الغلاغيل التى مرت بنا .

والقصة باختصار هي انه في عام ١٢٨٤هـ حاول آل كثير استعادة الشحر من القعيطي . فجهزوا حملة عسكرية يقدر عدد رجالها بحوالي ثلاثــة الاف مقاتل من الشنافر وحلفائهم الشحابلة . ولدى وصول الحملة احباط الشحـــر عسكرت حول آبار قرية دُفَيْقَة الواقعة على بعد ما يقرب من ميلين شمالي الشحر . وكان قائد الحملة الكثيرية الامير عبدالله بن محسن الكثيرى ، شقيق الســـلطان غالب ، يرافقه عدد من أمراء آل كثير وقادتهم وفى مقدمتهم البطل الامير عبود بن سالم الكثيرى . وكان في صحبة الحملة ، ممثِّلا لوالده السلطان غالب ، الامير منصور بن غالب وكان وقتها فتى حديث السن .

وعلم الجمعدار عوض بن عمر القعيطي ، بالتحرك الكثيري ، وهو حينها في الشحر ، فاستعد لملاقات المهاجمين ولعله أساء تقدير كثافة وقوة الحملة الكثيرية . وكانت خطته استدراجهم الى داخل الشحر والقضاء على موجاتهم المهاجمة واحدة واحدة فور دخولها المدينة ليلا او نهارا ظنا منه ان الكثيريين يجهلون معالم المدينة ومسالكهـا .

وفي المساء تسللت الطلائع الكثيرية وكانت من الذين يعرفون جغرافية مدينة الشحر معرفة تامة . تسلل هؤلاء تحت جنح الظلام واحدثوا فجوة فى سور الشحر من الجهة المحاذية لمسجد باهارون الواقع خارج السور . وكانت هذه البقعة خاليـــة من الحراسة . ودخلت الطلائع مدينة الشحر واحتلت الديار فى شمال المدينة ليكون خط مواصلاتهم مع قيادتهم فى دفيقة آمنا . وكان دخول الطلائع على ضوء المشاعل الزيتية التى اوقدوها على رؤوس رماحهم . واسقط فى يد القعيطـــي وخاصة بعد ان ادرك ان اعدادا من اهالي الشحر عاونوا المغيرين ودلُّوهم عـــلى

المكامن اليافعية فكانوا يباغتونها ويقضون عليها • ودارت المعارك فى اقسام من الشحر بالسلاح الابيض ستة ايام تمكن خلالها آل كثير من اسقاط الجزء الاكبر مـــن المدينة في أيديهم ، وكانت الديار المواجهـة لحصن القعيطي المعروف بحصـن ناصر او دار ناصر ، حيث كانت تتمركز القيادة العامة القعيطية وعلى رأسهـا الجمعدار عوض ، قد سقطت في أيدى آل كثير •• وبخدعة بارعة اشرنا اليهـا في صفحة ٧٧ من هذا الكتاب أستطاع القعيطي طرد آل كثير من الشـحر واسر عشرات منهم •

ولنستمع الآن الى المعلم عبدالحق وهو يقص علينا الحادثة بطريقته الخاصة••
قال المعلم من قصيدة مطولة :ــ

يوم الثلوث آخــــر رجب والأربَعْ
بعد الثمانين انضـــباط أعـــدادي
والألف والمئتين ياضَرْب(١٤٤) الفِتَنْ
من هجـــرة البدر الرســـول الهادي

وبعد ضبط تاريخ الحادثة ، تحدث المعلم عن السلطان غالب بن محســن الكثيري ووصفه بـ (المُدْبِر) أي الذي يلازمه الشؤم والنحس ، ثم وصــفه بـ (المُدَّعِي) وبالذى يخلف الوعود • قال :ــ

تحــرَّش المدبـر وعصَّب قومـــه
وقـــال باتمسي ســـعاد ســـعادى
تبعوه همـــدان الضوارى ربعـــه
وباجـــريْ لَقَّط رجـــال أجـــوادى

(١٤٤) في بعض النسخ يادرب الفتن •

كذا العوامر كم مِن اعوجْ صُرَّصَـه[145]

صُرَّبَه[146] رجال الحرب عْيْنَهْ هادي[147]

والجابري ما خالف أمــره بَــدَّر

وشدّ له للزاد كـم مِنْ غَــادي[148]

واستعرض القوم السلطان غالب فى سيئون وخامره الارتياح والتطلع الـــى النصر عندما شاهد جنده تغمر (فَدْع) بطن وادى حضرموت قال المعلم :ـ

لما فِرِحْ منهم ومن كَثْرَتهم يوم امتلأ بالقوم فَــدْع الوادي

وقال السلطان غالب فى الجموع المحتشدة امام قصره موضحا جانبا مـــن السياسة الاساسية لدولته :ـ

إنْ مدخــــل البندر فلا آعـذُرْ مِنُّه

تبعـــوا غَرَامَهْ قوم له تنقـــادي

وتحركت الحملة • وفي يوم رحيلها من سيئون قال الشيخ اميريك زربادى شاعر آل كثير ، فى الزامل مخاطبا الامير عبود بن سالم الكثيرى :ـ

بو بدر[149] يافائق على الابطـــــال

ذا حِلْهـا دِقَـــاق المعــــانق[150]

---

(١٤٥) موضة حلاقة شعر الصدغين في ذلك الوقت على شكل زوايا • وتعمل النساء بهذه الموضة في زوايا مشابهة •

(١٤٦) جماعـــة •

(١٤٧) هادى بن سيف بن سالم بن حطاب العامري احد ابطال الشنافر المعدودين وتذكر بعض الروايات انه تكفل بربع تكاليف هذه الحملة • وهادى هذا هو الذى قتل المقدم عمر بن عوض القعيطي فى واقعة التخم •

(١٤٨) بعير قوى •

(١٤٩) كنية الامير عبود بن سالم الكثيري •

(١٥٠) البنادق • والمعنقة مفرد معانق ومعناها ماسورة البندقية •

عالشحر خلّوا المعركة زِلّزال
يشهد بها مُغْرِب وشارق

وقال زربادي :ـ

دَقّوه حَبّ[١٥١] الهندي[١٥٢] المدخول[١٥٣]
ذكْرُوه صَرّفْ[١٥٤] في الكياله
يالشنفري ذا حِمْلَك المفصول
ولعاد لك مِنّه مِياله

وقال زربادي :ـ

عليك لا يالباطلي باطُوْل
باتِمّ غدرك والفساله
ما اليوم خذ قاتل وهت مقتول
وابرز اذا شي فيك آله[١٥٥]

واتجه القوم صوب الشحر ولدى وصولها هناك حطت خارج المدينة في ليلة حالكة السواد . وعلم يافع بما حدث ولم يحركوا ساكنا ، وراجعوا خطتهم الدفاعية واستراحوا اليها ، ولم يفطنوا الى ان الكثيري سوف يداهمهم فى نفس الليلة . قال المعلم عبدالحق :ـ

وصلوا الى البندر وأهله جَمْده[١٥٦]
فِرْحُوا وظنّوا انّهم رقّادي

(١٥١) حبوب الذرة او القمح .
(١٥٢) يقصد الجمعدار عوض بن عمر القعيطى لانه مولّد من أم هندية .
(١٥٣) الذي فتك به السوس .
(١٥٤) بدأ في بيعه .
(١٥٥) فيك قوة .
(١٥٦) سكوت .

حَتَّم عــوض لا آدمـــي يتـــكلم

و « المـــدّعي » حَتَّم علـــى الميرادى(١٥٧)

ونشطت طلائع الحملة للعمل واقتحمت سور الشحر باحداث فجوة فيــه •

قال المعلم :ــ

فَتَشُّــوا ودخـــلوا جالبين(١٥٨) ارواحهـم

من كان للحمـــلات منهـم عـــادي(١٥٩)

من السليط(١٦٠) القَوّا فتك(١٦١) عَلَّقُوهـــا

باخشام(١٦٢) كم من مُعْتلـــي نَوّادي(١٦٣)

مثل النهار الليل وَسْـــط البنـــــدر

بالضـــوء خَلُّوا حربهـــم وقّـــادى

ثم يذكر المعلم هجوم يافع المضاد قائلا :ــ

الخُلْص(١٦٤) لي فَتَشُّـــوا ودَخْلوا تِمِنّــــه

زِهْدُوا(١٦٥) لِصَنّيه(١٦٦) يافع الزّهّـــادى

صَنُوه خلّوهـــم غَنَـمْ مـزروبــه(١٦٧)

وجلّدوهـــــم بالّلمَّش(١٦٨) جِـــلّادي

(١٥٧) الورود اي دخول المدينة باقتحامها •

(١٥٨) عارضينها للبيع في سوق المنايا •

(١٥٩) متعود •

(١٦٠) زيت السمسم •

(١٦١) قطع من القماش وعلقوها اى اضرموا النار فيها •

(١٦٢) رؤس •

(١٦٣) رماح •

(١٦٤) الفجوة او الثغرة •

(١٦٥) عرفوا أو تمكنوا من

(١٦٦) لاقفاله أي لمنع خروج المهاجمين منه •

(١٦٧) كالاغنام المحصورة في حظارها •

(١٦٨) كلمة هندية ومعناها السيوف ومفردها لمشة أو نمشة •

تكوْ(١٦٩) على كم من قَدَيْمي حِجْناء(١٧٠)

جادوا وجملتهم ضـوا للحـادي(١٧١)

ويصف المعلم جرأة آل كثير وتماسكهم في هجومهم الذى لم يكـن يعهده اليافعيون في حروبهم المتعددة مع مختلف قبائل الوادى ، فقال هذين البيتين اللذين أصبحا من المحفوظات الشعبية العامة التى يتمثل بها الحضارمة :ـ

حَمْلاتُهم عالخصـم مَيْلـه واحـدة

ما القَـوْا شبيه الحـرب لي نعتـادي

نعتاد هت بندق وخـذ لك بنـدق

ويدخـل السـاعي وجـا السـدّادي

ثم يتذكر « زوامل » زربادى ، وخاصة جملته « صَرَّف في الكياله » اى سرح عددا كبيرا من جنوده،وكان يقصد القعيطي الذى أشار اليه زربادي فـي زامله بـ « الهندي » حيث ان الجمعدار عوض كان من مواليد حيدر أباد ومن ام هندية • قال المعلم عبدالحق :ـ

جَـوْدهِ معا يافع معظّم شأنهـا

ليتـه حَضَرْها خُو عوض زربـادي

قال العمل عند القعيطـي صَـرَّف

ريته حضـر كيله نهار البـادي

في سوقها من مات كَنَّـه عَرَّس(١٧٢)

ماهي مَحْوله(١٧٣) عا كَزْم وأرَادي(١٧٤)

---

(١٦٩) اعتمدوا •

(١٧٠) الخناجر المقوسة •

(١٧١) الالحاد او القبور •

(١٧٢) تزوج •

(١٧٣) اقتناص أو إستجداء الفلوس أو الطعام

(١٧٤) الكزم معناها فتات الخبز والارادى جمع اردى وهو عملة نحاسية قديمة كانت تعرف باسم الردي لرداءة معدنها وتعادل فلسا ونصفا تقريبا •

ويشير المعلم الى قتلى وأسرى آل كثير ويقول موجهـــا الكــلام الــى زربادى :ـ

القتل في همــــدان بالـغ وصــفُه
والأســـر فيهم ما كفـــاه مَدَادي

وبعدها يدير القول على قائد الحملة الكثيرية الامير عبدالله بن محســـن الكثيرى الذى لم يستطع اسعاف رجاله الذين كانوا في الشحر بأي مدد • قـــال المعلم :

فاشت ريـَـا(١٧٥) السلطان هاب المدخــل
يســمع مدافع تشبــه الرعّـــــادى
حـــاله زريّـــه كان فيهـــا الدولــــه
ما تنتســـي لا آخـــر الأحفـــادى
وهكذا من راح يتبـــع شَـــفّه(١٧٦)
ترديْـــــه اشفوفَـــه مع الاحقـــادى

اما عن رد فعل الهزيمة فى وادى حضـرموت ، فيذكر المعلم ان اصـوات النائحات الكثيريات قد كانت تسمع فى السليل جميعه من قارة آل عبد العزيــز المتاخمة لوادى جعيمة الى جهة الغرفه • قال :

شفت المناعي(١٧٧) من جعيمه(١٧٨) تنعــى
الــى بــلاد الشيخ باعبــــادى(١٧٩)

واضافة الى المديح الذي قاله المعلم في القعيطي ، وقد اوردنا بصفحة ٧٨ من

---

(١٧٥) تورمت رئة السلطان أي داخله الخوف والفزع •
(١٧٦)هــواه •
(١٧٧) النائحات •
(١٧٨) وادى جعيمه الواقع شمال مدينة شبام •
(١٧٩) مدينة الغرفة يقال لها مدينة الشيخ باعباد • وقد ذكرنا بتوسـع كيف نشأت هذه المدينة في كتابنا (في سبيل الحكم) •

هذا الكتاب ، قال عن السلطان غالب ، وهنا يوجه الكلام الى الامير محمد بن عمر القعيطي المقيم بالعقّاد غربي مدينة شبام :-

يا بن عمر لبيات لي قد سْبقتْ
حذّرت فيها لي ضَرْبْ لوْعَادي[180]
كْسر من البندر وناقد قلتْ له
في أبيات حرف الصاد خالفْ صادي

وقد تحدثنا بما فيه الكفاية عن البيت الثاني ، وعن قصيدته الصادية التي ذكرها في ذلك البيت بالصفحة ٣٠ - ٣٢ من هذا الكتاب .

وكان المعلم قد بعث بهذه القصيدة الدالية الرائعة الى المنصب الحبيب بن سالم سقاف بن الشيخ بكر بن سالم مولى عينات .. وقد اوردنا ما قاله المعلم مدحا في قصيدته في هذا السيد الجليل بصفحتي ٦٩-٧٠ من هذا الكتاب .

تلك هي بعض ملامح الواقع السياسى الذى عاشه المعلم سعيد عبدالحق .. واذا كنا قد سلطنا الاضواء على الحالة السياسية التى كانت سائدة آنذاك فى حضرموت الداخل اكثر مما سلطناها على احداث الساحل الحضرمى ، فما ذلك الا لان الحركات السياسية التي تمخضت عنها الاحداث في الساحل لم تكن الا تسلسلا منطقيا لقيام الدولة الكثيرية الثالثة تحت زعامة سلطانها الطموح غالب بن محسن الكثيرى .

ان سلطنة السلطان غالب هى التى قوضت دعائم دولة آل بريك فى الشحر لان آل كثير كانوا يرون ، وكان رأيهم وجيها اذا نظرنا الى الامور من ناحية مصالحهم ، ان من الاهمية بمكان ، لسلطنتهم الصاعدة ، ان يكون لها منفذ بحري ، كما كان الحال في دولتهم الاولى ، والا ظلوا على الدوام ، وذلك ما هو حاصل الى يومنا هذا ، تحت رحمة حكام الساحل اليافعيين .

---

(١٨٠) يقصد السلطان غالب بن محسن الكثيرى الذى اخلف الوعد الذى قطعه على نفسه وعلى جيشه باحتلال الشحر .

ولقد انتزع آل كثير لسلطنتهم ثغراً بحرياً ملائماً وهو الشحر ، ولكنهم في زحمة الاحداث التاريخية التى مررنا بها ، وتحت وطأتها ، أضاعوه ودفعوا بيافع الى التكتل ضدهم •

ففي خلال المدة القصيرة التى حكموا ابانها الشحر دفعوا بأمير المكلا النقيب صلاح بن محمد الكسادي الى احضان أبناء الحاج عمر بن عوض القعيطي اليافعي ، وكانت النتيجة ، التى لم يحسب الكثيريون لها اى حساب ، ان انتزع القعيطى منهم أراضي وموانيء الدولة البريكية ، ثم عاد والتهم الدولة الكسادية سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٦م) بتأييد من الحماية البريطانية ، وبعدها عاد القعيطى ، بمساندة آل تميم فقلص دولة السلطان غالب الكثيرية عام ١٢٩٤ هـ بمعاهدة صلح المسندة المشهورة ، وفى النهاية سلط القعيطي الضغوط على ما بقى من سلطنة غالب ودفع بها طوعـــا او كرها الى احضان الحماية البريطانية عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨م) •

* * *

الفصل الثالث

الحالة الاجتماعية على عهد المعلم عبد الحق

الصورة التى كان عليها المجتمع الحضرمى ـ على عهد المعلم عبدالحق ـ هي انه مجتمع مجزءأ ـ كما هى حالته اليوم ـ الى طبقات كل واحدة منها تحاول جهدها استغلال الاخرى والاستعلاء عليها ٠

والناس فى ذلك المجتمع ، كما هى حالتهم اليوم ، مقسمون الى سادة ومشائخ وقبائل وحضر ، كل قطاع منهم يتحرك افقيا فى سلم اجتماعي بدائي وان اتفقوا في بعض مظاهر الحياة العامة وسبل كسب العيش ٠

فالسادة، ويعرفون بالعلويين نسبة الى جدهم السيد علوى بن عبيدالله بن السيد الامام احمد بن عيسى المهاجر رضي الله عنهم ، يعتبرون انفسهم أسمى الطبقات بحكم اتصال نسبهم الى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وبسبب ولاجل ذلك النسب ، وجدت الطبقات الاخرى نفسها مطالبة باعزازهم وتقديسهم ٠

بيد ان العلويين ظلوا ، على الدوام ، يعززون تمايزهم الطبقى بروافد قوية من الثقافة الدينية والنفوذ السياسى والمالى والاصلاح بين الناس واحتلال المراكز الفكرية فى بث الدعوة الدينية وانشاء المساجد والمدارس والمعاهد العلمية ، وبالشجاعة والكرم واصلاح ذات البين ٠

ومع ان سلفهم الصالح كانوا قد شددوا النكير ، قولا وعملا ، على مزاولة أحفادهم النشاطين السياسي والعسكري(١) ، وابدوا في عديد من المناسبات ، تأففهم من الدوران فى فلك الحكام والسعى خلف بهرج الحكم ، الا ان بعض العلويين ، توكيدا لتمايزهم الطبقى او لدوافع ذاتية خاصة ، خاضوا غمار الاعمال السياسية وحالفوا الحكام وخدموهم وكانت لهم ادوار بالغة الخطورة فى الاعمال الادارية والشؤون السياسية ٠ والى جانب ذلك توفر العلويون على طلب العلم وبثه،

(١) مبدأ الفقيه المقدم رضي الله عنه ٠

فألفوا الكتب والرسائل الدينية والادبية الى جانب مؤلفاتهم عن سير أجدادهم وما كان لأولئك الاجداد من مساهمة قيمة وفعالة في السلوك المحمدى الرفيع الشأن وفي شتى اشكال الحياة العامة الصالحة •

وعلى الرغم مما قوبل به الوضع العلوى الطبقي بحضرموت من عداء مصدره الحسد من جهة واخطاء بعض العلويين من جهة اخرى ، فالواقع ان العلويين كانوا ولا يزالون طبقة حية فى المجتمع الحضرمي تدرك مقامها فيه وتدرك ايضا ما يترتب على الحفاظ على ذلك المقام السامى المرموق من مسؤوليات اجتماعية • لذلك نجد ، في المجتمع الحضرمى ، العلويين اكثر تصديا لاطفاء نار الفتن بين القبائل ، وتحمـــلا للمشاق فى توطيد دعائم السلم بين الحكام ، واحتلالا للصدارة فى العبـــادات والمعاملات الحسنة ، وسموا فى الاخلاق • وتبحرا فى علوم الشريعة والحقيقة ، واسهاما فى مختلف الفنون الانسانية •

ولا يقل المشائخ مكانة فى المجتمع عن العلويين فى مجالات الثقافة والفـكر والصلاح والاصلاح •

وهؤلاء المشائخ أما قدماء كآل أبي فضل وآل الخطيب وآل العمودى وآل باعباد او مُحْدَثُون ، نسبيا ، فى حضرموت كآل أبي وزير •

بيد ان النفوذ العلوى ، الذى قدم الى حضرموت مع مقدم السيد احمد بن عيسى المهاجر فـــى الثلاثينيات من القرن الرابع الهجري ، نَحَّى المشائخ عن الصدارة الاجتماعية، وكان لنسب العلويين النبوي دخل في سيادتهم على المشائخ، في حضرموت ، وقنع المشائخ، على اى حال ، بالمرتبة الثانية فى السلم الاجتماعى الطبقى بحضرموت • ومع ذلك ظلت علاقة المشائخ بالعلويين علاقة تقدير وتقريظ متبادلين ، وعلاقة تعايش لاتشوبه شائبة التنافس على التسامي فى المجتمع •

★ ★ ★

والمعلم عبدالحق من طبقة المشائخ ، كما قدمنا ، ولذلك فاننا لانستغرب قوله وهو يخاطب منصب عينات السيد سالم بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن ســـالم العلوى • قال :

سلام ياذُخْري وياقَخْري ويـــا طلبي في الدنيا وطب أجســادى
سلام مرسل من تراب اقدامــك مضاعفا ما يحتصي بعــــــدادى
جاء الهنا زال العنا نلنا المنـــى من له عقيدة نال كل مــــرادى

وكان المعلم عبدالحق يدرك ما كان يبذله العاويون من جهد فى اطفاء نيران الفتن بين القبائل وفى السعي بالاصلاح بين الحكام • لذلك نراه فى مناسبة من جملة مناسبات ، يحث منصب عينات على التدخل في رأب الصدع بين قبيلـة آل البطاطي (وكان يسندهم القعيطى) وبين قبيلة آل بن محفوظ (وكان يسندهـم الكثيري) في الفتنة التى حصلت بين القبيلتين في قرية القِزة بمنطقة الهجرين باسفل وادى دوعن • يقول المعلم :ـ

والشيـــخ بو بكر الكبـير المَرْفَع(٢)
القطب لي ســرّه سرى فى اشياعــه
بحــر البحـور اللــه بسرّه ينفـع
حبيب يافــع قومه الهزّاعـــبه(٣)
لف الجماعـــه ياحبيب واجمــع
واجلس حماك الله معاهــم ســاعه
وعِظهم انّ الوعظ منّــــك ينفــع
ولو خبرهم من حضرهـم ذاعـــه

وقصيدة المعلم هذه تقع فى الطليعة من ملاحمه البديعة ، وفيها يقول ،والشيء بالشيء يذكر ، مادحا مقادمة آل البطاطي :ـ

شفّت البطاطي برق غيثــه يلمــع
في نَومَجّهــم ليس يمهل ســاعة

---

(٢) الطبل الكبير الذى يدق في موكبه •
(٣) الهزاع الذى يحدث ثلمة في صف الاعداء المقاتلين •

أسود غدق منشاه ساعة طلع
صادق ، ورعده كل شامخ زاعه
كم من مهجر للغوارب(٤) رزع(٥)
في القبوله قسمه معه مابـاعه
وصلتني اخباره وقدنا اتسمع
من جودة انمار البلا وسباعه

ثم يتحدث عن ابن محفوظ وترابطه مع الكثيرى ، بقوله :ـ

جاب ابن محفوظ الكثيري ، أصمع
الذئب في اكله قوي ذراعه
من راس واحد والنبي لايشبع
اللـه فاهه(٦) جار في وساعه
كتبوا وصاياهم بأحسن مجمع
كلا حسب روحه قريب انزاعه
وطلقوا مرة وكلا سمع
حرمته(٧) بألفاظه وعلق(٨) ساعه
وكل من طلق معاد استرجع
الا حصول الجوده استرجاعه

ويصف هجوم الكثيرى وابن محفوظ على آل البطاطي بالقزه ، قائلا :ـ

---

(٤) امواج السيل .
(٥) دافع .
(٦) فمه .
(٧) زوجته .
(٨) طلاق خلعي .

حَطِّ الكثيرى ثم جاب المدفع

استسهل الحَيْد[٩] العَسِرْ مِطّلاعه

هو وابن محفوظ الكلام اتقطَّع

عِرْق البطاطي قصدهم باقلاعه

أما عن المقاومة البطاطية فيقول معددا قادتها :ـ

بن طالب اللي با[١٠] حياته تجزع

على معزّه ما انقضت بسماعه

محمد الصابر على امرٍ يفجع

لو كان غيره بانشوف افجاعه

ناصر علي واخوته كُلّا رفَّع[١١]

مثل ابن طالب فى البلا ونزاعه

أيضا وبن يحيى فَسَحْ واتخلَّع

من الحياة ايضا وحِمْله زاعه[١٢]

ويعود فيذكر القعيطي ودوره في هذه الواقعة مشيرا الى قائد القوة القعيطية المقدم عمر بن عوض القعيطي (وهو الذي قتلة آل كثير في واقعة التجم فيما بعد):ـ

شفت القعيطي في الصهاره شَرَّع[١٣]

وأيش بايقول الثدي بعد ارضاعه

---

(٩) الجبل ذو الجوانب المقصوصة الحادة ٠

(١٠) با بمعنى أراد ٠

(١١) تعالوا في المكرمات ٠

(١٢) زاعه هنا بمعنى حمله ٠

(١٣) لم ينس حق الصهارة ٠

عمر عـوض مـن قبلهـــم يتهــزع

و «المدعي» رهج(١٤) الجماعة زاعة(١٥)

من المحط اقفى وصـار المرجــع

مره الى الهجـرين لبيض باعــه(١٦)

وفي الثلاثة الاشطر الاخيرة من ابياته هذه يشير المعلم مرة اخرى بكلمة « المدعي » الى السلطان غالب بن محسن الكثيري • و « المحط » هو المنطقـة الواقعة خارج الجزء الشمالي من سور مدينة الشحر • وقـد اطلق المعلم كلمـة « المحط » على الشحر من باب تسمية الكل بالبعض ، مشيرا بذلك الى فـرار الكثيري من الشحر ثم عزمه على استعادة ماء وجهه بشنه هذا الهجوم على منطقة الهجرين مستعينا ، هذه المرة بآل بن محفوظ حلان « الوادى الاغبر » بمنطقة الهجرين • بيد ان الكثيري لم تفلح خطته هذه ، فقال المعلم عن تورط ابن محفوظ في هذه المحاولة الكثيرية الفاشلة التي مثل فيها مخلب القط :ـ

نشبه(١٧) لبن محفوظ وقعت فاسمع

لابد لهـــم ما ياخــذون اتباعــه

ندم فياليت الندامـــه تنفـــع

ما يعلم ان السبع(١٨) مد أذراعــه

ويصف المعلم معركة دامية ، وقعت تحت حصن آل البطاطي ، بهذه الابيات الثلاثة الرائعـــة ، والتي أشترك فيها نساء آل البطاطي بحث المدافعين عـلى الاستماتة :ـ

(١٤) الغبار الكثيف ويقصد به كثافة القوة •

(١٥) زاع هنا بمعنى حاول فهم داخليته •

(١٦) الباع بمعنى الجبل وهو الجبل الذى تقع في أعلاه مدينه الهجرين التاريخية ولون ضارب الى البياض •

(١٧) مأزق •

(١٨) السّبُع •

واما البطاطي قـد بطا ما اتوقّـع[١٩]

والحُصّن قدهـم قابضين ارباعه[٢٠]

والمدفـع الفاجـع عليهم يِنْصَع[٢١]

والغيْد[٢٢] فوق الحصن مثلّاقباعـه[٢٣]

يحجّرْن[٢٤] ساعة ضَرّبه أرْبعٌ أرْبـعْ

واهـــل الثنا كُلّا يزيد شجاعه

وبعد ان فتر الهجوم الكثيري أمام مقاومة آل البطاطي ، قال المعلم :ـ

جادت سحابه يافع أهــل المَزّع[٢٥]

من كل طارِف[٢٦] واجب اترفاعـه

من سـيل يافـع كل طارف رفّـع

فتكوا[٢٧] من العِرْقه[٢٨] عرب قطّاعه

ويخاطب المعلم عبدالحق منصب عينات ، بانكسارة المتحرق للذهاب معه الى ساحة المعركة للاجتماع بالابطال فيها والاستماع الى احاديثهم ، ويقول :ـ

ياليـت أذني أذنـك اللي تسـمع

بأسمع كـلام اللي يَلَـذّ اسماعـه

---

(١٩) لم يخنع .

(٢٠ محيطين بجوانب الحصن الاربعة .

(٢١) يحكم تسديد القذائف .

(٢٢) النساء الفاتنات .

(٢٣) جمع قبع وهي أشكال تزخرف بها روس الحصون وهي من الطين .

(٢٤) يزغردن .

(٢٥) المقـاومون .

(٢٦) من حل او سار في طريق السبيل .

(٢٧) انقضوا مهاجمين .

(٢٨) الطريق الجبلية .

وليت عيني عينك اللي تمّرع[٢٩]
من بحر من ذاقه تصح اوجاعه
وليت في سعفك عزمٌ ثم أرجع
بأنظر بعيني من ربح في أبياعه
قصد المعلم بالحبيب يستنفع
الغوث نور الدين زاد اشعاعه

وينوه المعلم بجنود الحملة الكثيرية الذين ، في هذه المعركة ، استهانوا بامكانيات آل البطاطي، ويذكر مقتل الامير عمرو بن مرعي بن عانوز الكثيري في المعركة ، وكان قائدا للحملة الكثيرية . وقد كنى المعلم هذا الامير : «بوجهل» ، لتماثل اسمه بأسم أبي الحكم عمرو بن هشام المخزومي أبي جهل الاصيل ، ويقول منددا به وبزمرته :-

عيال عفّر[٣٠] الوانهم ما تنفع
« بوجهل »مستأمن بكثر اشياعه
استحقروهم والخصيم[٣١] استطمع
العطْب[٣٢] لستحقار[٣٣] واستطماعه
قتلوه ذاك البطْل[٣٤] لي ما يفزع
لكن استحقاره اللي باعه

(٢٩) يشرب الماء بكفه .
(٣٠) وجوههم قد علاها الغبار .
(٣١) الخصم او العدو .
(٣٢) الضر .
(٣٣) الاستحقار .
(٣٤) بعض الجهات الحضرمية تنطق « البطل » بفتح الباء وسكون الطاء وقد تكررت الكلمة في اشعار المعلم بهذه الصورة .

ولا يغفل المعلم ذكر ما كان للسادة العلويين من مكانة في قلوب يافع ، فيقول موجها حديثه الى منصب عينات :

في محسنين الظن فيكم بابدع
فيهم وباعطي خصمهم قلفاعه[٣٥]
ذولا الجماعه نجمهم قد طلع
ياسيدي ظاهر عليك اطلاعه
وظنهم كلا عليه استطلع
كم من مكاشف صادق استطلاعه

الى ان قال :

والشيخ بوبكر الكبير المرفع
الخ الخ ....

★ ★ ★

والقبائل هم القطاع القوى فى المجتمع الحضرمى ... ان قوتهم لم تكن صادرة عن علم او مال ، ولكنها كانت ، كما هو حالها اليوم ، مستمدة من حملهم السلاح ، واستعدادهم للاستماتة فى سبيل توطيد علاقاتهم الاجتماعية وما لتلك العلاقات من تأثير فى توجيه الاحداث السياسية فى البلاد .

وعلى الرغم من التكريم التقليدى الذى يظهره القبائل للعلويين والمشايخ ، واعتبار انفسهم فى المرتبة الثانية بعد العلويين فى السلم الاجتماعى الحضرمى ، فان « شرع القبولة » او بمعنى آخر فقدان ضوابط الامن فى البلاد ربما دفعت بعضهم الى الحاق الاذى ، ظلما وعدوانا ، بالعلوى او بالشيخ ، مهما كانت مكانته في مجتمعه ، اذا اقتضت ذلك مصالحهم او قل اهواؤهم . وقد مررنا فى صفحات سابقة من هذا الكتاب بأمثلة من مثل ذلك الاذى .

---

(٣٥) القشرة الطينية على الارض تتشقق وتبعثر عن مكانها اذا وطئها السائر عليها، أي انه سوف يلقي باعدائهم جانبا .

والقبولة بمعناها الاخلاقي النظرى ، عبارة عن مجموعة من المزايا الرفيعة الشأن لاتختلف كثيرا عن معانى « الفروسية » فى القرون الوسطى • وكان المعلم عبدالحق ، رغم معرفته بنواحى الضعف البشرى فى كافة القبائل ، ذاتيا وموضوعيا يريد دوما ان تكون القبولة على ذلك المنوال ، اى ان يربأ القبيلى بنفسه عن الحانثين بالعهود ، وان يجتنب الظلم ، وان يعمل على وحدة الرأى والعمل فى قبيلته ، وان يسارع الى استعمال سلاحه لاحقاق الحق ، وان لايتوانى عن تلبية نداء الواجب دفاعا عن كينونة القبيلة وشرفها بالمبادرة الى القاء نفسه فى اتون الحرب اذا اضطرم اوارها ، وان يلزم نفسه وغيره بتطبيق هذه المتطلبات بأمانة وصدق ـ وكل ذلك لكى يكسب حسن الاحدوثة ، فى محيطه العشائرى ، حيا وميتا • يقول المعلم :ـ

بالقبولة لاهان قَدْرِشْ(٣٦) ، ذا وَرَى نجمش غـــرب ؟!
شاغلي(٣٧) من شاغلش ، ماحد مِنّْش لي أقرب وحَب(٣٨)
لا تتبعـــين الوغـــد كـــونى مـــن مُسِـــيْرُه في جَنَبْ
لأنّْش عزيزه كلّ من عزّش وزرّع(٣٩) واصـطلب(٤٠)
والشور لاقـد كـان واحـد ليس يُطّلَـقْ مـا اعتصب
لو كان عشره يغلبون اربعمائة جِـــلّ الخَنَـــبْ(٤١)
والشـــور لاماكان واحـــد عِدّ بالساس اختـــرب
واستَقْهم* الخصـم الذى يفـرح اذا السـوم انقطب

(٣٦) قدرك، وابدال كاف المخاطب المؤنث بالشين لهجة حضرمية ضاربة في القدم وهي غير كشكشة أسد التى تبدل الكاف شينا ولا سيما فى الوقف كقولهـــم عليش مكان عليك ، وشنشنة اليمن التي تبدل الكاف شينا مطلقا كقولهم لبيش اللهم لبيش (ص ١٢١ فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي) •
(٣٧) شاغلي : ألمي •
(٣٨) أي انك أقرب وأحب الي من أي شيء آخر •
(٣٩) قاوم •
(٤٠) اشتد •
(٤١) المآزق •
* أستقهم أي زاد فى تحدية وإستفزازه لك

ومن بيده جيش عَتَّعت[٤٢] بالمخارِم والخشب[٤٣]
مايهتدم سومه ولو تصطاح لــه قــوم الغضب
وايشْ يهدِمْ الحُجْبان[٤٤] واصبار الشوامخ والهَبّ[٤٥]
القبـوله يـا ذاك لا تكثـر عليهـا في العتـب
تسـمّع ان كانـك قبيـلي فكّهـا من ذي النَّشَبْ
واخـلع ثياب الغِش مِنْها وارضها قبـل الغضـب
حتى تقع مذكور في وادى العجـل بـين العـرب
حيث انهـا عوجاء وعوّجها بزينـات القصـب[٤٦]
إمّا وشرّفها اذا قـد نودهـا[٤٧] سنس وهـب
ولّا كمـا الحـرّاث خل السانية[٤٨] فـوق القَتَبْ
وخلها تمشي لمـن هو بايلبّسهـا حَبَـب[٤٩]
تسـرع معه سـاعه توطيها الغـوارب فى الغبب
تِسْتَرّ لاشافته يضحك واظهر اضـراس الحَلَب[٥٠]
في حومـة المِحْـراب[٥١] والطالب يشوف اهل الطلب

ولقد اجمل عدد من الشعراء الحضرميين المتأخرين معاني أبيات المعلم في

---

(٤٢) عمل بقوة ٠
(٤٣) أدوات لهدم السدود ٠
(٤٤) الجبال ٠
(٤٥) رؤوس الجبال ٠
(٤٦) القصبة حديد الخناجر ٠
(٤٧) هبوبها ٠
(٤٨) آلة السناوة ٠
(٤٩) مجوهرات ، وفي رواية : دهب ٠
(٥٠) اللبن ٠
(٥١) الحـرب ٠

« زوامل » قصيرة ، ولعل احسن تلك المُجُمَّلات في نظرنا ماقاله الشاعر الشعبي عبدالقادر بن عمر الشعيره التميمي حيث قال لافض فوه :ـ

القبوله حي القبيلي لي تناغيه النجـــــوم
حلفه نقي صلحه جـلي شرعه وفي صادق عـزوم
حامي حمى ربعاه ياعاراه من محي الرسوم
مقدام راس الهام لو قبله القيامـــه باتقوم

وقد انبثقت هذه المفاهيم الشائعة عن القبوله مما كان للقبائل من علاقـات عريقة لها ضوابطها الوثيقة التى تنظم شؤونهم وتقيم الحدود فيما بينهم حول مايجب عمله وما يجب اجتنابه •

والواقع أن الخلافات التي تحدث ، من حين لآخر ، بين القبائل ، وطبيعي ان تحدث مثل تلك الخلافات في كل مجتمع انساني ، فان هذه الخلافات ، رغم ان بعضها دموي وقاتل ، لا تؤثر على الولاء المتين الذي يكنه رجال القبائل لبعضهـــم البعض ، لان هذا الولاء عنوان ترابط بينهم تموت القبائل بموته وتبقى حية بوجوده وتعزيز عـــراه •

والعلويون كقبيلة سلاحها فى اساسه روحي وفكرى ، يصدرون عن ولاء مماثل ، بل واكثر متانة ، فى معاملتهم لبعضهم البعض وفى الالتفاف حول بعضهم البعض وفى الاشادة بعضهم البعض • والقبيلة العلوية ، بمفردها ، اكثر القبائل الحضرمية عددا ، الا انها لاتدخل في تحالف مع قبائل اخرى ، كما هو حال بقية القبائل الاخرى المتجانسة اجتماعيا ونعني بهم حملة السلاح •

★ ★ ★

كان المعلم عبد الحق عندما يرثو او يمدح احد رجال القبائل المسلحة فأنه يدير معاني مرثيته أو مديحته حول مفهوم القبائل لمدلول القبوله • ولنتخذ مثلا من مرثية المعلم (والرثاء في معظم عناصره مدح في قالبه السلبي) في المقدم صالح بن سالم بن يماني ، أحد كبار رجال القبيلة التميمية الظنية ، المتوفي عام ١٢٨٣هـ ولقد كان هذا المقدم شاعرا شعبيا مشهورا ، وكان شخصا جم التدين والتوفر على

العبادة ، وكان له كما ذكر لي احد العلويين ،الم حسن بالفقه الاسلامي • بيد ان المعلم لم يذكره في مرثيته الا بالاوصاف الخلقية العليا التى ينبغي ان يكون عليها القبيلي المثالي او القريب منه • قال المعلم في مرثيته التى قد ذكرنا براعة استهلالها بصفحتي ٦٧-٦٨ من هذا الكتاب :ـ

صالح زميم الشور(٥٢) تشهره الدلّل فـــي أسواقهـــا
ذاك الذى عنده فكاك المشـــكلة واطلاقهـــــا
ذاك الـذي تعجبـك سوقاتـــه اذا قـــد ســـاقها(٥٣)
ياساســـها ياراســـها ياطبهـــا لاوهاقهـــا(٥٤)
عليك باتحـــزن بني ظَنّـــه لـــكثر افواقهـــا(٥٥)

ثم يقول المعلم عن المتوفي هذا الوصف الرائع الذى لم نقف على مثله فيما عرفناه من الشعر الشعبي الحضرمي :ـ

والمَحْضَرَةْ من يوم يِقْبَل يِحْتَرِكْن آوراقْهـــا

أي ان المرثوء ألف مقعد الصدارة فى مجالس الحكم وألفته تلك المجالس لما غرف عنه من حصافة الرأى وسداد القول ونصوع العـــدل حتى اصبح مقعد الحكم (المحضره) يشتاق اليه • فاذا احس ذلك المقعد بمقدمه حرك ذاتياً ابوابـه ونوافذه ايذانا واستبشارا بوصوله • ولعل المرثوء كان يعتاد التحدث في مقعد الحكم باشارات المتحدث الطلق ، اذ كان يلوح بيديه هنا وهناك ، كما هى عادة مقادمة القبائل وابطالها عندما يتحدثون فى المحافل ، وكانت لتلك العادة الخطابية آثارها فى الحاضرين ونتائجها فى شد انتباههم الى كلامه • قال المعلم الذى لايريد ان يغفل احد جوانب الصورة الرئيسية التى يرسمها لنا عن المرثوء :ـ

بايتقنون أيديـــك في الحُجْـرَة معـــا نِذّاقهـــا(٥٦)

(٥٢) عماد الرأي السديد •
(٥٣) مخططاته بعد أن يطبقها •
(٥٤) امراضها •
(٥٥) خسائرها •
(٥٦) النذاق التحريك لليد ذات اليمين والشمال •

ثم يمضي قائلا :ـ

يهوين ياهيج القبيلة كم تَفُـك احزاقهـا[٥٧]
انتــه تداوى بالسلوك الطيّبه اشعاقهـا[٥٨]
شـواغل اهـل الخُصْن لوهى عالجبـل ماطاقها
ياحـزن داعي كل تميمي للفتن واذلاقهـا[٥٩]
واهل البوادى والقضايا واهلها وارهاقهـا[٦٠]

ويعرب المعلم عن خشيته من انفصام عرى القبيلة التميمية بعد وفاة المقدم صالح الذى يعتبر (زمام) رباط القبيلة الوثيق ، ويحث آل تميم على الاعتصام بالوحدة وخاصة ان عددا من مقادمة آل تميم قد ماتوا او قتلوا فى نفس العام الذى توفي فيه المقدم صالح • قال المعلم :ـ

ما عادنا الاّ من سحابه لاح لـي بُرّاقهـا
خايف غواربها[٦١] من اول ما يقع عُوّاقهـا[٦٢]
لَقّوا ضُمُر[٦٣] بعـد الضُمُر • لي ضامنا نِذّاقهـا
جبال فينا ذى السنة طاحت علينـا اذلاقهـا[٦٤]
وداءوا انفسـكم بأنفسـكم بترك احماقهـا[٦٥]
شوفوا الهوى والبطل يسحق : ويل من اسحاقها !

---

(٥٧) الربط الجائر او المشكلة المستعصية •
(٥٨) ماحدث من تمزيق بهـا •
(٥٩) الرماح •
(٦٠) الارهاق :ـ الظلم الذى يجنبهم اياه المرثوء •
(٦١) امواج السيل المتلاطم يقال لها غوارب •
(٦٢) ما تحدثه الامواج من اضرار •
(٦٣) جمع ضمير، وهو السد المبني من الحجر • اما السوم ويجمع على اسـوام فهو السد المبني من الطين والخشب •
(٦٤) قممهـا •
(٦٥) حماقات والتفاهات التي تؤدي الى الفرقة •

لا اصطمّت الاشوار(٦٦) ذَهَنُوا من ضـرر مِزَّاقها
كم ذا مراثي كم وكـم حتى كُثُرّ حِرَّاقهـا
مـن ذا البـلاء عين المعلّم قـد حَرِقْن آماقهـا(٦٧)

ويلوذ بآيات القرآن الكريم يستوحي منها الصبر والايمان ويقول :ـ

لكن آيات انزلت في الصـبر نتلو اوراقهـا
شُـو فِيْ مواضعهـا فوايد طِب من خلاّقهـا

ولم يفت المعلم ، كما هي عادته في تاريخ جلائل الاحداث ، ان يضبط زمن الحادثة • قال رحمه الله :ـ

هـذا ، ويوم السبت جات أخبار طارِشْ(٦٨) ساقها
ثمان مرت من ربيع اول وقـع حِقّاقهـا
سنة ثمانين أكملت ثم الثلاث اغلاقهـا(٦٩)
والالف والمأتين ناخت للرحيل انياقهـا(٧٠)

وهكذا لم نجد ذكرا لما كان عليه المقدم صالح من وفرة علم وتدين • لكن المعلم ـ الذى يضع كل شيء في موضعه ، حسب مقتضيات العرف الاجتماعـى في وسطه ، وصف الراحل القبيلي بما يحب القبيلي العادى ان يسمعهعنه • ولو أن المرثوء علوي او شيخ لقال فيه ما قاله في رثاء السيد علي بن احمد بن شهاب • قال عن الشهابي من مرثاة طويلة :ـ

من قائمين الليـل يركع دائما مابـدا كَسِلْ

---

(٦٦) اصطم الشور أى اجمع عليه •
(٦٧) مآقي والاماق لغة فيه •
(٦٨) القادم من مكان بعيد •
(٦٩) كمالها •
(٧٠) جمع ناقة •

ما يحتـــرك شوفه شبيه العـــــود ساعة يعتـــدل
أيضا ولا فيه التمايل ، غـــير في خشعه وذل
وفي صلاته قط ما يجهـــر بصوته ، هو بحل(٧١)
الا ان يتمم حسب ما للجهر في الركعـــات حِل

ويرى المعلم ان العلماء والصلحاء من العلويين والمشائخ وغيرهم تجسيد خالد للاخلاق المحمدية الشريفة • قال رضي الله عنه :ـ

والصـــــدق ما يخفيه عند الفصل ساعة ينفصل
وعادْ خصله فيه زينه ؟ مادخل خاطره غـــل
يعفو عن الزله ويسمح من على الزله دِهِـــلْ(٧٢)
من كاظمين الغيظ والعافين عمن هـــو مُضِـــل
وفي التسابيح أوهب أشياء ، والله ان قلبي ذهـــل

الى قوله :

لكن سرّه بايقع باقي : وســـرّه محتمِـــل
في جمله أولاده فلا عذر ان حد مثله يشـــل
مثل الذى شله : رجال الرحل كُلاًّ قـــد زمل(٧٣)
مات ابن احمد ذاك مصباح الدياجي لـــي يطل
من قائمين الليل الخ الخ ••••••••••••••

وكما سمعنا ، فان رثاء المعلم عبدالحق في السيد الشهابي كان من خير ما يود ان يسمعه السامع المريد عن شيخه القدوة العابد الصادق الوقور ••

كان المعلم رحمه الله لايجهل الاثر النفساني في كل شعر يقوله • ولذلك

---

(٧١) هو بحل تقوم مقام أبدا أو مطلقا •
(٧٢) ألف او اعتاد على •
(٧٣) اى حمل الثقل على ظهر بعير •

نجد في اشعاره ومضات من علم النفس ينير بها بصيرة السامع القابل على سماع أشعاره • ولئن نم ذلك عن حذق في الصناعة الكلامية ، فانه ينم ايضاً عن سلامة الذوق ورجاحة العقل في الشاعر •

★ ★ ★

وثمة اشارة مرت بنا في عدة مناسبات ، منها مثلا قول المعلم : —

صالح زميم الشور تَشْهُرُه الدلّل في اســـــواقها

ولا بد لنا من الوقوف عند هذه الاشارة للتوسع قليلا، وبما يستطاع فـــي ايضاحها،لنتعرف بذلك على مدلول كلمة طالعتنا ولسوف تطالعنا كثيرا لـــدى قراءتنا الاشعار الشعبية الحضرمية ، تلك الاشارة هي كلمة « الدلل » ومفردهـا دلّال • والدلال كلمة فصيحة وتعني الشخص الذى ينـادى على السلعة للبيع • ولها عند الحضارم معان اضافية هو التوسط بين الغرماء في البيع والشراء او الصلح او الحرب بين القبائل او المناداة بالاشعارات والانذارات القبلية او الحكومية •

والعلاقة بين شهرة المرثوء المقدم صالح بن سالم بن يماني ، الذى تحدثنا عنه قبل لحظات ، وبين «الدلل» وقيامهم بنشر انبائه والاشادة بذكره تفتح أمامنا بابـا للحديث عن ظاهرة اجتماعية خطيرة سبقت عصر المعلم عبدالحق وعاصرته وامتدت في قوتها الى ما بعد عصره •• تلك هى ظاهرة النفوذ الاجتماعى الذى كان يتمتع به الدلل في المجتمع التجاري او الحكومى او العشائرى بحضرموت •

وفي صفحة ٥٨ من كتابنا « نظام الطبقات بحضرموت » قلنا ما يلي :—

« وكان الدلل (السماسرة ، وهم من طبقة تعرف في المجتمع الحضرمى بطبقة المساكين) من أجل مصادر التعاون بين الحضر والبادية في المجال التجارى ، كما انهم من اسوأ مروجي الفتن ومثيريها بين القبائل من جهة وبين القبائل والسلاطين من جهة أخرى اذ أنهم بتحريضهم واثارتهم القبائل ضد بعضهم البعض وضـــد السلاطين تسببوا في أزهاق العديد من الانفس البريئة من القبائل وغيرهم •• »

« وللدلل اساليب غريبة في اثارة الفتن بين القبائل ، منها على سبيل المثال

لا الحصر ، ان الدلال لا يتورع عن ان يكشف سوءته امام القبيلي ، على مشهد من الناس ، ويقول له أدخل هنا ، هذا اذا كان ذلك القبيلي لم يكن قد أخذ بثأر له عند احد رجال القبائل او كان له حق قد هضم او مطلبة لم تتحقق ، وبذلك يجعل من القبيلي اضحوكة في الاسواق التي يتردد عليها القبائل ، فيضطر القبيلي - الذي ربما كان مسالما - اما الى الاختفاء عن الانظار والانقطاع عن السوق ، ومعنى ذلك موته الاقتصادي ، او الى اللجوء الى العنف ضد غريمه • فاذا ارتكب القبيلي العنف وسمع بذلك الدلال قابله لدى قدومه الى السوق هاشا باشا قائلا له : « شهرك ثلاثين يا ابن الأجواد » وما شابه تلك الجملة من عبائر الثناء • واذا كان القبيلي قد قتل في محاولته الانتقام أشاد به الدلال قائلا : « حياه الله مات في سوقها » أي في ساحة الشرف • ان كشف العورة هذا امام القبائل هو الذي جعل المعلم عبدالحق يقول على لسان « المُخْبِر » الذي نقل اليه هزيمة الحملة اليافعية في واقعة الغلاغيل (وقد مرت بنا بالصفحات ١٧٧-١٨٢ من هذا الكتاب) : قال المعلم :-

والمَحْزَمة ضاعت رجعت أعطف على العَوْرة ردائي

وانا لسنا بمبالغين اذا قلنا ان في هذا البيت الواحد من التحريض ليافع وحلفائهم على الانتقام ما يستطيع ان يبثه جهاز اعلام لدولة حديثة مدة طويلة للدفع بجماعة ما الى الانتقام • وبالفعل ، فان هذا البيت وما شابهه من ابيات في قصيدة المعلم التى قالها عن واقعة الغلاغيل هي التى دفعت بيافع وحلفائهم آل تميم والمناهيل الى اثارة حرب « السبع سنين » ضد آل كثير ، تلك الحرب التى انتهت عام ١٢٩٤هـ بصلح « المُسَنْدَة » وكانت نتيجتها ان تقلصت حدود الدولة الكثيرية الى رقعة صغيرة جدا •»

« ومن العادات القديمة جدا بحضرموت ان ببعض المدن الحضرمية ، كالشحر وشبام وتريم وعينات وسيئون والحزيبة وقعوضة ، التي تعتبر اسواقا للبادية ، جماعات من الدلل يؤدون للقبائل التي ترد هذه الاسواق خدمات سمسارية

وينزلونهم ديارهم ويسهرون على راحتهم ويعقدون الصفقات التجارية لهم مع تجار المدن ويرشدونهم الى تقلبات السوق وتأرجح الاسعار » •

« ومهنة (الدلالة) من هذا القبيل منحصرة في أسر معينة • وبحكم اتصالهم المستمر الوثيق بالقبائل كان الدلل اعرف الناس بانساب القبائل وبعلاقاتهم ببعضهم البعض وبمواطن القوة والضعف فيهم وبتاريخهم وبسلوكهم ، رجالا ونساء ، وتبعا لذلك بالالمام بالكثير من محامدهم وهناتهم » •

« ومع تقادم الزمن تكونت لدى بعض الدلل الأذكياء فراسة تميز الملامح والسمات القبلية الفزيولوجية بحيث يستطيعون معرفة سلالة اى بدوى لم يكن قد سبق لهم الاتصال به كما يميزون جمالهم وأغنامهم • فبنظرة فاحصة مسرعة او بحديث عابر قصير يدركون صلة هذا او ذاك البدوى بهذه او بتلك القبيلة •»

« فالدلال في هذه الناحية كالقائف له اسلوبه « العلمي » في معرفة شخصية القبيلي رغم ان قواعد علمهم هذا ليست مدونة ، كما هو معروف ، ولكنها تؤخذ بالتلقي أبا عن جد • »

« ان الالفة ، التي ولدتها الصحبة الطويلة ، بين القبيلي والدلال تجعل الاول يغتفر للثاني بذاءة لسانه وتصرفاته المغيظة تجاهه ويحملها دائما محملا حسنا ! ويفلسفها على اساس ان الدلال ـ وهو في السلم الاجتماعى الحضرمي ذو درجة متدنية ـ مظنة الجلافة وعدم التهذيب في القول » •

« ولا تقتصر مهمة (الدلال) على الوساطة التجارية ، ولكنها تمتد الى القيام بالمساعي الحميدة بالصلح بين القبائل انفسهم ، وبين القبائل من جهة وسلاطين البلاد من جهة اخرى » •

« ويجعل (الدلل) من انفسهم اجهزة اعلام فعالة ، فهم الذين يذيعون في الاسواق أنباء المعارك بين القبائل ، وهم الذين يجرحون او يعدلون المتقاتلين ، وهم الذين يذيعون محامد او مثالب هذا او ذاك القبيلي » •

« واذا اقتتلت قبيلتان ولم يفر احد من رجالهما من الميدان مهما كانت

خسائرهم في القتلى والجرحى ، أشاد الدلل بالجودة والجميلة و « القبوله » ، وكلها كلمات تعني الصمود والتفوق والشجاعة والنصر والاستهانة بالمـــوت ، وابدوا سرورهم من القاتل الذى تفوق فقتل ومن المقتول الذى صمد للمكروه فقتل » •

« والدلل مثلهم في هذا المضمار كالشعراء ، او كبعض النساء المحرضـات على الاخذ بالثأر ، الا ان بعض الشعراء الشعبيين ـ كالمعلم عبدالحق ـ يستترون خلف الدلل بأن يبدوا استغرابهم من أن هذه القبيلة او تلك لم تهتم بما سيقوله « الدلل » ، عن مواطن الضعف في تصرفاتها • والواقع ان الشاعر يقصد نفسه بكلمة الدلل • والمفهوم ان الدلال يقول كلمته فيرددها الناس فترة من الزمن ثم يطويها النسيان ، ويبقى كلام الشاعر خالدا تتناقله الالسن على مر السنين وهـــذا هو عين ما نفعله نحن الآن بالنسبة لكلام الشاعر المعلم عبدالحق » اه

يقول المعلم عبدالحق عندما اغتال رجال بيت الصَّفِيَّة المناهيل ســلمان بن مُصَلِّحَة ، وقد عد المعلم هذا الفعل فضيحة عشائرية ، لأن ابن مصلحة كان من الحضر العزل من جهة وكان ربيع احدى البيوت المنهالية من جهة اخرى • وبعد ان قتل آل الصفية ابن مصلحه وعلموا انه كان رَبِيْع بيت كَرِّيْم المناهيل ذهبوا الى مقدم بيت كزيم بن طَنَّاف واغروه بالمال ليتنازل لهم عن حقه في قتلهم ابن مصلحه : وقد فعل • ونحن نفترض حقاء ولا نجافي الواقع، ان الدلل قد قالوا ماقالوه عن هذه الحادثة المؤسفة وذهب كل ما قالوه مع الذين عاصروا الحادثة ، ولم يبق لنا الا ماقالـــه المعلم • قال رحمه الله مندداً ببيت الصفيه وهـــم من قبيلة آل المَعْشَنِـــي المناهيل :ـ

حيران من بيت الصـــفيه ذهنـي

ما يرتضي عاقل بهـــذا الحـالا(٧٤)

---

(٧٤) مجافاة حركة الاعراب الظاهرة في قافية هذه القصيدة طريقة شائعة في الشعر الشعبي الحضرمي وقد عالجناها في الجزء الاول من كتابنا (الشعر الشـــعبي الحضرمي فن وصناعة) •

لو ردهم من ذى المصيبه عاقل

ما اصبحت تلك الوجوه حبالى

هم سودوا وجوههم ماقالوا

نخشى على اخوتنا من الدلالا

لا يافعي في شقنا القا(٧٥) مثلهم

ولا تميمي قصر المكيالا(٧٦)

والسبب الذى ادى الى مقتل ابن مصلحه هو ان ابن مصلحه كان على شيء من الثقافة الدينية ، وكان المناهيل يستعينون به في كتابة رسائلهم وفي تحرير وثائق علاقاتهم القبلية واحوالهم الشخصية . وقد استعان به آل الصفيه في قسمة ارث بين أفراد أسرة منهم فقسمه طبقا للشريعة الاسلامية فأغتاظ بعض الورثة من تلك القسمة فاختصموا مع بقية الورثة وتضاربوا وجرح بعضهم جروحا خفيفة . فقام سفيه منهم فاغتال ابن مصلحه : قال المعلم :ـ

ميراث للهالك فتن ما بينهم

واحبط عملهم ، خسها افعالا

وتواترت ما بينهم وتفاشلوا

وقعت مصائب بينهم واهوالا

وقعت لوائم بينهم ما تحتكي

والله ما هاذى الحجج عالبالا

ثم يدير المعلم الحديث عن تصرف المقدم الويطي بن مسلّم بن طنّاف ، قال :ـ

---

(٧٥) عمل .

(٧٦) اى خالف العرف القبلي .

ما اعتار بن طنّاف لــي حبّ البَقَشْ

عقله انطمخ[77] من حَنّة الصلصالا[78]

مـا با تبيّضْن الذراهــم وجهــه

الا ان قتّلْ واحــد من الفعّــالا

ان بايخــرّج ذا العَتبّ من اسـمه

ولا فهذا صـوب ما ينّشَــالا[79]

وبعدها قال المعلم البيت التالى ، وكانت له ردود فعل سريعة عند المناهيل عندما ذاعت قصيدة المعلم فى المجالس القبلية • قال :ـ

ياريت راســي بايبيّض وجهــه

حتى يكون الفِعْــل ممن قــالا

والبيت هذا شبيه باحاديث الدلل المثيرة ، ويحتمل تفسيره على وجهين : الاول : ان المقدم ابن طناف بلغ بوجهه سواد العار مبلغا ولن يزيل سواده الا بياض شعر رأس المعلم وهو متطوع به ليضعه المقدم ابن طناف على وجهه الاسود • والوجه الثاني هو ان ابن طناف جبن امام آل المعشني واصبح غير قادر ، وهو الاب الاكبر للقبيلة المنهالية ، على تطويع المخلين بناموس « القبوْله » ، ولم يقف تصرف المقدم ابن طناف عند هذا الحد بل انه أردف بفعل اقبح وهو انه قبل « الدراهم » عوضا وتخلية عمـا لـه وللقبيلة بأسرها من حق (وجه) في المطالبة بـدم ابن مُصْلحـة بمقتضى العرف القبلي • وبما أن فعل آل صفيه المشين ، الذى الحق العتب(العار) بالقبيلة المنهالية كلها ، وهو اغتيال ابن مصلحة ، لايمحوه الا الدم ، فان المعلـم يتطوع بتقديم رأسه بدلا عن الشخص المنهالي الذى يجب ان يقتل تبرئـــة لشرف القبيلة من ارتكاب تلك الفاحشة • وسواء كان ستصد المعلم الوجـــه

---

(٧٧) اندهش •

(٧٨) رنين العملة المعدنية •

(٧٩) صعب العـلاج •

الأول ام الثاني فذلك ليقول الناس ان المعلم ، قائل البيت ، حمل عن قبيلة المناهيل عارها بتقديم رأسه قربانا على مذبح الشرف (حتى يكون الفعل سن قالا) •

ثم يتهكم المعلم بالمقدم ابن طناف وكأنه يضع المسكن على الجرح الذى اصاب به المقدم نفسه ، وهو جرح (لاينشال) لايندمل ، قال :

واللــــه ثم واللــــه لانسّخّـــابهٌ

وليس نرضـــي لـــه بهـــذا الحـــالا

لكن عقلاء بيت كزيم تألموا لتصرف مقدمهم ابن طناف واعلنوا فى اسواق مدينة قسم وعينات وتريم عزله عن التقدمة ترضية للمعلم عبدالحق او قـــل « للدلل » ، اذا شئت •

والمعلم الذى كان يعلم مقدما الأثر الذى سوف يحدثه شعره بين الفخائذ المنهالية المختلفة ، يصرح هنا بما يراه حقا ولا يقصد بتصريحاته اثارة الفتن بين القبائل كما هو حال « الدلل » • ثم يزعم ، فى تواضع ملموس ، انه ليس بالحكم ولا بالفيصل فى الشؤون القبلية وهذا صحيح ، ولكن غير الصحيح ان نقول بأن معرفة المعلم بأحكام العرف القبلي تقل عن معرفة اى حكم او فيصل بها • قال :ـ

ذا قـــول عبدالحـــق ماهـــو مخفي

ولا طـــرح بـــين العرب مشعالا

مـــلاّ حكي بالصدق واظهـــر فعله

وليس أنـــا حاكِم ولا فصّـــالا

وسواء اراد المعلم وضع « المشعل » فى حطب القبولة ام لم يرده ، فـــان بيت كزيم طهروا انفسهم بان قتلوا واحدا من آل الصفيه نقاء في قتل ابن مصلحه• وبعد فتنة دامت سبعة عشر عاما بين آل كزيم وآل الصفيه ، عادت الامور بينهم الى حالتها الطبيعية على يد منصب عينات ، وكانت قـــد مضت على وفاة المعلم عبد الحق تسع سنين حينذاك •

ان قصيدة المعلم ، التي اوردنا اربعة عشر بيتا منها ، تقع في ثلاثة واربعين بيتا سجلناها كاملة في الجزء الثاني من كتابنا « الشعر الشعبي الحضرمي فـــن وصناعة » ، ومطلعها :ــ

يامن اليــــك الملتجي ســـلك الرجا

يامن بأمـــــره تخصب الاســـبالا

وبعض ابياتها مفيد لمن يرغب الاطلاع على جانب من العــــرف القبلي بحضرموت .

ويقول المعلم ، بلسان القُصّاد (الشعراء) والدلل ، عن هزيمة آل كثير في الشحـــــر :ــ

بالرخص من قد باع روحــــه نحنا

نفـــــرح من المقتــــول والقتـــال

وقعت نكسه[٨٠] في الكثيرى جائـــرة

جارت على القُصّاد[٨١] والـــدّلال

ويقول عندما وردت انباء احتلال آل كثير للشحر وطردهـــم آل بريك منهـــــــا :

أنصط[٨٢] لباعث صدق ذكروا للبلد بُنْكُسْ[٨٣] وصـــــل

وصـــل من الســــلطان عبداللــــه وذكـــروه الدلـــــل

خطوط جـــــــوده ليس فيها سعــــــــر بز ولّا بصــــل

ونبادر فنقول ان « الدلل » قطاع من المجتمع الحضرمي على جانب ، في حياتهم العادية ، من عفة اللسان ولباقة الحديث وحسن المعاملة وطهارة السيرة

(٨٠) هزيمة .
(٨١) الشعراء ومفرده مُقَصِّد اى يقول القصيد .
(٨٢) الحضارم يقلبون التاء طاء في مثل انصت واصمت .
(٨٣) بنكس تحريف لكلمة آونكس والكلمة اصلها جاوى ومعناه المظروف .

في اوساطهم ، ولكنهم لدى توسطهم في الشؤون القبلية ، وخاصة ما كانت لها علاقه بالفتن بين القبائل ، كانوا ، على عهد المعلم عبدالحق وحتى بداية النصف الثاني من القرن الهجري الحالي ، يسيرون ، تجاه القبائل ، وفق منهج عربي قديم جدا ولم يكونوا فيه بدعا . فالكثيرون من شعراء أدبنا العربي الفصيح ، ناهيك بالشعراء الشعبيين في كافة الاقطار العربية ، كانوا ، ولا يزالون الى يومنا هذا مع اختلاف في الاسلوب والهدف ، من واعي الاحقاد ، ومن ملتقطي المثالب ومجسميها ومخترعيها ، ومن مثيري النعرات ، ومن مروجي الدسائس ومن ملهبي الفتن بين القبائل ، [illegible] على اختلاف مشاربها والوانها .

ويحسن بنا ، اتماما للفائدة ، ان نورد مثلا من كلام احد الشعراء الشعبيين الحضارم ، من الجيل الذي جاء في اعقاب عصر المعلم عبدالحق ، عن مكانة الدلل في الخصومات القبلية .

في حادثة « عقرون » الشهيرة التي اقتتل فيها يافع ورجال قبيلة بالعبيد عام ١٣١٩ هـ ، كان بين القتلى اليافعيين سالم بن عبود بن علي الحاج المكنى بـ « بو حوثر » ، وكان احد قادة يافع وبطلا من ابطالها ، ومخلفته شاحة آل علي الحاج بمنطقة القطن الواقعة غربي مدينة شبام . فقال الشاعر الشعبي المعروف مبارك بن سالمين بن علي الحاج ، وكان مملوكا لآل علي الحاج ، واحد الذين حضروا واقعة عقرون ، مرثاة رائعة مطلعها :-

أنت الصمد من فوق عرشك دلنا عالصائبات

تبين لنا اهتمام القبائل بما سيقوله الدلل عن [illegible] المرثية الى رئيس دلل مدينة شبام مردوف حم متخطيا جميع من كان بالمدينة من جهات أو اي فئات اخرى كالقبائل والسادة والمشائخ والتجار وغيرهم من الذين كانوا يكنون للمرثوء محبة واحتراما خاصين) ولم يشر في مرثيته الى مقاديمية

يافع وفيهم أقارب القتيل ووالده واخوانه ولا الى دولة شبام ولا الى الحاميـــة العسكرية التي بها الا اشارة عابرة • قال الشاعر في تلك المرثية :ـ

تَوَّك الى الدِّمْنِه (٨٤) شبام العالية فيهـــا جِهـــات
فيها الدُّول هم والعساكر والمدافـــع مشحنـــات
فيها « دلل » لي يفحسون القرش في ذيـك الجهات
سَلِّم على مردوف حَمْ واهل الشروع الوافيـــات
وعظِّموا له الأجر في بو حوثر المصيوط(٨٥) مـــات
نَفَقْ(٨٦) على عقرون من حيث الزُّوَنْ(٨٧) مِتْعكِّيات

★ ★ ★

ان الفوضى السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة فى عصر المعلم عبدالحق فى الاقليم الحضرمي لم تمنع ازدهار العلم في مراكز معينة فيه وفى ذلك يقول المعلم :ـ

وادي بنور العلم ياضي(٨٨) دوب أهلـــه يقرأون
مشحون بالآداب واهله حي هاتيـــك الشـــحون

ففي عهد المعلم برز رجال علماء فى العلوم الانسانية والدينية يربو عددهم على الخمسين ابتداء من الحبيب علوى بن سقاف السقاف (توفي عام ١٢٣٥هـ) الى الحبيب محسن بن علوى السقاف (توفي عام ١٢٩٠ هـ) • وكان من ضمن هؤلاء من عرفوا في حضرموت ب « العبادلة السبعة » ، اذ كانوا من أجل حملة

(٨٤) عاصمة المنطقة •
(٨٥) المصيوط صاحب الصيت الذائع •
(٨٦) اى باع البضاعة ومعناها قدم روحه •
(٨٧) جمع زانه وهى الحبل والغرب الذى ينزح به الماء وجملة (تعكَّت الزُّوَن) تعني ثارت الفتنة او احتدم الصراع •
(٨٨) يضيء

علمي الشريعة والحقيقة والادب العربي والاسلامي ، وهم عبدالله بن احمد باسودان (١١٧٨ ـ ١٢٦٦ هـ) وعبدالله بن سعيد بن سمير (١١٨٥ ـ ١٢٦٢هـ) وعبدالله بن علي بن شهاب (١١٨٧ ـ ١٢٦٥ هـ) وعبدالله بن حسين بن طاهر (١١٩١ ـ ١٢٧٢ هـ) وعبدالله بن ابي بكر عيديد (١١٩٥ ـ ١٢٥٥ هـ) وعبدالله بن حسين بلفقيه (١١٩٨ ـ ١٢٦٦ هـ) وعبدالله بن عمر بن يحيى (١٢٠٩ ـ ١٢٦٥ هـ) .

فالمدارس والزوايا والمساجد في تريم وسيئون وشبام وعينات والشحر والخريبه وحريضه والمكلا وغيل باوزير وغيرها كانت تعج بطلبة علوم الشريعة المحمدية والتصوف والادب والتفسير والحديث والفلك وفروع المعارف الاخرى المطلوبة فى ذلك الوقت .

بيد ان التعليم لم يكن منتشرا بين كل الطبقات . وكانت القبائل ، الا أفرادا منهم ، أبعد ما يكونون عن مناهل العلم لما كان متعارفا عليه في اوساطهم وهو ان التعليم « يسخف القلب » او يولد الجبن ، وذلك لما كان يشاهد على من أوتوا حظا من الثقافة من النفور من اعمال الظلم والبطش والجرائم الاجتماعية الاخرى .

لكن المعلم عبدالحق الذى نال حظاً مرموقاً من الثقافة الدينية والادبية كان ابن وسطه القبلي وكانت احيانا تغلبه النزعة القبلية فلم يبال بما لعلمه عليه من مسؤولية أدبية . أليس هو القائل عندما حاصر يافع مدينة دمون عام ١٢٥٤ هـ وامتد ذلك الحصار اكثر من تسعة أشهر :ـ

له تسعة اشهر وابتدا فـي العاشـــر
شاف التميمي شَـــلّ حِرْفَةْ جَدّي

والحرفة التقليدية للمشائخ اجداد المعلم هى العلم . والواقع ان آل تميم لم يتحولوا الى علماء ولكنهم ، في نظر المعلم الذى أراد تحريضهم على فك الحصار المضروب عليهم ، استخذوا استخذاء العلماء ، أو هكذا اراد المعلم أن يصورهم ، الذين ركت قلوبهم . وقد كان لقصيدة المعلم رد الفعل السريع في

بعد مقتله فادحة على الطرفين • والبيت الذي أوردناه هو من قصيدة المعلم المشهورة التي مطلعها :ـ

ما خـــــاب من هـــو بالمهيمن يبتلي

وعدد ابياتها سبعة وخمسون • وفيها يقول المعلم ان يافع الظبي حكام مدينة تريم لم يستطيعوا بمفردهم مداهمة دمون بعد ان ظلوا محاصرين لها عدة اشهر فاستعانوا بيافع الموسطة ، حكام سيئون ، وبقبـــائل حضرمية اخرى ، وأقاموا استحكاماتهم على مشارف دمون توطئة للهجوم عليها واحتلالها وطرد آل سلمه منها • قال المعلم :ـ

وعبــر الاشــهر ما ارتعـــد من جندي

وعادهــم يبطون وش يايســـدي

لمـــا طلع غــوره(٩٠) وحاشت نفسه

ما قـــال بادخـل لآل سلمه وحـــدي

الجعـلوى(٩١) وجـات الكربي

والموسطي والصيعري والنهـــــدى

وأحاطت يافع وحلفاؤهم بالمرتفعات الواقعة شمالي دمون • قال المعلم :ـ

---

(٨٩) يظهر

(٩٠) ضاق صبره •

كم من نِمر يصهل تقــدّم قبلهـــم

عيني تراهـم في الذراع[٩٢] النجدي

سبعين في الشّعب الذى عدّيتهـــم

ثلثين منهـم في التّعبْ والوَرْدِي[٩٣]

وذات امسية تسلل عشرة رجال من يافع وحلفائهم الى داخل دمون بقيادة المقدم عبدالله بن عوض غرامه اليافعي ليسبروا قوة دفاع آل سلمه ، فدارت بينهم وبين حرس آل سلمه معركة في شوارع دمون • وكانت قيادة آل سلمه معقودة ليلتها للمقدم سالم بن سعيد بن سلمه الذي كان بمحض الصدفة يتفقد مراكز الحرس • وهنا يقول المعلم :ـ

وطرّقوا عشره وقالوا حِلّهـــا[٩٤]

كُلاً على البير الكنيزه [٩٥] يحْدِني[٩٦]

مثل النماره في الشوارع طَـرّقوا[٩٧]

وبو عوض قبل الجماعه يِعْـدي[٩٨]

سالم نَدَقْ [٩٩] بالاوّلــي والثانـي

وبو عوض قبل الجماعه مُعْـدى[١٠٠]

قتـلوه في سوق الوفــاء والجـــوده

عســـى حلاله في جنـــان الخلــد

---

(٩٢) الجبل •
(٩٣) الورد = الحُمّى •
(٩٤) حان وقتها •
(٩٥) ذات الكنز ويعني بها دمون •
(٩٦) يحاول الاستيلاء عليها •
(٩٧) انقضوا أو داهموا •
(٩٨) يجرى •
(٩٩) القاه قتيلا •
(١٠٠) مهاجم •

ياخير والله وعل زف البكره(١٠١)

نقصه على ربعه ، كنان البرد

بيده فرنجي صرفه أربع وربع

ولاخذاه الا لبادي يبدى(١٠٢)

من يوم وصلوا به صمدنا(١٠٣) ضارب

لك ياحليف العالية يافقدي

والقتيل الذى يتأسف المعلم على قتله هو المقدم عبدالله بن عوض بن غرامه قائد المتسللين ، وان وجود المعلم في دمون بين آل سلمه وفي مثل هذه المحنة والساعات العصيبه لم يسكت المعلم عن الاشادة بابن غرامه وبسالته واقدامه وانه سيكون خسارة فادحة على جماعته وانه كان لهم كالدف من البرد وانه كان حاملا بندقية افرنجية (وهي غير البندقية العربية التى كانت السلاح الشائع فى ذلك الوقت) يزن رصاص طلقاتها ٤¼ قفال في حين كان وزن طلقات البنادق العربية يتراوح بين ثلاث و٣⅕ قفال وانه لم يقدم على شراء تلك البندقية الا لمثل هذه الحوادث المشرفة . وكلام المعلم هذا كله تعريض غير مباشر بآل سلمه خاصة وآل تسيم عامة . ويصف الطرفين المتقاتلين بقوله :ـ

رجال والله يافتى لي حضروا

ماحد خفى راسه خبرهم عندي

والنذل شف ماله سوى الا الذيله

لاشط شافه قال نا يا سعدى(*)

ويقول عن قتلى يافع وحلفائهم فى هذه الحادثة ويصف انحسار مدهم :ـ

---

(١٠١) المهرجان الذى يقيمه قناصة الاوعال ويدخلون به المدن في الصباح .

(١٠٢) البادى تبادل اطلاق النار أو مناوشة قتالية

(١٠٣) صدمنا صداع شديد .

(×) يقول المعلم ان النذل (الجبان) حين البأس يود لو ينبت له ذيل في مؤخرته ولسوف يكون عظيم السرور به ، لان المقاتلين اذا ما شاهدوه بذيله سيظنونه حمارا او قردا ولن ينالوه بسوء .

ماتوا بنـي مالك رجــال الجوده

لي طعمــوا الصبر السقطري شهدي

من المقابــل الشــوارع خمت

لاجيت لامضياق(١٠٤) حاشت ركبدى

★ ★ ★

ثم تأتي طبقة القرويين او بعبارة أخرى (القرار) وهم التجار والكتبة وبعض صغار طلبة العلم والمدرسين • وكلمة القرار تعني في الأصل سكان القريـة او المدينة المستقرين بها منذ القدم وذلك تمييزاً لهم عن الوافدين المحدثين • وتلى هذه الطبقة فى السلم الاجتماعى طبقة الحرفيين كالحدادين والنجارين وصائدى الاسماك ، وعمال الغزل والنسيج والصباغين والدلل والبقارة (حراث الارض) والدباغين والحلاقين والحجامين والمغنين والطباخين والبنائين وأمثالهم من الحرفيين كالشعراء والصاغة وهكذا • وفي الدرجة السفلى تأتي طبقة الفلاحين الاجــراء ويعرفون فى المجتمع الحضرمى بـ « الضعفه » أو الضعفاء • أما طبقـة الحرفيين فهي طبقة المساكين •

ان روح التمايز بين هذه الطبقات كان على أشده تقليداً منها للتمايز القائم بين العلويين والمشايخ والقبائل ، الا ان التمايز بين المشـائخ والقبائل اسـمي لانهـم يتزاوجون ، كما يتزاوج بعض المشائخ مع القرويين والمساكين •

وفي المجتمع الحضرمي ، اذا ازدهى العلوي باتصال نسبه الى البيت النبوى ، تباهى الشيخ باجداده وعلومهم وكراماتهم،وافتخر القبيلي باعمال اجداده البطولية وانكمش القروي والمسكين والضعيف وكأن لم يكن لهم ما يجوز ان يتباهوا به في مجتمعهم مع انهم يمثلون الطبقة العاملة والفلاحية في المجتمع التي يعتمد عليها اقتصاد البلاد وخدماته الاساسية الاخرى •

والعلوي المحافظ لايرتاد الاسواق في حضرموت ترفعا عن مزالق الغواية فى البيع والشراء ، والشيخ لايرتاد الا الاضرحة والمقابر بعد الفراغ من معالجــة

(١٠٤) المضياق = الزقاق او السبيل الضيق في المدينة •

الاضابير والكتب ، ويستنكف القبيلي من الجلوس (بين الكِفَف) على حد تعبيرهم أى أن يكون حليس حانوت بين كفتي ميزان لان لسانه لاتجوز الا في الاحاديث الشبيهة بقول أبي إلطيب المتنبيء « فُلانٌ دَقَّ رُمْحاً في فلانٍ » •

★ ★ ★

ومن الواجب الاشارة هنا الى ان الحديث عن شيء اسمه « الحالة الاقتصادية» بحضرموت ، على عهد المعلم عبدالحق ، سيكون حديثا فيه تجوز ومبالغة ومجافاة للواقع • لكن الحقيقة انه كانت هناك حالة معيشية اقرب الى الضيق والشدة منها الى السعة والميسرة • فالمجتمع الحضرمي فقير ، وذلك لهو حاله اليوم ، يعيش معظم اهله على مكاسب الهجرة وكانت قد بلغت أوجها على عهد المعلم • فالذين ينعمون بخيرات المهاجر يستوردون حاجاتهم الاستهلاكية من الخارج مباشرة اذا كانوا من كبار الماليين ؛ واذا كانوا من صغار الماليين أخذوا حاجات ديارهم من أرباب الحوانيت المحلية الصغيرة •

وتجارة الواردات معظمها فى ايدى بعض التجار الهنود المقيمين فى الساحل الذين يقتصرون على توريد المواد الغذائية • وهناك بعض البيوت الحضرمية التجارية تقوم محليا وفي نطاق ضيق جدا بعملية الاستيراد ، وهؤلاء مع التجار الهنود يقيمون جسراً تجارياً ، غير متكافىء من حيث ميزانه التجاري ، بين الهند وحضرموت •

ويدور الحكام والولاة والقضاة والموظفون والجند فى فلك التجار ، ومنهم يقتنصون عيشهم وكينونتهم بالضرائب والعوائد والإتاوات والعطايا والهدايا والقروض والمعونات المالية • ومعْ ذلك يحيون حياة ضنك وعوز •

أما الفقراء ــ وجل سكان حضرموت فقراء ــ فلا يجني الحكام واتباعهم منهم غير اعمال السخرة • ولذلك ظل الفقراء كمية مهملة تولد وتتألم ثم تموت فى حلقة دائمة الدوران فى اجواء الجهل والمرض والقهر والحرمان •

لذلك فان تجارة الاقليم الاصلية ــ اذا جاز لنا ان نسميها تجارة تنحصر في الاسماك والزراعة وهي انتاج جهود الفقراء • فالبحار والفلاح ينتعشان اذا « زان »

البحر وجاءت « الرّحمَة » • وعلى هذين القطاعين المنتجين تدور معظم الحرف الصغيرة وتراها قابضة بعضها برقاب بعض • وهذان القطاعان هما اللذان اهتم بهما المعلم عبدالحق في أشعاره وصورهما لنا في حالة من البؤس لم نستغربها ممن يعيش في حضرموت •

واذا ذكر المعلم احد التجار أو المولين ، ولو بالاشارة ، فانه لا يصنّفهم الا من جملة المستغلين العابثين بالاسعار ، وربما وصفهم ب « الذبّاحين » • فالمعلم عبدالحق وهو ، كما يسمي نفسه «شيخ الفقراء» يتألم لحالة الفقراء• وبما انه يعجزه العلاج الايجابي فهو مع كل توجع لحالتهم يرد طرفه الى السماء راجيا الغوث والفرج • فنراه مثلا يقول في أسى لاغبار عليه :ـ

ارى المسكين من شدة الوقت الْمُقَمّح(١٠٥)
بقرشين المِيَهْ تمر في سغره مرنّح(١٠٦)
ومَصْرَىْ بأم ستّ(١٠٧) من لَصَرْ(١٠٨) من كل مذبّح
الى ذا اليوم وش عاد في الصرع المقرّح(١٠٩)

وقولــه :

زَمِيْنَه(١١٠) لَرْض والله لاحاجبْ(١١١) مُخَضّر
عسى رحمه لحيث الزمن أصله يَجَضّر(١١٢)
وَشَحّ السِّعر، فرحان به من كان يِسْعِر

أو قــوله :

يالله برحمه سابغة • كُلّاًبها يقضي وَطَرْ
وتشرب النخله لحتى يَزّجي النخل الثّمر

(١٠٥) المكلفْ على اكل التراب •
(١٠٦) ثابت لايتحرك •
(١٠٧)عملة صغيرة ذات ست خمسيات تعادل ثمانية فلس تقريبا •
(١٠٨) اللصر ترخيم كلمة (الوَصَر) وهو المكان الذى يختزن فيه الحب بجانب المزرعة •
(١٠٩) الصرع : يعني الدورة الزراعية والمقرّح الذي كله خسارة •
(١١٠) جافة •
(١١١) جبــــل •
(١١٢) اصلها يضجر وينطقها العوام يجضر •

ويَرخُص الحَبّ الذى قد كان مُدّين (١١٣) اسْتَعَرْ

على ان المعلم حينما يتحدث عن الايام العجاف يردها الى أسبابها الموضوعية ويقـــــــول :

يالله يارباه يا بالجود يارب العباد

جد ياكريم الوجه بالرحمه من أسبال الرّهاد(١١٤)

انقطعت الرحمة وزاد الشّح يارحمان زاد

ولا السبب ياربنا غير المظالم والفساد

والرحمه في المفهوم الحضرمي هي الامطار والسيول الهنيئة التي لايصاحبها تلف في المحاصيل او أضرار فى الارض واعمال الري ، ولاتعقبها بلوى الجراد والآفات الزراعية •

من الامثال الحضرمية قولهم « دولة حضرموت رحمتها » وهو قول سبكته التجارب المرة ، لان هذه الدولة الرحمانية ، لا دولة الانسان التي لايعرفون عنها غير البغي والعدوان ، هى التى تأخذ بناصر الفقير وتخرج به من جحيم الفاقة الى نعيم الكفاية او الى مستوى الكفاف على الاقل •

أما اذا شح البحر او قبض الغيث او عمت الآفات الزراعية فالمساكين والضعفاء هم الذين يكتوون بنار « الزمان » • وفي حضرموت تكون ظاهرات الشــح اكثر من ظاهرات الرخاء لاسباب طبيعية وذاتية قد ذكرناها • وفي ذلك يقول المعلم مشيرا الى ان الضائقة التي يصاب بها الفلاح لهي في الوقت ذاته رزء الحرفي المسكـــين كالحويك (جمع حيك = نساج) • وان رداءة البحر هي المصنية لاعلى البحار وحده ولكنها مصيبة الجَمّال الذى تحتاج جماله من وقت لآخر للعيْد (الساردين) وللمزارع الذى تحتاج بعض محاصيله لسماد العَيْد • قال المعلم :ـ

أرى المسكين ذِهنُه من افعال الزمن حار

---

(١١٣) المُد الواحد يساوي المصرى كيلاً •

(١١٤) السحب الممطرة •

وجار الضَّيْم والبَخْص يارب السما جار
كذاك البحر ما جاد بالمَغْويْر (١١٥) بحَّار
وَسَطْ لخطار في خَضَيْرْ (١١٦) عاسُفْرَهْ و كُنْبَار (١١٧)
قفا رزق التَّعَبْ يفْبشُوا مقدام لَسْحَار (١١٨)
رِكَاب المُشْط (١١٩) رَكَّت وعِدْمِتْ قُوتْ لَبْكَار (١٢٠)
وهان الزرع لي ماطِعمْ دَمْنِه من أصْـوار (١٢١)

الى قوله :

حَويك البَزّ مِنْهم دموع العين زَغَّار
كذا رجعوا من الوقت لي ذَوَّقْهم القـار
تراهم في البَخَصْ حد سَنَا (١٢٢) مِنْهم وحد سار (١٢٣)
نَظَرْتِه اربعة مِنَّهم يِشْنُون سِنْجار (١٢٤)
لستر الحال ماقول ذا لائم ولا عار
ولكن ماقضاه الصمد فينا وما أختـار
عسى رحمة هنيّه بها يَخْضُبْن (١٢٥) لَشْجار
ويرجع بَزّهم بالغـلا يبتاع لابار

---

(١١٥) شبك صياد السمك .
(١١٦) البحـــر .
(١١٧) السفرة قطعة الخشب والكنبار الليف الذى يفتل منه الحبل الذي يستعمل لشد الواح زوارق صيد السمك الصغيرة بعضها الى بعض .
(١١٨) اول وقت السَّحَر .
(١١٩) شجرة تتغذى بها الابل .
(١٢٠) الساردين الذى يصطادونه اول موسم الربيع .
(١٢١) الدمنة التسميد لمرة واحدة ، والصوار : عظام وقشور العَيْد .
(١٢٢) الفعل من سناوه وهو نزح الماء من البئر .
(١٢٣) هاجر .
(١٢٤) كلمة هندية معناها العمل الجماعى او القوافل البحرية وتعني هنا العمل الجماعي .
(١٢٥) تخضر الاشجار .

كفاهم ذا التّعب يا آله الخلق يابار
وكُلْ زُمّار[١٢٦] شارِيْه يقصدهم الى الدار
عِوَض هذا التعب لي وقع فيهم ولي صار
جماعه ليس حد منهم سارق ولا ضار
بذلك فضل ، والله يعوِّض كل صَبّار

واذا لم يتحسن حال البحر ولم تجد السماء بالمطر فلا سبيل أمام أرباب الحرف الصغيرة غير سبيل التسوّل او الاستدانة • والتسول في حضرموت لايسد حتى الرمق لما ران على قلوب الموسرين من غشاوة القسوة والبخل • يقول المعلم :ـ

وان طَرّب السائل بقوله : ياحبايب[١٢٧] شي عَوَيْن
هو يختفي زاد النساء ساعَةْ يطرِّب يختفين
والنهر للسائل ، وفي قهر اليتيم الآيتين
في « والضحى » تكفي • ومن غفلاتنا ناخذ قَدَيْن

حق ما قاله المعلم • فهو يلفت نظرنا الى قوله عز وجل (فأما اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر) صدق الله العظيم • أما قوله : « ومن غفلاتنا نأخذ قدين » أى الى اين المفر من تغافلنا عن التعاليم الاسلامية ، فان المصير معروف ، وهو ان الحالة الاجتماعية سوف تزداد سوءا ولسوف يكتوى الكل بنارها • قال المعلم : مذكِّراً ومنذرا البخلاء بحرمانهم الفقراء سوف تدركهم غضبة جبار السماء فتأتي على مافي بيوتهم من ماعون وأثاث ورز وأدام وبر وذرة وتمر وبن •• وما يقال عن البخلاء يقال عن آكلي الربا ومطففي الكيل والميزان والذين يصعِّدون الاسعار بقصد الاثراء من تعاسة البشر :ـ

الى مصائب طامّه من عند ربّ القبلتين

(١٢٦) طية القماش المنسوج •
(١٢٧) لايقصد بهم السادة وحدهم ولكن كل مسؤول •

بايتم ماعونك[١٢٨] وفرشك فوق رزك والصوين[١٢٩]

أيضاً وبرك والذرة ثم المقلف[١٣٠] والعدين[١٣١]

ثم يقول المعلم بيته المشهور الآتي ومعناه ان لاراحة ولا سمعة حسنة في هذه الدنيا لمن يظن انه سوف يعيش في بحبوحة من العيش في مجتمع يموت ويشقى فيه الفقراء من الجوع والعدم :

نسّم على غيرك يواتيك النسّم واذكر بزين

ويقول :

أنته وكل مربي ولي يطفف أواق الكفتين

واللي يسعّر جور عالأمة لتملاة الخزين

اسمع كلامي لاتقول قدنا قوي الساعدين

ثم يختتم المعلم انذاره بكلام لاينقصه الانفعال رغم ان كل كلمة فيه قد محصتها التجارب ، وتدركها شفافية البصائر النيرة . قال رضي الله عنه وأرضاه :ـ

مابا تفيدك قوتك يشهد علي جد الحسين

من باتكون انته اذا قدها المصائب عطعطين[١٣٢]

ولعاد شي مرقاح[١٣٣] بايقع، ياللي عاتغل اليدين

قدم وبا تغنم ، وذا قولي ، غلب[١٣٤] ماهو هوين[١٣٥]

الّا على الغافل ومن هو بصائره ما يرعوين

---

(١٢٨) أدوات المنزل .

(١٢٩) جمع صانة والكلمة هندية ويقصد به الادام .

(١٣٠) التمر .

(١٣١) البن نسبة الى منطقة العدين باليمن .

(١٣٢) أي ترادفت .

(١٣٣) الراحة .

(١٣٤) حاشا وكلا .

(١٣٥) سخيف .

وعن المرابين الذين يقدمون قروضا بواقع ١٢½٪ للفلاحين الفقراء يقول المعــــلم :ـ

وان قــد حَصَّلْ جَرّاث مقصوده لراس الصَّرْع دَيْن
يقول له شي رَهْن يَضْفِي مَطْلَبَكْ ما هو رَهَيْن
ولاّشِف السمحاء(١٣٦) ولا يرثي اذا أعيانه بَكَيْن
قصدي ثُمُنْ في الرطل ماتكفي اذا هي خُمْسَتَيْن(١٣٧)

* * *

ولكن هل كان المعلم يكتفي بالتنديد السلبي بالتجار والمرابين وغيرهم من الذين يجورون على الفقراء ؟

أم انه كان له دور ايجابي في مجتمعه ؟

وما هى مهمة الشاعر الذي ظل يحمل هموم فقراء مجتمعه صباح مساء ؟

اهو القول وحده ؟

لقد علمنا الآن ان المعلم كان يدعو ربه في كل مناسبة ان يتكرم بالرحمة على خلقه الذين مسهم الضر ...

بيد ان المشكلة تطرح سؤالا هاما وهو : ما الذى يجب على الناس المستغيثين فعله حتى اذا ما استجاب الله دعاءهم فهطلت الامطار وسالت الاودية ، وجدت السدود عامرة واعمال الري صالحة ، ولم يُخْشَ على التربـة واحراش النخيـل من الانجراف بفعل السيول ؟

والاجابة البديهية هيأن على اولئك الناس ان يعدُّوا للامر عدته بان يتعاونوا على اصلاح مرافق حياتهم .. ومن أجل ذلك يتعين على كل واحد منهم ان يكون في عون أخيه ليكون اله السماء فى عون الجميع .

غير أن المعلم يدرك ان التعاون لايتأتى الا في المجتمع الواعي لمشكلاتـــه ، السليم فى بنيانه .

(١٣٦) الطريق المستوية .
(١٣٧) مفردها خمسية كالفلس مثلا .

ويعلم كما يعلم غيره من المصلحين ـ ان مجتمعه يشكو أدواءً اجتماعية جعلته مفكك الاوصال فبات اهله بعيدين كل البعد عن التعاون ••• ولو ان الحضارم تآخوا فيما بينهم وعملوا يدا واحدة على تحقيق التعاون على فعل الخير لكانوا قد جنبوا أنفسهم العديد من آفات الحاجة والفاقة ، ولكانوا قد ازالوا من مجتمعهم الحزازات النفسية •

وهيهات !!

أنىّ لمجتمع ـ أي مجتمع ـ أن يتعاون افراده ، وهو مجزأ طبقات بدائية كل واحدة منها تحتقر الاخرى وتزدريها وترى العمل اليدوي مهانة لايجوز الا ان يؤديه المساكين والضعفاء •

وأنّى لمجتمع أن يقوى على انجاز أي اصلاح ايجابي والدعوة الى تهجير ابنائه القادرين على العمل يُشَجَّع عليها في كل مناسبة •

وأنّى لمجتمع ان يتحرك نحو الاصلاح وغالبية قادته أو الذين ينبغي أن يكونوا في مكان القيادة منه ، منكمشون في أوكارهم لايرفع أحد منهم أصبعا في سبيل الحق •

حول هذه القضايا كلها يقول المعلم :ـ

ندعي وخالقنا يعاون من تقبّض واعتصم
بحبله الاقوى ، وبئس التفرقة أس النقم
الاجاد سبحانه ، وهو الجيد على جمع الامم ،
حصل أيادينا ركيكة ما تحافظ عا الكرم

ثم يقول :

لو كل يد قِبْضِتْ بيد عالخير ماجانا الندم
ولا بقي مسكين في ذى الارض يقتله العَدَمْ

كان امتلت آصارنا[138] ارزاق من مولى النّعم
لكن ذا سيّد وذا مشيّخ وذا جدّه الحَكَمْ
وذاك قروي عالمراوض[139] دوب ما يَجُرّ النّسَم
على نَظيْرُه[140] معتكف في ذا بِكَمْ أو ذّا بِكَمْ
وذا عَبْرْ عمرُه يرونه رِجْس من جِبْزِ الخِـدَمْ

الى قـوله :

كُلًّا يرى صاحبه في الميزان كَحّة من حَجَمْ[141]
لذا السبب جَتْنَا المذلّه والرثاثة والبَكَمْ
زادت سفاهتنا وزاد الكيد فينا والسّدَمْ[142]
ومن جهالتنا طرحنا حرير عاشوك السّلَمْ[143]

فلتكن كل تلك الادواء ...

ولسنا نتوقع من مجتمع متخلف الا ان تكون بعض أدوائـه بتلـك المثابـة . ولكن المجتمع الحضرمي ، على مافيه من سلبيات ، يضم رجالا ، من كافة الطبقات عرفوا بميلهم الى الاصلاح وتشبعهم بروح المنفعة العامة ولم يكونوا مرتاحـين قط لحالة مجتمعهم السيئة . فالى هؤلاء ، وفي أمل يكاد يقتله التلاشي ، يوجه المعلم كلامه قائلا :ـ

وَيْن الذى هم يِفَحّسُون الهَرْج[144] لا الهَرْج احْتَدَمْ
ويعصبون الشّـور عالمعروف لا الـرّأى انتظـم

---

(١٣٨) جمع وصر وهو المكان الذى يجمع فيه المحصول الزراعي .
(١٣٩) الزنابيل .
(١٤٠) النظير دفتر الحسابات .
(١٤١) الصوت الذى يحدثه الحجام عندما ينفخ على مكان الحجامة ومعناه الشيء التافـه .
(١٤٢) الهم والمرض .
(١٤٣) شجرة الشوك .
(١٤٤) يفحس الهرج اى يحلل الكلام ويفهم مراميه .

اعنى رُزّوم العِشّ(١٤٥) حَـلّالي المشاكل واللّكَمْ(١٤٦)

صـدُور في كل النوائب حين حَمْـلات الزّلَمْ(١٤٧)

ذا وقتها الأهوام(١٤٨) •• ماباقـول هم جُمْلَةجَحَمْ(١٤٩)

ثم أورد المعلم معنى بيت متداول للمرشد الكبير الحبيب عبدالله بن علوى الحداد الحضرمي المتوفي سنة ١١٣٢ هـ ، ولعل الحداد حينما قال بيته المشـــار اليـــه وهو :

اكلّهُمْ ماتوا أكلّهُم فَنَوْا . أم استتروا لما تعاظمت المِحَنْ،

والبيت هذا من قصيدته المشهورة ، ومطلعها :

مضى الصدق واهل الصدق يا سعد قد مضوا

فـــلا تطلبن الصدق من أهل ذا الزمن ،

لعل الحبيب الحداد كان في حالة نفسية ، من أهل وقته ، شبيهة بحالـــة المعلم عبدالحق عندما قال قصيدته التى نحن نستعرضها الآن • قال المعلم بطريقته الخاصة العامية وناظرا فيما يبدو ، الى بيت الحداد :ـ

أو قُوّل ماتــــوا او فَنَوْا وتَكَرْفَتُوا حـــلّ الحَتَـمْ

وان تلك اللامبالاة ، التي لاينفع فيها نصح ناصح ، حتمت على الحضرمي أن يهاجر من بلاده الى المهاجر الخارجية ، أو الى الساحل الحضرمي على الاقل ، حيث السهولة النسبية في المعيشة التي توفرها صناعة الاسماك بالساحل ، تاركـــا أرضه بحضرموت الداخل للنساء يكالفن الاحوال الطبيعية العاتية ، وأنى لهـــن أن يصمُدن أمام تلك العوامل القاسية وهن على ما هن عليه من وهن وفاقة • قال المعلم :ـ

(١٤٥) الاحجار الكبيرة التي توضع فى وجه السيل لتحويل مجراه ويقصد بهـا الرجال المفكرين •
(١٤٦) اللكم العقد المستعصية •
(١٤٧) الرماح خاصة ، وعامة عدة القتال •
(١٤٨) جمع هام وهو الحية الكبيرة •
(١٤٩) جَحَم جمع جَحْمَة وهى الخنفساء السوداء

من أجل ذا حد سار لا البَصْرَه وحد بَرّ العَجَمْ
وحد الى جاوه وحد لا الهند يدرُجْ عالكَزَمْ(١٥٠)
وحد الى الساحل على رِيْح الطَّمكْري واللَّخَم(١٥١)
وترّكوا وادي العجل للذئب يلعب بالغنم

الى ان قال عن المخلّفات من النساء في الوادى :ـ

السيل ما يِرْدَعُه حُلوات المباسم والوشَمْ ،
قتلتهن الفاقه ولاقِدْرنْ بِقلّ ولاّ بِجَمْ ،

الى قوله : السيل لامَشّى يزوع الساقية جُنْح الظَّلَمْ
يبغا نماره لي يحطّون القَدَمْ فوق القَدَمْ
ويرجعون الماء مُصَعّد لاقد العافِشْ(١٥٢) قَحَمْ

ومضى قائلا :

ماحك جلدك مثل ظفرك وقت تزرير الحِزَمْ
ذي ارضكم قفراء لِشِعْها البخص ولشِعْها السَّقَم
وامست خرابَه تالفه بل كل ما فيها انهدم
ينعق عليها البوم كديار البطاره والظّلَمْ
وقَزّها العربان مَرَّهْ كأنّها كُوتْ الجَذَمْ(١٥٣)
نحنا الظّلَم في تَوْجهْتَنَا والله إنْ نحنا الظّلَمْ

ويختتم المعلم هذه القصيدة الاجتماعية الرائعة بمد طرفه الى السماء قائلا :ـ

يالله يا غوثاه يامنشي خليقتك من عدم

---

(١٥٠) فتات الموائد .
(١٥١) الطمكرى واللخم نوعان من السمك .
(١٥٢) السيل الذى يداهم فى غفلة .
(١٥٣) كوت الجذم الدار التي يعزل فيها المصابون بالجذام .

وميسّر الاحوال في قَوْلتَي لَاْ ولَّا نَعَمْ

هبنا التعاون عاجميل الفعل والحال الأتم

كان ذلك مجال الوعظ للمعلم ومجال التأسي لحضرموت والحضارم ، لكن الشاعر العملي الاصيل يشفع وعظه وتأسيه بالحركة المباركة والقدوة الحسنة فى العمل . والشعراء العباقرة وعاظ من الطراز الاول وكان فيهم الحركي والقدوة . وهكذا كان دور المعلم كواحد من الشعراء المتميزين . لقد كان دوره ايجابيا بارزا فى مجتمعه بمختلف اوجه أنشطته السياسية والحربية والاجتماعية .

ان دور المعلم ، وقد بلغ من السن عتيا ، هو شحذ الهمم والمشورة النصوحة والدفع بالقوم الى ميادين العمل التعاوني متقدما الصفوف بالمشاركة الفعلية رغم شيخوخته واعتكافه ، بحكم اعتلال صحته ، جُلّ وقته في داره .

قال رحمه الله في مناسبة سالت فيها الاودية وكانت بعض السدود والسواقي محطمة :

ناديت قلت السيل اينهْ قَدُهْ يا اصحابى فِيَيْن(١٥٤)

فجاءه الرد المزعج وهو ان السيل مال الى الجانب الشمالي لانه ألفى بعض السدود الشمالية مكسرة ولم يسفح على الحقول الجنوبية . وللايضاح وضعنا بين قوسين اسماء الحقول ، والسدود التى اشار اليها المعلم في قصيدته التى سنعالجها بعد لحظة .

قالوا تكا(١٥٥) في الجانب النجدى وَصِلْ (حصن الرُّكَيْن)

أسقى جروب (الكاف) و (المحرث) وقع له شرب زين

لولا وَقِعَنْ اقطاب يِشْسَرْبن المحارث لـسي بَقَيْن

و (الحار) بايشرب و(باحدب) ويشرب (باحسين)

ولولا التنافر الضارب اطنابه بين الاهالي ال كانت « الاقطاب » (الفجوات

(١٥٤) فيين : في أية منطقة .

(١٥٥) القى بثقله .

المعطلة في السدود) • فهناك الايدى الكثيرة المتعطلة • وفي دمون ، والمعلم كما قد لاحظنا في صفحات سابقة يدعوها أحيانا بـ « الشُّعْب » ، اربعمائة من الرجال القادرين على العمل ، بين قبائل وحضر ، يقضون اوقاتهم في فراغ قاتل ولا يستمعون لنصيحة اي ناصح • قال المعلم :ـ

مئتين لي في الشّعْب حضـــري والقبـائـل مئتـــين
والمَطْب(١٥٦) قِل الشور من لا اشتار يلحقه الهوين(١٥٧)
كُلاًّ قفا شوره هَمَل تقـــول نُوق عــايُزْ قَّصَـيْن(١٥٨)

ويحدثنا المعلم عن هؤلاء الشبان بطريقته التهكمية فيصفهم بانهم احلاس القهوات تمر أوقاتهم في شرب قهوة البُن وتدخين التمباك والاحاديث فى النساء وفي اللحم المضبي (الشواء) وكأنهم يكيلون آكام التراب ، وفي القيل والقال الذى يصوغونه من المين (الكذب) • هذا مع أن كل واحد منهم قوي البنيـة لكأن جسمه قدّ من جذر شجرة متينة • قال :

يقضونها الاوقات عالقهوة يرشّون البنـــين(١٥٩)
وعالرَّشَبْ(١٦٠) يتسابقون كُلاًّ بغالـه مَزْتَّـيْن(١٦١)
يِهْذون في النّسوان والمضبي يكيلون العُـدَيْن(١٦٢)
وعلى حـــكاوي القيل والقـــال الذى صَوْغُتَهُ مَيْن
وكل واحد به مَتَنْ تقــول قُدّت من جَـذْين(١٦٣)

---

(١٥٦) مصدر الضرر •
(١٥٧) الهوان •
(١٥٨) النوق التي تجري مجفلة • ورقّص البعير عندما يجرى ويقذف بقوائمـه فى الهواء •
(١٥٩) تصغير كلمة بن •
(١٦٠) الآلة التى يدخنون عليها التمباك ومفردها رُشْبَه •
(١٦١) شفطتين •
(١٦٢) مفردها عدانه وهى كوم التراب الوسخ •
(١٦٣) جمع جذنه وهو جذر الشجرة الكبيرة •

ويحاول المعلم أن يسدل ستارا على الماضي ويوفر الملامة على الكل ليكسب موافقتهم على العمل الجماعي • قال :ـ

وفات ما قد فات وش رَدّ الغوارب(١٦٤) لي مَضَين
لارد للفائت ولا الزَّيْنَات(١٦٥) تعَرَّض مرّتين
الوعْل لاهروَل وجوّل(١٦٦) اين بك منّه وأين !

ويتقدم المعلم بمشروع تشغيل الايدى المتعطلة الكسولة • ويزج بكافة الطبقات فى مشروع اصلاح السدود الذى يتطلب مالا وعملا • أما المال ـ نقدا أو مواد غذائية ـ فان مسئولية جمعه على السادة • هؤلاء سوف « يَفْقَعُون الطّار » (يطلبون التبرعات) من الموسرين ، وسيذهبون الى أقصى البقاع الحضرمية بمواكبهم التقليدية واعلامهم الخفاقة مستعينين بجاههم ونفوذهم الروحي قال :

ذولا حبايبنا جِمال الفَصْل(١٦٧) لاقد حَمَّلَين
با يفقعون الطار مَيْد القايتِيه(١٦٨) نقداً وعَين
بالزّف والبيْرَق وحَفِّه لامقاصي المشرقَين
بجاههم باتجى البَقَش باتقع جمالَة مُقنَصَين(١٦٩)
لتكملة باقى العمل والله يسهِّل ما عَكَين(١٧٠)

واما الاربعمائة المتعطلون فسوف يناديهم للعمل • قال :ـ

كلّاً بمِزْحاته يلاقي ثم يَحْمِل مَحْفَرَين(١٧١)

---

(١٦٤) أمواج السيل •
(١٦٥) مهرجان يوم الزينة أو الفرص الذهبية.
(١٦٦) انطلق مسرعا على الجول وهو قمة الجبل المُسَطّح •
(١٦٧) الابل التى تحمل الاثقال •
(١٦٨) القوت •
(١٦٩) مفردها مقنص وهو اصطياد الوعل •
(١٧٠) عكين اى ماصعب •
(١٧١) المحفر زنبيل الطين •

لمن قـِـدِرْ والعاجز المعـــذور ما يَلْحَقْـــه شَـــيْن

ويقترح المعلم توزيع أولئك الرجال للعمل على النحو التالى : الاربعمائة تنقسم الى فرقتين تعداد كل فرقة مائتان • وكل فرقة توزع العمل بين رجالها في ورديتين نهاريتين تعداد كل وردية مائة عامل يعملون نصف وَضْح (ست ساعات) • قال :ــ

(لبامطّـا) خمسين تَنْـدُر(١٧٢) مِنْهــم أولادي ثِنَيْن
ومثلهم خمسين للسّوم المسمّى (بِـــنْ طَنَـــيْن)
لنصف وَضْحَك قَلْ مِيه، وكُمُول(١٧٣) عَدّك يَخْلِفَيْن(١٧٤)

أما العمل في سوم (سد) الرّصد فيقترح المعلم مضاعفة عدد العمال لاهميته• فتعمل الاربعمائة كلها فى ورديتين قوام كل وردية مائتا عامل يعملون نصـــف وضح •••

كـــذا لســـوم (الرصد) ضاعِف للغوارب لاتَـــكَيْن
مئتين نصـــف الوضـــح كُودها(١٧٥) باتكفّـــي المئتين

والملاحظ ان المعلم عبدالحق الذى لاريب ان طال استماعه ، في زوايا تريم الى « زُبَـد » ابن رَسْلان في الفقه و « ألفية » ابن مالك في النحو ، نهج الان سبيل النظامين في المتون الفقهية والنحوية وغيرها في هذه القصيدة ، لاننا نسمعه الان مقدما لنا نظما ولا يقدم لنا شعرا • فالمعلم مستغرق الآن في شرح تفاصيل مشروعه وقد قيدته تلك التفاصيل فلم يترك لشاعريته العنان • وحرصا منه على استيفاء تفاصيل المشروع يخصص المعلّم العجزة من رجال القبائل كالشيخ عبدالبارى بن سعيد ابن عمران للمراقبة من على سطوح منازلهم حتى اذا ما شاهدوا سـيلا قادما اطلق

---

(١٧٢) تخرج الى •
(١٧٣) كمال •
(١٧٤) يتأخرن او يخلفن •
(١٧٥) أى بالكاد تكفي •

كل واحد منهم عيارين ناريين تنبيها للعمال الذين يعملون في المسيلة ليرتفعوا من مجرى السيل . ولم تفارق المعلم روحه الفكاهية ، وهو منكب على تـلاوة مشروعه ، فيطلق على العجزة ، جماعة ابن عمران ، اسم « الأبواب الحَاطَّة » أي الابواب الواقعة في اسفل البناية ، فيسوخ في الارض جانب منها بفعل ضغط البنـاء القديم المتهدم المعتلي عليها . قال :ـ

قل للبَوَابْ الحاطَّة لي في السُّوَحْ قـد غَـرَّزَيْـن[176]
لهم تَبَـاْ للسيل بن عمران يَضْـرِبْ بُنْدقَــيْن
يَشْطُّ[177] من دارْه وينصُط لاهَدَرْ[178] حول (القَرَيْن)

ولم يكتف المعلم باخراج ابنيه للعمل مـع العمـال في سـد بامطا ولكنـه ، رغم ضعفه ومرضه ، يرتب لنفسه واجبا يشارك به في العمل . قال :ـ

ونا علي با ادرُجْ عليهـم كلّ ساعة دَرْجَتَيْن
ذا قول عبدالحق يا اصحابي ركيك السـاعدين
في الدار من شُقَّة[179] رِصَانُه[180] في رجولِهْ واليـدين

---

(١٧٦) غرز اى ساخ في الارض .
(١٧٧) ينظر .
(١٧٨) هدر السيل اى ضج .
(١٧٩) ألم .
(١٨٠) قيده ويعني الضعف الذى يشكوه في يديه ورجليه .

الخاتمة

كان المعلم عبدالحق شاعرا لم يقف موقف المتفرج من مشكلات مجتمعه ، ولم يكن بالشاعر الرومانسى الواضع رأسه فوق طبقات السحاب ، اللاهث خلف الرنين والجرس ليرسم بهما الدنيا وكأنها كلها ازهار واطياف نورانية وألوان زاهية • لقد كان رحمه الله من الذين يمشون على الارض هونا ـ أرض الواقع المر والحقيقة القاسية ـ واضعا يده على آلام المجتمع ، ومسمعنا شئنا ام أبينا ، أنين الاشقياء ، وأخيرا وليس ذلك بأقل الحالات اهمية ، يتقدم الصفوف لمحاولة رسم طريق لحياة اجدر بان يحياها البشر •

كان شاعرا كله شعور باهمية دوره فى القيادة الفكرية ، لانه لم يكن من فصيلة « القوّالين » الذين يشكّلون زينة مجالس الترف والكسل والشهوات •

ولم يكن المعلم من الشعراء الانتهازيين الذين يحسّنون لرجال القوة والنفوذ امتهان المساكين وبخسهم حقهم ، كما انه لم يكن من الشعراء المجاملين الذين يجبنون عن قولة الحق ، لذلك فانه لم يثنه التهديد ، الذى ترامى الى سمعه اكثر من مرة ، بالانتقام والتعذيب ، عن السعي خلف جمال الصدق فى القول والعمل •

وهو اذا كان شعره مُسْتَمَداً من النظرة الفاحصة على دروب الحياة المتشعبة ، ومن تجربته الممحصة من تلك النظرة ، فانه لا يقسر الناس على اتباع كلامه ، ويكلهم الى الفهم والذوق السليمين ، لانه ، وهو العليم بهم وبدخائل انفسهم ، يدرك ان الاكثرية من البشر تصدر عن ردود فعل مجافية لنداء الحق في أشعار عبدالحق •• ومن هذا الادراك نراه قائلا :ـ

أنصَحْ وصَحّحْ فـــي كلامى واوْعَظْ
حـــد يِشْتَغِبْ من قـــولي المُتَوَالي
وحد يَخِفّ الحَمْـــل بُه لكنّنـــا
ما اطـــرح على مبنى ركيك اقبالي

فلم يصف المعلم شعره على سنة بعض الشعراء فى المبالغة المستقبحة والفخر الاجوف . وهمنا نجده قد قال فأوجز وصدق . اننا لم نقف فى كل شعـــر استعرضناه للمعلم فى هذا الكتاب على انه وضع اقباله (اخشاب السقف) على بنـاء ركيك .. لقد كان رحمه الله يتخير لاقباله الابنية المتينة وتلك استعارة لطيفة وشَيّقة تفصح عن نفسها بنفسها .

رحم الله المعلم عبدالحق رحمة واسعة .. فقد كان نتاجا فريدا للوسط والزمن اللذين عاش فيهما ، ولم تكن له حيلة فى ذلك .

محمد عبدالقادر بامطرف

المكلا : محرم ١٣٨٤ هـ
جون ١٩٦٤ م

الفهـرس

الموضوع		الصفحة
١	الاهـــداء	٣
٢	منهج البحث	٦
٣	**المقدمــة**	٧

أول اتصالي بالمعلم عبدالحق ـ كيف تخيلته ـ البحث عن المعلم في دمون ـ معالم شخصيته ـ ثقافة المعلم ـ أخلاقه ـ مكانته عند آل سلمة ـ قبر المعلم عبدالحق ـ انتشار اشعاره ـ ديوانه ـ مجموعة السيد علي بن شهاب ـ عدد أبيـات بعض قصائـده ـ تواريخ بعض قصائده ـ مكانة المعلم عبدالحق بين شعراء عصره ـ من خصائص الشعر الشعبي الحضرمي ـ الشـعراء الشعبيون المتأخرون الذين تأثروا بمدرسة المعلم الشعرية٠

الفصـل الاول

٤	**التعريف بالشاعر :**	٢١

نسبه ـ مولده ـ مدرسته القرآنية ـ تحالفه مع آل سلمة ـ زواجه ـ أبناؤه ـ لماذا سمي المعلم ـ حمله السلاح ـ دمون في أشعار المعلم عبدالحق ـ المامه باحوال عصره ـ أساس المديح في قصائـده ـ موقفـه من السـلطان غالب بن محسن الـكثيرى ـ قصيدتـه في هزيمة آل كثير في واقعة البقرين سنة ١٢٨٣ هـ ـ قصيدتـه الثانية في هذه الواقعة ـ قصيدته في استيلاء الكثيري على مدينـة الشحر واندحاره منها سنة ١٢٨٣ هـ ـ نصائحه لآل تميـم في حصار دمون ـ ما قاله في خلافات آل سلمة ـ ولاء المعلم ـ محاولة لا فساد العلاقات القائمة بينه وبين ابن يماني مـولى قسـم ـ قصيدة المعلم في تلك الوشاية ـ جمال الصدق ودقة الوصف في اشعاره ـ عدم اهتمام المعلم بحطام الدنيا ـ اعتذاره لعدم جزالة

الموضوع | الصفحة

عطاية السلاطين ـ ولوع المعلم برياضة القنص ـ انفتاح المعلم على محيطه الطبيعي ـ الطبيعة وآثارها في أشعاره ـ قصيدته في هزيمة آل كثير في الكودة ـ شعر المعلم في التحالف التميمي اليافعي ـ ثقافته الدينية ـ السلاسة في لهجة المعلم العامية ـ قصيدته في هزيمة يافع في واقعه كوت الملجنة سنة ١٢٨١ هـ نهاية الدولة الكثيرية الثانية عام ١١٥٠ هـ ـ ولاء يافع لمقام الشيخ أبي بكر بن سالم مولى عينات ـ عقيدة المعلم عبدالحق في السلف الصالح ـ السلطان عبدالله رأس الدولة الكثيرية الثانية ـ النزاع بين أمراء آل البريك على الحكم في الشحر ـ موقف أم عبدالقوي غرامة من آل كثير ـ الامير عبود ابن سالم الكثيري يتزوج ابنة عبدالقوي غرامه ـ القعيطي يصد محاولة آل كثير لاستعادة الشحر عام ١٢٨٤ هـ ـ قصيدة المعلم في استيلاء القعيطي على سحيل شبام ـ مداعبة المعلم للشاعر الشعبي زربادي ـ الشعراء الفقراء وأرباب النخيل في مسيلة عدم ـ ابتداء بعض اشعار المعلم بالنسيب ـ المعلم عبدالحق في مساجلة شعرية مع الشاعر الشعبي السيد عبدالرحمن بن شهاب ـ مساجلات المعلم مع شعراء آخرين ـ السرقة في الشعر ـ بعض الشعراء الشعبيين الحضارم يسرقون اشعار المعلم عبدالحق ـ الشاعر عبدالقادر بن سالم العيدروس وغارته على احدى قصائد المعلم ـ المعلم عبدالحق في شيخوخته ـ صيد الاوعال في اشعار المعلم ـ تدهور حالة المعلم الصحية ـ وفاته ـ مرثية الشاعر ربيع بن سليم في المعلم عبدالحق .

الفصل الثاني

٥ **الحالة السياسية على عهد المعلم عبدالحق** ١١٥

فوضى الحكم بحضرموت ـ اعمال السخرة ـ الفتن العشائرية ـ تحريض المعلم القبائل على الفتن ـ ما قاله الامام السكران عن الفتن القبلية ـ محاولات اصلاحية سياسية من قبل بعض

الموضوع	الصفحة

العلويين ـ ما قاله الاستاذ محمد بن هاشم عن سوء اعمال الحكام الحضارم ـ ما قاله المعلم عن الحكام في مختلف الربوع الحضرمية ـ دولة ابن مقيص ـ اتصال العلويين بوالي مصر ـ هجرة كبار العلويين من تريم وشبام ـ محاولة الاصلاح السياسي من قبل آل تميم ـ اتصال العلويين بامام اليمن ـ مساعي العلويين في احياء الدولة الكثيرية ـ قيام الدولة الكثيرية ـ قيام الدولة الكثيرية الثالثة ـ السلطان غالب بن محسن الكثيري على مسرح الأحداث ـ الرجال الذين قامت على اكتافهم الدولة الكثيرية الثالثة ـ الرجال الذين قامت على اكتافهم الدولة القعيطية ـ موقف المعلم من هؤلاء الرجال ـ المعلم عبدالحق ومحاولته نسف قصيدة الشيخ عبدالله القحوم العمودي ـ آل كثير يشترون حصن آل مطهر ـ استيلاء آل كثير على مدينة تريم سنة ١٢٦٣ هـ ـ مساجلة بين ربيع بن سليم والمعلم عبدالحق حول سقوط مدينة تريم في يد الكثيري ـ الحكام اليافعيون في تريم ـ عبدالقوي بن غرامة يغادر تريم ـ ذهاب عبدالقوي غرامة الى المكلا ثم الى الشحر ـ آل كثير وآل تميم يدخلون عهداً من التناحر الدموي ـ العلويون يشجعون آل كثير على استعادة مدينة سيئون ـ قصيدة السيد محسن بن علوي السقاف في يافع وآل تميم وبعض فصائل الاتحاد الشنفري ـ انشاء الدولة الكثيرية سنة ٧٨١ هـ ـ أول سلطان كثيري ينادى به سنة ٨١٦ هـ ـ استيلاء آل كثير على مدينة سيئون سنة ١٢٦٥ هـ ـ محاولة يافعية فاشلة للاستيلاء على المنطقة الكثيرية ـ ما قاله المعلم عن هذه المحاولة ـ الشاعر الشعبى عمر بن محمد باعطوه والمعلم عبدالحق حول هذه المحاولة الفاشلة ـ قصيدة المعلم في هزيمة يافع في واقعة الغبيضات ـ قصيدة المعلم عبدالحق في هزيمة آل كثير في الشحر عام ١٢٨٤ هـ ـ تداعي الحوادث وانتهائها بفرض الحماية البريطانية على الدولتين القعيطية والكثيرية ٠

الموضوع		الصفحة
	الفصل الثالث	
٦	**الحالة الاجتماعية على عهد المعلم عبدالحق**	١٩٣
	صورة المجتمع الحضرمي ـ نظام الطبقات بحضرموت ـ قصيدة المعلم في الحرب ضدآل البطاطي في القزه ـ مفهوم القبولة عند المعلم عبدالحق ـ العلويون كقبيلة ـ اسلوب المعلم في المديح ـ الدلل وأثرهم في المجتمع الحضرمي ـ مراكز التعليم بحضرموت ـ العبادلة السبعة ـ نظرة القبائل الحضرمية الى التعليم ـ القرويون والمساكين والضعفاء في السلم الاجتماعي الحضرمي ـ موقف المعلم عبدالحق من الحالة الاقتصادية بحضرموت ـ ما قاله المعلم في المرابين والمستغلّين ـ ما قاله المعلم فى التصادم الطبقي الحضرمي ـ المعلم يحث مختلف الطبقات على التعاون ـ المعلم والمشاريع الزراعية ـ المعلم يتزعم المبادرات الجماهيرية رغم شيخوخته .	
٧	**الخاتمة**	٢٤٣
٨	محتويات الكتاب	٢٤٥

المكتبة الالكترونية

بلا رفوف

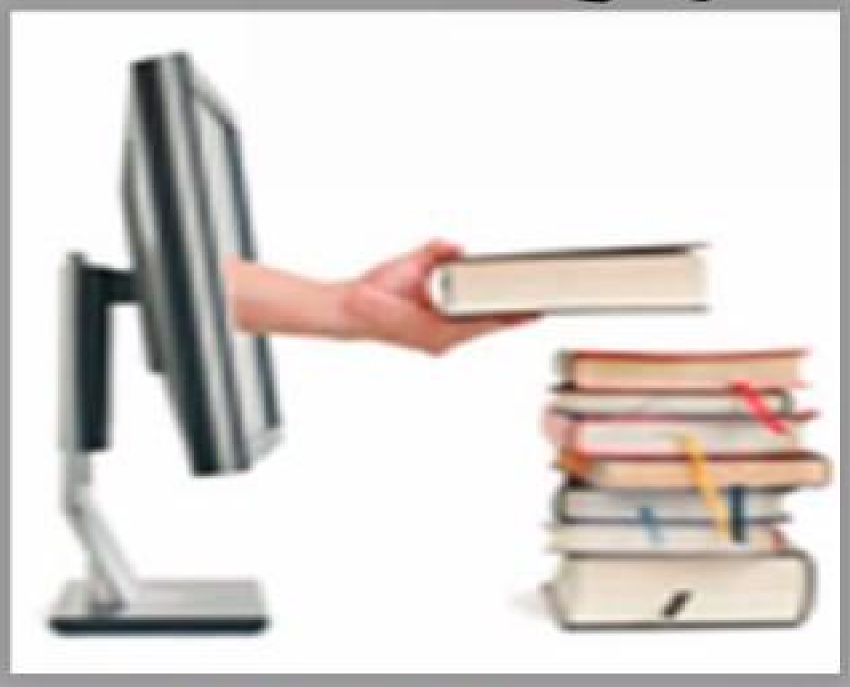

لخـــدمات الطالــــب

والأرشفة الالكترونية (السريعة)

لــذا نحـــتفظ بكــل الأصـــول

للمــلازم والكتــب الكترونيــا (PDF)

طباعـــة + تصـــوير + تغليــــف ...

برمجـــــة

وصـــــيانة

الجـــــوالات

العنوان : تريم – المحيضرة – عمارة باسالم مقابل محل أبو ماجد لمواد البناء ٧٣٥١٥٦٤٦١

عيــادة دكتــورة الأســنان

للنســاء والأطفـال فقـط

أوقـــات الـــدوام

الصباح من ٩:٠٠ : سبت واثنين وربوع

المساء من ٤:١٥: أحد وثلوث

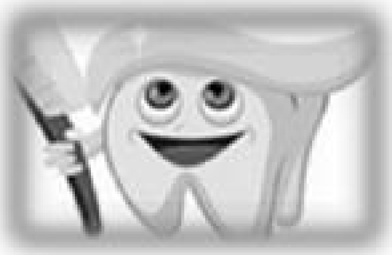

(حشو فضة وتجميلي-أطقم جزئي وكامل–تراكيب ثابتة-جسور– تنظيف اللثة -تبييض بالليزر - – خلـــع ...)

إشـــراف دكتـــورة أســـنان

بكالوريوس – كلية طب الأسنان - جامعة العلوم والتكنولوجيا

العنوان : تريم–المحيضرة– بجانب مستشفى تريم -عمارة باسالم - مقابل مسجد التوحيد

للحجز والاستفسار من قبل النساء ٧٣٣٠٠٢٥٩١ – للاستفسار رجال ٧٣٥١٥٦٤٦١